فصلية

ايران و العرب

٤

العدد الرابع . السنة الثانية . ربيع ٢٠٠٣

ماذا بعد الحرب على العراق؟

العلاقات المصرية ـ الإيرانية والنظام الدولي

التراث البلاغي المشترك بين العرب والإيرانيين

السياسة الخارجية لإيران حيال آسيا الوسطى

الصحافة في الجمهورية الإسلامية

الفن الإسلامي ومجالاته





مركز الأبحاث العلمية والدراسات الاستراتيجية للشرق الأوسط

مركز متخصص في القضايا الفكرية والاستراتيجية لمنطقة الشرق الأوسط

- يهدف إلى دراسة هذه القضايا من خلال تفاعل العلاقات بين دول المنطقة، بما فيها إيران، مع عناية خاصة بالعلاقات العربية ـ الإيرانية.
- يُعنى بمتابعة التوجهات السياسية والاقتصادية الدولية ومدى تأثيرها في منطقة الشرق الأوسط.
- يقوم المركز بعقد الندوات واللقاءات العلمية، وينظم حلقات نقاش متخصصة، كما يُعد في هذا الإطار برامج الأبحاث والدراسات.
- يصدر مجموعة من المجلات والكتب والمنشورات التي تلائم اهتماماته.

الأسعار

لبنان: ٤٥٠٠ل.ل.	سوريا: ١٥٠ ل.س.	الأردن: ٣ دنانير	العراق: ٧٥ ديناراً
إيران ١٥٠٠٠ ريال	البحرين: ٢ دنانير	السعودية: ١٠ ريال	عُمان: ٣ ريال
قطر ٢٠ ريالاً	الكويت: ٢ دينار	تونس: ٣ دنانير	اليمن ١٧٥ ريالاً
المغرب: ٢٨ درهماً	ليبيا ٥ دنانير	قبرص: ٢ جنيه	بريطانيا ٢ جنيه

الاشتراك السنوي بما فيها أجور البريد

- دول الشرق الأوسط وافريقيا: ٣٠ دولاراً
- الدول الأوروبية: ٤٠ دولاراً
- اميركا ودول أخـــرى: ٥٠ دولاراً
- ترسل طلبات الإشتراك إلى مركز الأبحاث العلميّة والدراسات الاستراتيجية للشرق الأوسط، بيروت.

التوزيع في لبنان والشرق الأوسط : مؤسسة الفلاح للنشر والتوزيع
تلفاكس : ٨٥٦٦٧٧ / ٠١ ص . ب ٦٥٩٠ / ١١٣ بيروت - لبنان

العنـــــوان

مكتب بيروت

بئر حسن ـ شارع السفارات ـ بناية شاطئ العاج ـ هاتف: ٠١/٨٣٣٦٩٨
فاكس: ٠١/٨٣٣٦٩٨
ص . ب: ١١٣/٥٦٦٩ بيروت ـ لبنان
بريد الكتروني : fasleyat@middleeast-iran.com

مكتب طهران

بلوار كشاورز، خيابان شهيد نادرى ، شماره٢٠
تلفن: ٨٩٦٤٢٨٢، ٨٩٦٦٧٣٣، ٨٩٦١٧٧٠ (٠٠٩٨٢١)
ص . پ: ١٤١٥٥/٤٥٧٦، فاكس: ٨٩٦٩٥٦٥
بريد الكتروني : merc@irost.com

المدير المسؤول: فكتور الكِك

الآراء الواردة في المجلة تعبر عن وجهة نظر كتّابها وليس بالضرورة عن رأي المركز

فصلية إيران والعرب

مركز پژوهشهای علمی و مطالعات استراتژیک خاور میانه

مركز الأبحاث العلمية والدراسات الاستراتيجية للشرق الأوسط

Center for Scientific Research and Middle East Strategic Studies

فصلية
ايران والعرب

العدد الرابع ـ السنة الثانية ـ ربيع ٢٠٠٣

- ترحب «**فصلية ايران والعرب**» بدراسات الكتّاب حول مختلف القضايا المتعلقة بالشؤون الإيرانية ـ العربية، شرط ألا تكون قد نشرت أو مقدّمة للنشر في مطبوعات أخرى، وأن تكون موثقة بطريقة علمية.
- يُفضّل أن يُقدم النص مطبوعاً مع القرص الممغنط (الديسك).
- يُرجى من الكتّاب إرسال سيرة ذاتية موجزة مع عناوينهم: هاتف، فاكس، بريد الكتروني.

فصلية ايران والعرب



فصلية
ايران والعرب

العدد الرابع - السنة الثانية - ربيع ٢٠٠٣

المحتويات



آراء الكتّاب تعبّر عن وجهات نظرهم

رأي

الحرب على العراق والنظام الدولي الجديد

أظهرت الحرب على العراق وما تمخض عنها من تداعيات مهمة في الشرق الأوسط، وكذلك نظام القوة السائد في العلاقات، انبعاث نظرية الواقعية في العلاقات الدولية مجدداً. على أن العدالة والمناداة بها تفرضان نفسيهما على العرب والإيرانيين وسائر الجنسيات من أبناء الشرق الأوسط، تأسيساً على قناعاتهم وتقاليدهم الثقافية، وذلك على الرغم من أن الحوافز الأساسية في التصرفات والسياسات وردود الفعل في الوسط السياسي والاقتصادي العالمي باتت تتركز على «حفظ القوة والمصالح وبسطها»، بحيث يتكرس ما توصل إليه توماس هابز من أن العدالة، وإن تحققت يوماً ما في البلدان، فلا تبدو في العلاقات الدولية أكثر من حبر على ورق. بناء على هذا، فإن التركيز على نظريات القوة وبسطها هما لصالح الدول وشعوبها. ومن المعروف أن القوة لا تتجسد من خلال القوة العسكرية فحسب. إذ أن المفصل الأساس في قوة الدولة يعود إلى استقرارها ومجموعة النشاطات التي تؤمن مصالح الشعب على أساسها. وهكذا استطاعت ماليزيا والإمارات العربية المتحدة، من خلال نظرتها المستقبلية والموضوعية والمبنيّة على الحكمة، أن توافر الرفاهية والرخاء الاقتصادي لأبنائهما. وعليه، فإن شرعية الدولة وقوتها تتجسدان من خلال رضا الشعوب، بحيث تتقلص هشاشة الدول، وتمسك كل منها بزمام المبادرة والمناورة في علاقاتها الدولية.

مهما تكن تداعيات الحرب على العراق، فإنها تزيد من الاتجاه إلى تدويل منطقة الشرق الأوسط، وتجرّ ذيول التأثر بصياغة القوة على الساحة العالمية.

وانطلاقاً من دراسة روسيا والصين والاتحاد الأوروبي نرى أن الصياغة الأميركية المتمخضة عالمياً في القرن الواحد والعشرين تعتمد على السلطة الأميركية والقوى الضعيفة التي تصطف وراءها، وهو ما يمكن تسميته نظام التسلسل والتدرج.

لقد أهلت القدرات الاقتصادية والعسكرية الولايات المتحدة لتضطلع، من دون منافس، بالدور

السلطوي في العلاقات الدولية، مما دفع باقي الدول والتجمعات لتخطو وراءها خطوات خجولة في فلك القوة العالمية. ومن المعلوم أن الصياغة الجديدة في نظام العلاقات الدولية لا تتناسب والرؤية المثالية المنادية بالعدالة. لذا يتحتم على الدول، في ظل الظروف الإقليمية والدولية الجديدة، أن تكرس جهودها لتقوية البنية المحلية، وترسي الاستقرار وتوفر الرفاهية والرخاء للشعب.

إن الحرب على العراق لهي قصة مأسوية تترجم مدى تغافل المسؤولين عن أوضاع بلادهم الداخلية، وبالتالي عدم اكتراثهم بأولوياتها. وقد أظهرت الحرب أن ساسة العراق كانت أفكارهم تقوم على مزيج من الخيال واللاموضوعية، وهذا يظهر بوضوح أن المفصل والأساس في العلاقات الدولية هو قوة المصالح، لا الشعارات والخطابات. وتأسيساً على تكريس أسس القوة على الساحة العالمية وظلال التدويل المخيمة على الشرق الأوسط وما يعتريها، يدخل العالم في قرنه الجديد، الأمر الذي يفرض منطقياً على الدول أن تحدد أهدافها على أساس قدراتها المتوافرة، وأن توجه علاقاتها الإقليمية نحو تعزيز قدراتها. وفي هذا السياق تملي الظروف الراهنة على العرب والإيرانيين أن يفكروا ملياً بأن تعاونهم يزيدهم قوة. ويجدر بهم، بما أنهم يعيرون اهتماماً لاستقلالهم وهويتهم الثقافية وعقائدهم، أن يبادروا إلى إثراء نظامهم الداخلي وتلبية حاجات الشعب تقليصاً للصدمة الأجنبية. فروسيا والصين تسعيان جاهدتين الآن لتقوية بنيتهما الداخلية. على أن جغرافية المنطقة وتاريخها يربطان العرب والإيرانيين بمصير واحد مشترك... إن امتلاك العرب والإيرانيين عناصر القوة يتحقق بتنمية الشرق الأوسط برمته.

سيد حسين موسوي



ندوة:

السياسة الخارجية الإيرانية في آسيا الوسطى والقوقاز

د. أسد الله أطهري

د. سجاد بور

م. علي رضا الشيخ عطار

د. إلهه كولائي

د. سعيدة لطفيان

السياسة الخارجية الإيرانية في آسيا الوسطى والقوقاز

إثر انهيار الاتحاد السوفياتي، قامت في المناطق النائية والداخلية في آسيا الوسطى دول مستقلة عدة حظيت بأهمية خاصة في المجالات السياسية والاقتصادية والثقافية، الأمر الذي فرض على الدول الكبرى والبلدان المحيطة بهذه المنطقة تحديات جديدة. طبعاً لم تكن إيران بمنأى عن هذه التطورات الجديدة، لا سيما لناحية تأثيرها في المعاهدات والاتفاقات الحدودية، البرية والبحرية، والتي كانت إيران قد أبرمتها مع الاتحاد السوفياتي سابقاً. وعليه كانت لهذه التطورات انعكاساتها على السياسة الخارجية الإيرانية، بحكم الموقع الإقليمي والجغرافي السياسي لبلدان آسيا الوسطى والقوقاز ومصالح الدول الكبرى فيها من ناحية، والواقع التاريخي والتقارب الثقافي بين إيران وهذه الدول المستقلة حديثاً من ناحية ثانية.

في هذا الإطار، خصصت «فصلية إيران والعرب» ندوة حول «السياسة الخارجية الإيرانية حيال آسيا الوسطى والقوقاز» شارك فيها كل من الدكتور سجادبور المدير العام لمكتب البحوث السياسية والدولية في وزارة الخارجية الإيرانية، والمهندس علي رضا الشيخ عطار مسؤول مجموعة البحوث حول آسيا الوسطى والقوقاز في مركز البحوث الاستراتيجية التابع لمجمع تشخيص مصلحة النظام، والدكتورة إلهه كولائي النائب في مجلس الشورى الإسلامي، والدكتورة سعيدة لطفيان عضو الهيئة العلمية لكلية الحقوق والعلوم السياسية في جامعة طهران. وأدار الندوة عضو لجنة تحرير فصلية «بحوث الشرق الأوسط» الدكتور أسد الله أطهري.

---

* أدار الندوة د. أسد الله أطهري باحث متفرّغ في مركز الأبحاث العلمية والدراسات الاستراتيجية للشرق الأوسط.

د. أطهري: إثر انهيار الاتحاد السوفياتي، نالت بلدان آسيا الوسطى والقوقاز استقلالها. على أنّ الأهمية التي تنطوي عليها هذه المنطقة للعالم تكمن أساساً في المجالات الجغرافية والسياسية والاقتصادية والحضارية. ويمكن اعتبار موضوع الطاقة في أذربيجان وتركمانستان وقرغيزيا من العناصر الأخرى ذات الأهمية في آسيا الوسطى والقوقاز. وفي ما يتعلق بأهمية آسيا الوسطى من الناحية الجغرافية، يمكن أن نشير إلى قربها من مفترق الطرق بين القارتين الآسيوية والأوروبية، ومجاورة أراضيها لكل من الصين والهند وروسيا وإيران وباكستان، فضلاً عن مواردها من النفط والغاز، ومعادن الذهب والنحاس واليورانيوم وباقي الفلزات الثقيلة. ويقال إن لدى آسيا الوسطى جميع العناصر المذكورة في جدول «مندليف»، حتى أن بعض الخبراء يصف هذه المنطقة بأنها قلب آسيا. أما في ما يتعلق بمنطقة القوقاز - الواقعة جنوب غرب روسيا - فيحدها غرباً البحر الأسود وأزوف، وبحر قزوين شرقاً، وتحدها من الجنوب والجنوب الغربي إيران. وبعد هذه المقدمة. يبدو منطقياً التساؤل عن المكانة التي تحتلها هذه المنطقة في الشبكة العامة للسياسة الخارجية لجمهورية إيران الإسلامية.

د. سجاد بور: بداية، يجب أن نوضح معنى الشبكة العامة للسياسة الخارجية. فمن المؤكد أن السياسة الخارجية لا تقتصر على وزارة الخارجية، بل إنها مجموعة تضم كل الانعكاسات العامة لمنظمة القوة وشكلها وطريقة عملها مع الحكومة الإيرانية على الصعيد الدولي. والموضوع الثاني في هذا المجال هو أن الاهتمام بالسياسة الخارجية لا يؤخذ على محمل الجد بما فيه الكفاية في الداخل، أي أن المجتمع لم يولِ الاهتمام لهذا الأمر. كما أن العناصر التي تتشكل منها السلطة لا تولي الاهتمام الجاد بقضايا السياسة الخارجية. وهذا لا يعني غياب الاهتمام بالتعامل مع الخارج، بل يدور الكلام على عدم أخذ موضوع السياسة الخارجية على محمل الجد، مما يشكل دليلاً على التغيير في الاتجاهات المتعددة والمختلفة في السياسة الخارجية، وعدم وجود نقاط ارتكاز دائمة، نتيجة عدم اهتمام المجتمع بما فيه الكفاية بالسياسة الخارجية. إذاً، بعد هذه المقدمة، يمكن أن نقول إن بلدان آسيا الوسطى يجب أن تحظى باهتمام خاص في سياستنا الخارجية، وذلك بحكم كونها من دول الجوار، وهي بلدان استثنائية ولها خصوصية، وذلك بسبب انتمائها العاطفي والروحي للجرف القاري الإيراني وللثقافة الإيرانية. فالثقافة العامة في هذه المنطقة تمتزج بشكل وثيق بالثقافة الإيرانية. ويتجلى ذلك أولاً في أسماء الأفراد والمدن والتاريخ المشترك. ثانياً - بغض النظر عن العلاقات الودية التي تربطها بإيران - ليس لهذه الدول طريق للبحار. والنقطة الثالثة التي تختص بها هذه الدول هي أنها جديدة، مع أنها كانت ترتبط بشكل تقليدي وتاريخي وعلى شكل قبائل وقوميات مختلفة بالاتحاد السوفياتي السابق، إلاّ أنها ظهرت بالمفهوم الجديد عام ١٩٩١

وأصبحت دولاً مجاورة لنا يبدي العالم اهتماماً خاصاً بها. ونظراً لهذا الجوار، فمن الطبيعي أن تحظى بمكانة خاصة في السياسة الخارجية الإيرانية.

والنقطة الأخرى التي تنبغي الإشارة إليها هي أن هذه البلدان تعتبر من النقاط القوية في رصيد السياسة الخارجية الإيرانية. وليس أدل على ذلك من أنه على الرغم من التحديات والثغرات القائمة في السياسة الخارجية الإيرانية، لم تواجه الأخيرة فشلاً أساسياً أو مشكلة كبيرة مع هذه البلدان.

إلى ذلك، ينظر المجتمع الدولي إلى سياستنا في هذه المنطقة نظرة احترام، حتى أن بعض ساستهم وصف السلوك الإيراني في هذه المنطقة بالمواطنة الجيدة (Good Citizenship)، مما يدل على انتهاج إيران لمعايير وقواعد السلوك الدولي في هذه المنطقة. وعليه، يمكن اعتبار هذه المسألة من نقاط القوة لإيران، والتي من شأنها أن تزيد من مكانتها. عموماً تحظى هذه البلدان بمكانة بارزة جداً في السياسة الخارجية الإيرانية، علماً أنها ليست بالقدر المطلوب، خصوصاً إذا ما أُخذ في الحسبان العنصر الروسي في بلدان المنطقة. من هنا أؤكد - مرة أخرى - أنه ينبغي على المجتمع الإيراني أن ينظر جدياً إلى السياسة الخارجية عموماً، وإلى السياسة المتبعة حيال هذه البلدان تحديداً.

المهندس شيخ عطار: يبدو لي من الضروري دراسة هذه المكانة من جوانب عدة، وقد يكون الجانب الحضاري من أهم الجوانب التي تتمتع بها هذه البلدان. فمما لا شك فيه أنها تقع في الحقل الحضاري الإيراني، وهذا الأمر لا يجد مصداقه بعد الإسلام فحسب، بل كانت مصاديقه موجودة قبل الإسلام. لذا، فإن أهم العوامل في العلاقات الثقافية بين هذه البلدان وإيران تكمن في وجودها في الحقل المغناطيسي للحضارة الإيرانية، على الرغم من انفصالها عن إيران منذ ١٧٠ عاماً وهيمنة الشيوعية عليها لمدة ٧٠ عاماً. والأهم من ذلك أنه قلما تتواجد بلدان في المنطقة تتمتع بمثل هذه الميزات المتاحة لإيران. وتبلغ هذه الوشائج درجة من القوة جعلت بعض هذه البلدان تستفيد من هذه الحضارة بعد مضي ما يزيد عن ١٧٠ عاماً ونيلها الاستقلال. فبلدان آسيا الوسطى والقوقاز المستقلة حديثاً تسعى حالياً للعودة إلى هويتها والابتعاد عن الانتماء الروسي الطارئ والمفروض عليها خلال الحقبة السابقة. وهي تبحث عن انتمائها وهويتها الأصلية، وكذلك عن شخصيتها ورموزها التاريخية التي كانت في حقولنا الحضارية. وتعتز هذه البلدان برموزنا، أمثال باربد قبل الإسلام، وبالفارابي ورودكي وابن سينا في العهد الإسلامي، باعتبارهم رموزاً لهم، على الرغم من أن ذلك يثير في بعض الأحيان قلقاً في بلادنا باعتباره اغتصاباً لرموزنا التاريخية. وفي الحقيقة، هذا الأمر ليس مدعاة للقلق، لأن لجوءهم إلى هذا الجانب هو أفضل من لجوئهم إلى شخصيات أجنبية أخرى.

أما في الجانب الاقتصادي، فبوسع هذه البلدان أن تحظى بأهمية بالغة بالنسبة لنا، خاصة

أن أسواقها جديدة. ولما كانت إيران تتمتع بوضع اقتصادي أقوى، فباستطاعتها الاستفادة من هذه الأسواق. إلى ذلك، فإن بعض هذه البلدان محاطة بالمناطق الداخلية، ولا طريق لها للبحار، الأمر الذي يتيح لإيران الإفادة من موقعها لتعزيز حضورها في بلدان المنطقة.

في الجانب الأمني، لا تشكل هذه البلدان حالياً خطراً جاداً علينا، على خلاف دول أخرى في المنطقة. ولكن هذه البلدان لديها بعض العناصر التي من شأنها أن تشكل أخطاراً في الجانب الأمني مستقبلاً، ذلك أن لبعضها قواسم مشتركة مع أقلياتنا القومية. وإذا اعتبرنا أن الأقليات القومية تشكل مصدراً لاستغلالها من جانب العدو، فعندها يمكن اعتبار مثل هذه البلدان مصدر خطر محتمل. كما أن روسيا يمكنها أن تحتل مكانة خاصة في المجال الأمني، خصوصاً أنها تمثل إحدى القوى على المسرح الدولي في مجال الأمن.

د. سجاد بور: في إطار ما ذكرته في حديثي، ينبغي أن أوضح أن من بين هذه البلدان، جورجيا هي البلد الوحيد الذي يطل على البحر الأسود، وغير مجاورة بصورة مباشرة لإيران.

د. كولائي: نظراً للمكانة الطبيعية التي تحتلها منطقة آسيا الوسطى والقوقاز في السياسة الخارجية الإيرانية العامة، يمكن أن نطلق عليها اسم «بلدان حوض قزوين». وتعتبر هذه المنطقة إحدى المناطق التي يمكن أن تشكل أفضل اختبار لفاعلية سياستنا الخارجية وسلوكنا في المنطقة. والموضوع يرتبط بالفرص والإمكانات والطاقات التي قدّمت خلال الأعوام الماضية. فمن الطبيعي أن ينصبّ الاهتمام أولاً على الشبكة العامة للسياسة الخارجية الإيرانية وتحليل عناصرها، وأن يتم إجراء دراسة للمبادئ والأهداف المعلنة والأعمال المنجزة خلال الأعوام الماضية. وحتى المبادئ والأهداف والتقييمات والاتجاهات المختلفة في المنطقة ينبغي اختبارها وتقييمها ودراستها بشكل من الأشكال، وأن نجري دراسة للأهداف التي ينشدها الشعب والدولة، وكذلك الأمر بالنسبة إلى الأهداف التي تنوي تحقيقها الدولة الأيديولوجية، والأنشطة المختلفة التي يمكن تصورها للسياسة الخارجية الإيرانية في المنطقة المتمثلة في الفرص التي أتيحت لها إثر انهيار الاتحاد السوفياتي، والإمكانيات التي أتاحها التاريخ والموقع الجغرافي لنا. على أن الجانب الآخر يرتبط بحكمتنا ومقدرتنا على الاستفادة من هذه الفرص... إنني أتصور أن كل المجالات تشير إلى أن الساحة المتمثلة في منطقة آسيا الوسطى والقوقاز قد تكون من أبرز الشواهد على ضياع الفرص في السياسة الخارجية التي انتهجتها الجمهورية الإسلامية الإيرانية. ويرتبط الموضوع مباشرة بنظرتنا إلى المنطقة وتحديد أولوياتنا فيها، والأدوار التي يمكن أن تضطلع بها إيران في المنطقة باعتبارها دولة وطنية أو حكومة أيديولوجية.

إنّ الأمر الأساس في هذه البحوث يرجع إلى توافر الطاقات لمعرفة الحاجات والتطلعات

التي تحتاجها المنطقة، أي أن الأمر الذي يجب أن نؤكد عليه في سياستنا الخارجية هو التطابق بين بيئة العمل والأجواء الذهنية والنفسية. وأتصور أنه نظراً لعدم إدراك وسائل الأعمال المرتبطة بالتحول في المنطقة، ومن بينها مفهوم الاستقلال، لم نتمكن من الاستفادة من موقعنا الخاص والمتميز في المنطقة المذكورة، وكذلك من استغلال الفرص المتاحة أمامنا لتحقيق مصالحنا الوطنية بشكل صحيح. ومن الواضح أن منطقة آسيا الوسطى ـ إثر انهيار الاتحاد السوفياتي ـ لم يتم الاهتمام بمكانتها بشكل مناسب، مع الأخذ في الحسبان العلاقات التاريخية والثقافية لبلدان هذه المنطقة بإيران، وكونها جزءاً من العالم الإسلامي، ولديها من الإمكانات المتنوعة التي تخدم العلاقات التاريخية والثقافية لتحقيق التعاون بين الجانبين. والسبب في ذلك ناجم عن الثغرة المتمثلة في كيفية اتخاذ القرار في السياسة الخارجية. وكما أشار الدكتور سجادبور، فإنّ هذه المشكلة لا ترتبط بجهاز واحد. فهناك مجموعة من العناصر المؤثرة، ولم نتمكن من الاستفادة من هذه الفرصة التاريخية والجغرافية الاستثنائية، على الرغم مما نتمتع به من إمكانات هائلة لتحقيق مصالحنا الوطنية.

د. لطفيان: لتقديم وجهة نظري لإضافتها إلى ما قاله زملائي في هذا المجال، أدرجت القضايا نفسها التي أشاروا إليها، ولكن مع اختلاف في الأولويات... هناك موضوع ـ كما أشار الدكتور سجاد بور ـ أننا نعيش إلى جوار هذه المنطقة، وقد تزيد هذه المنطقة في أهميتها على منطقة الشرق الأوسط بالنسبة لنا. وأعتقد أننا لم نفهم بعد الظروف التي تعيشها هذه البلدان، نظراً لحداثة استقلالها. ويمكن القول إننا إذا ما قمنا بمقارنة هذه المنطقة بالمناطق التي نهتم بها وننفق الأموال عليها ونصرف من مصادرنا الوطنية عليها ونوفد أفضل ديبلوماسيينا إلى عواصمها، فإننا نلاحظ إغفالنا لهذه المنطقة. وهذا مدعاة للأسف، لأننا نتمتع بموقع جغرافي ـ سياسي مهم، ولدينا من المزايا الفريدة قياساً مع البلدان الأخرى المجاورة للمنطقة. ولكن ما زالت أمامنا فرص للقيام بدور أساسي في هذه المنطقة.

يمكن تقسيم القوى الأجنبية الموجودة في آسيا الوسطى والقوقاز إلى مجموعتين: الأولى هي القوى السياسية الفاعلة «الجيوستراتيجية»، أي تلك التي تمتلك القوة والعزيمة والتي تؤدي دوراً مهماً في المنطقة، والمتمثلة في روسيا وأميركا وألمانيا وفرنسا والصين. أما الثانية فتتمثل في الأقطاب الجغرافية ـ السياسية «الجيوسياسية»، والتي تضم كلاً من إيران وتركيا. وهذان الأخيران يتمتعان بموقعين جغرافيين مناسبين، ويتركان تأثيرهما في البلدان الأخرى في مجال السياسة الخارجية، سواء شئنا أم أبينا. ويعني ذلك أن نهج السياسة الخارجية الإيرانية ينطوي على أهمية بالغة للقوى الرئيسة في المنطقة. لذا، فإن الموقف السلبي لتلك القوى من السياسة الخارجية الإيرانية يمكن أن يكلفها ثمناً باهظاً. وأما التعاون مع إيران، فيمكن أن يحقق لها منافع كثيرة، لأن هذه السياسة بوسعها أن تساعد تلك البلدان على بلوغ أهداف سياستها الخارجية.

إنني أوافقكم الرأي في ما يتعلق بالأخطار الجديدة التي أوجدتها هذه البلدان لنا، لأننا أصبحنا اليوم مجاورين لثمانية بلدان بدلاً من مجاورتنا سابقاً لبلد واحد. وإذا ما صارت الحال في هذه المنطقة شبيهة بالحال التي مرّت بها منطقة البلقان، فإن ذلك سيترك آثاراً سلبية في أمننا. وأنا لن أتحدث كثيراً عن الفرص المتاحة لتحقيق الازدهار في التجارة الخارجية مع بلدان هذه المنطقة، وقد لا نستطيع - في هذا المجال - منافسة البضائع الصناعية التي تنتجها أميركا أو روسيا، لكننا قادرون على ملء أسواق هذه البلدان ببعض السلع، كالمن والسلوى والمواد الغذائية. لكن تركيا استطاعت أن تحل مكاننا في مجال الصناعات الغذائية.

د. أطهري: هل ترك تغيّر الأجيال في إيران تأثيره في السياسة الخارجية الإيرانية؟

د. سجاد بور: يمكن أن يكون لنا بحث مطول في هذا المجال. على أن هذا الأمر يرتبط برؤية الجيل الجديد للعالم، أو بالضغوط التي يتركها سوق العمل وانفتاحه - والرؤية إلى العالم الذي يحيط به - على السياسة الخارجية. لكن البحث يدور أساساً حول نوعية القوة الشمولية الوطنية التي ترتبط بها السياسة الخارجية، والمسألة غير قابلة للتجزئة. وعلى الرغم من صوابية ما يقال بأن هناك - في الجانب التنفيذي - قسماً متخصصاً بإدارة السياسة الخارجية، فإن هذا القسم يمثل الجميع. وكمثال على ذلك، يطلق على السفارة بالممثلية، وهي ترتبط بمجمل النوعية والقدرة التي تتمتع بها البلاد.

د. أطهري: بعد التوصل إلى الإجماع في الرأي بخصوص المواقع في كل المجالات الحضارية والاقتصادية والأمنية، وكذلك الفرص التي يتيحها لنا الجوار، فإن ذلك يدفعنا جميعاً إلى معرفة مدى التأثير الذي تتركه العلاقات الإيرانية - الروسية في هذا الموقع. فالرؤية الإيرانية إلى روسيا كانت سلبية دائماً، خاصة إذا ما أخذنا في الحسبان النيات الاستعمارية الروسية، والحروب التي خاضتها إيران ضد روسيا. ولكن هذا الوضع تغير بعد ثورة تشرين الأول/أكتوبر ١٩١٧ في روسيا، لدرجة أنه قيل «لولا ثورة أكتوبر لكانت سيادة إيران على أراضيها مهددة» نظراً للتقاسم الذي كان قد تم الاتفاق عليه بين الحكومتين الروسية والبريطانية.

بعدد الثورة الإسلامية، كانت مواقف المسؤولين الروس تجاه الثورة الإسلامية سلبية. وبعد انهيار الاتحاد السوفياتي، اعتبرت روسيا هذه المنطقة بمثابة فنائها الخلفي، ودفعت باتجاه تأسيس مجموعة الدول المستقلة (CIS) التي تضم روسيا والدول المستقلة عن الاتحاد السوفياتي. وطبقاً للاتفاقيات الثنائية، تضطلع روسيا بمهمة الحفاظ على السلام هناك، كما هي الحال في طاجيكستان حالياً، أو في جورجيا، والتي يطلق عليها تسمية «النظام البوتيني». وتم استنباط ذلك من آخر زيارة قام بها الرئيس الروسي فلاديمير بوتين إلى جمهورية أذربيجان. وتقوم روسيا بهذه المهمة على غرار ما هو سائد في منظمة الأمن

والتعاون في أوروبا، وكان نموذج ذلك في قره باغ. إذاً، تتمتع هذه المنطقة بأهمية بالغة بالنسبة لروسيا، ويجب أن نعرف مدى تأثر هذه الأهمية بالعلاقات الإيرانية ـ الروسية.

د. كولائي: أعتقد أن العلاقات الإيرانية ـ الروسية لها تأثير مباشر وفوري في العلاقات ببلدان آسيا الوسطى والقوقاز. لقد كانت روسيا تنظر إلى إيران من منظار الرؤية الغربية السائدة في روسيا، ومفادها أن إيران تمثل تهديداً إسلامياً لها، وأن تركيا هي البلد المؤهل للتعاون لتنمية العلاقات بشكل شامل. وهذا التقييم هو جزء من الرؤية الروسية إلى نفسها وإلى المنطقة والعالم. إلاّ أن موقع الجمهورية الإسلامية الإيرانية ـ مع الأخذ في الحسبان ما يجري في طاجيكستان ـ ذو أهمية كبيرة، ويترك أثره في العلاقات بين إيران وروسيا. وتنعكس نتائج هذه العلاقات بشكل واضح على آسيا الوسطى والقوقاز... صحيح أن أهمية العنصر الجغرافي والرؤية الجيوسياسية لقضايا المناطق المختلفة ـ وخصوصاً في العقود الأخيرة من القرن العشرين ـ تراجعت بفعل التقدم التكنولوجي الحاصل في العالم. إلا أن هذا العنصر أعيد طرحه مجدداً بعد انهيار الاتحاد السوفياتي والتحولات الطارئة في منطقة آسيا الوسطى والقوقاز، ومنطقة بحر قزوين، وبات موضوعاً مؤثراً وجديراً بالاهتمام.

إن الجمهورية الإسلامية الإيرانية، بما تمثّل من تركيب سكاني واجتماعي وتراث تاريخي وثقافي، تفرض نفسها على روسيا باعتبارها عنصراً مؤثراً في تحولات المنطقة. وقد بات أثر هذا الحضور واضحاً ـ على أقل تقدير ـ في طاجيكستان. وقد تعزّز هذا الموقع مع التحول الطارئ على الرؤية الروسية لإيران والشرق الأوسط والعالم عموماً، والتغيير الحاصل في السياسة الخارجية الروسية، وتنظيم علاقاتها بجمهوريات آسيا الوسطى والقوقاز. ومن خلال تحديد أهمية هذا الموقع ودور المنطقة في السياسات التي تنتهجها بلادنا، ينبغي النظر إلى طبيعة العلاقات الإيرانية ـ الروسية باعتبارها عنصراً محورياً وفاعلاً، ويجب أن يحظى باهتمامنا.

إن التحولات التي أشرنا إليها جاءت بتأثير من الرؤية الغربية التي كانت سائدة في روسيا، وكان يتم على أساسها تحديد طبيعة العلاقات الروسية بالجمهوريات المستقلة، وخاصة في آسيا الوسطى والقوقاز. وهذا يحتم اعتبار دول هذه المنطقة دولاً وطنية ومستقلة. لكن ينبغي أن تؤخذ في الحسبان الرؤية الجديدة التي تهتم بالخصائص والالتزامات الجيوسياسية لذلك البلد الذي تقع ثلاثة أرباع مساحته في آسيا. فروسيا تتابع علاقاتها بهذه الجمهوريات برؤية جديدة. بعبارة أخرى، نجد أن الرؤية الأمنية الروسية تتغير تماماً، تبعاً لطبيعة تأثير التحولات في المنطقة في الأمن القومي الروسي. ويعود هذا التحول إلى عهد وزير الخارجية الروسي السابق يفغيني بريماكوف... في الواقع ليست السياسة، التي ينتهجها الرئيس الروسي فلاديمير بوتين، إلاّ استمراراً للسياسة التي انتهجها بريماكوف، وتحديداً في ما

يتعلق بموقع روسيا وعلاقاتها ببلدان الشرق الأوسط، وقبل ذلك علاقاتها الداخلية ببلدان مجموعة الدول المستقلة، والعلاقات الروسية بالجمهوريات الأخرى. على أن التحولات، التي تبلورت بعد انهيار الاتحاد السوفياتي لناحية العلاقات الروسية بالجمهوريات المستقلة. أكدتْ أهمية العلاقات الإيرانية ـ الروسية باعتبارها عنصراً أساسياً في تنظيم العلاقات الإقليمية وتنظيم علاقات الدول الرئيسة الأخرى بهذه البلدان، كما تؤكد على الاعتبارات الاقتصادية والسياسية لهذه البلدان.

د. أطهري: أدعو المهندس شيخ عطار لتوضيح هذا المطلب، وأن يذكر لنا كيف نستطيع أن نقول إننا لا ننتهج سياسة مؤيدة لروسيا. هناك كثيرون في إيران ممن يعتقدون أن إيران لديها ميول غربية! لدرجة أنه يشاع أن زيارة وزير الدفاع الإيراني أو رئيس الجمهورية الإيراني إلى روسيا جاءت من أجل تهدئة الأوضاع، وأن ميول إيران نحو الغرب أكثر مما هي نحو روسيا... فلماذا لا يتم تشكيل مجموعة ضغط (لوبي) روسية في إيران؟ هل يؤدي العنصر الثقافي والفكر السلبي الذي يحمله الإيرانيون تجاه روسيا دوراً في هذا الجانب؟ إننا نجد أنه على الرغم من انقضاء فترة طويلة من الاتصالات الثنائية، فإن العلاقات الإيرانية ـ الروسية ظلت مقتصرة على الجوانب العسكرية والأمنية فقط.

المهندس شيخ عطار: علينا أولاً إلقاء نظرة تاريخية إلى وزن روسيا ومكانتها في المنطقة... قد تكون هذه المنطقة من المناطق التي لا يمكن اعتبارها روسية أو مستعمرة روسية، ولا ينطبق عليها تعريف «المستعمرة» بالشكل الذي كان لدى الأوروبيين في الهند أو إفريقيا، وفي مناطق أخرى من العالم. كما قامت في هذه المنطقة حالة من السخط بين شعوبها على الروس، على الرغم من اضطرارهم إلى اللجوء إلى روسيا. فمنذ مجيء القياصرة الروس إلى هذه المنطقة، لم تفلح روسيا قط في تنفيذ سياسة تبديل المنطقة وانصهارها في روسيا الكبرى، حتى أنّ المثقفين وقادة القوقاز كانوا يعتزون بأنهم لم يقبلوا الانتماء إلى روسيا قبل العهد الشيوعي. وتجدر الإشارة إلى أنّ أوائل الذين فتحوا نوافذ التنوير الفكري الغربي على إيران، من أمثال آخوند زاده وطالبوف، كانوا قوقازيين، وكانوا يحاولون عملياً إخفاء انتمائهم للدولة الروسية. وقد حصلت انتفاضات ضد الروس للتعبير عن سخط شعوب هذه المنطقة، منها انتفاضة الشيخ منصور وانتفاضة الشيخ شامل في جمهوريات آسيا الوسطى وما وراء القوقاز.

والنقطة الأخرى هي أنه علينا أن نفصل بين أوضاع روسيا في القوقاز وأوضاعها في آسيا الوسطى، سواء في عهد القياصرة أو في عهد الحكم الشيوعي أو ما بعد انهيار الاتحاد السوفياتي. فقد كانت منطقة القوقاز ذات أهمية خاصة للروس على الصعيد الأمني والاقتصادي، إذ أنها قريبة من البحر الأسود ومن أوروبا، وكانت أقليات مسيحية

أرثوذوكسية تقطن هناك. كما أنها تنطوي على أهمية بالغة بالنسبة للروس في المجالات الأمنية، لأنها قريبة من مراكزهم الاقتصادية، في حين كانت آسيا الوسطى، وخاصة في عهد القياصرة، وحتى في العهد الشيوعي ـ تعتبر مناطق متخلفة تقطنها شعوب قبلية. وكان الروس ينظرون إليهم على أنهم رعايا من الدرجة الثانية أو الثالثة. أضف إلى ذلك أن مصادر الطاقة في تلك المناطق لم تكن قد اكتشفت بعد... في الواقع كان الروس العاديون ينظرون إلى تلك المناطق نظرة سلبية، بسبب تحملهم نفقات التنمية فيها، في حين لم يبدوا تلك النظرة حيال أذربيجان أو أرمينيا أو جورجيا. ويتجلى هذا الموضوع في الدور الذي اضطلع به أبناء أذربيجان وأرمينيا وجورجيا في دولة القياصرة والحكم الشيوعي، قياساً بالدور الذي أُنيط بأبناء منطقة آسيا الوسطى. ففي عهد القياصرة، شغل عدد من أبناء جورجيا مناصب وزارية في الحكومة المركزية بموسكو. وفي الاتحاد السوفياتي كان ستالين من أصل جورجي، وكان عدد كبير من أولئك الذي يقودون أجهزة الاستخبارات والسياسة الداخلية والخارجية الروسية من الأرمن. وكان حيدر علييف ـ الذي يشغل حالياً منصب رئيس جمهورية أذربيجان ـ الرجل الثالث في الحزب الشيوعي السوفياتي. وكان القوقازيون يتسلمون مناصب عليا في الجهاز الحكومي. إلا أن التركمان والكازاخيين والأوزبك قلّما وصلوا إلى مناصب عليا في أجهزة السلطة في موسكو. والنقطة الأخرى تعود إلى موقف الإيرانيين من روسيا. فقد كنا ننظر دائماً إلى جارنا الشمالي كعامل تهديد، ولم تحظ روسيا قط ـ في أي وقت من الأوقات ـ بمحبة مثقفينا وعلمائنا وأبناء شعبنا. وكان الشعب الإيراني يمقت بشدة الساسة الإيرانيين الذين يتحدرون من أصل روسي، أمثال ميرزا علي أصغر خان أتابك المعروف بروسوفيل.

وعندما تحولت روسيا إلى نظام شيوعي، اعتبرناها تهديداً جديداً يحدق بنا. وكانت سياستنا الخارجية تجاه الاتحاد السوفياتي السابق ترتكز ـ بشكل أساس ـ على الجانب الأمني. وعندما ننظر اليوم إلى الملفات المتبقية في وزارة الخارجية، نجد أن الرؤية إلى الاتحاد السوفياتي ما زالت ترتبط بالتهديد الأمني. لذا بقي هذا النمط يسود حتى بعد الثورة الإسلامية، ولم تنجح وزارة الخارجية في تقديم تحليل مناسب بشأن انهيار الاتحاد السوفياتي. فالتحليل الذي تم تقديمه ـ في الطاولة المستديرة التي عُقدت في مكتب البحوث السياسية والدولية بوزارة الخارجية، إثر انهيار الاتحاد السوفياتي ـ كان من أضعف التحليلات التي طرحها الخبراء الإيرانيون آنذاك حول هذا الموضوع. ومن الواضح أن بلادنا تفتقر إلى خبراء في شؤون روسيا وشؤون الاتحاد السوفياتي. فخبراؤنا أكثر قدرة على تقديم تحليلاتهم السياسية حول العرب والأتراك وأوروبا والعالم الغربي، في حين نفتقر إلى خبراء في شؤون روسيا، سواء قبل الثورة أو بعدها. وبعد انهيار الاتحاد السوفياتي بقي الغموض مع الروس على حاله لأننا لم نستطع أن نقيم مواقف روسيا تقييماً صحيحاً،

متناسين دورها في آسيا الوسطى والقوقاز. هكذا، عندما كان الأذريون يجتازون نهر أرس الحدودي سباحة للوصول إلى الجانب الإيراني، كانوا يطلبون منا القرآن الكريم، فكنا نتعامل - في بادئ الأمر - مع هذه الظاهرة تعاملاً عاطفياً، باعتبار أن الشعب الأذري هو شعب مسلم شيعي تشده الرغبة للإسلام، وكانت هذه الأمور في محلها، وكنا نتصور أن الهيمنة الروسية على تلك المنطقة قد أنهت حركة تحرر شعب أذربيجان، وكنا نعتبر حركتهم شبيهة بحركات التحرر التي تشهدها المستعمرات. وكان هذا التحليل ناجم عن تصورنا الخاطئ للروس. ولكن، وبعد مضي أعوام عدة، تحسن الوضع شيئاً فشيئاً، وأصبحنا أكثر معرفة بالروس، على الرغم من أن هذه المعرفة ليست بالمستوى المطلوب.

إنّ تحليلنا لسياستهم مقارنة بباقي البلدان المجاورة لنا، أقل بكثير من معرفتنا ببقية البلدان المجاورة لروسيا. وكما ذكرت الدكتورة كولائي، فإن عدم نجاحنا في هذا الجانب يعود - بشكل كبير - إلى هذا السبب... واليوم، ربما يعتبر تضخيم الدور الروسي أو التقليل من شأنه، من أكبر الأخطاء التي نواجهها في هذه المنطقة. ومن المؤسف أننا نرى هاتين الحالتين. إذ تارة يدور الحديث حول هذه المنطقة بشكل وكأن المنطقة مستعمرة لروسيا، وتارة يتم الحديث عنها وكأنها منطقة محررة ومنتفضة ضد روسيا؛ وكلتا الحالتين خاطئتين. لذا يجب معرفة موقع روسيا في هذه المنطقة، لأن عدم معرفتنا لهذا سيلحق بنا المزيد من الضرر في هذه المنطقة.

د. لطفيان: أعتقد أن الروس بمقدورهم افتعال تحديات ومشاكل أمام سياستنا الخارجية، وخصوصاً في آسيا الوسطى والقوقاز، أي أن مصالحنا ومصالحهم تتعارض في بعض المجالات. ويتجلى أوضح دليل على ذلك في تقاسم مصادر الطاقة في بحر قزوين، ومدّ خط أنابيب نقل الطاقة إلى البحار المفتوحة. ولكن هناك مجالات أخرى تربطنا معهم يجب التأكيد عليها... أرى أن علاقاتنا الراهنة بروسيا قد تنطوي على جانب كبير من الأهمية؛ ولعل أهميتها لروسيا تكون أكبر، وقد يكون الجانب الاقتصادي أهم من الاعتبارات الأمنية. ونعلم - طبقاً للتوقعات الروسية - أنهم وقعوا معنا عقوداً أمنية وعسكرية ستدر عليهم - في الأعوام المقبلة - نحو ٣٠٠ مليون دولار سنوياً. وطبقاً للتوقعات الإيرانية، ينبغي على إيران أن تدفع نحو سبعة مليارات دولار إلى روسيا. لذا، فإن الجانب الاقتصادي بالنسبة لإيران سيصبح أقل أهمية من الجانب الاستراتيجي.

والنقطة المهمة في هذا الجانب هي: هل أن أهمية علاقاتنا مع روسيا ناجمة عن واقع أن روسيا أكثر من غيرها، قامت بضمان حاجتنا الأمنية والعسكرية أم أن اندفاعنا نحو روسيا جاء كردّ فعل لإبطال مفعول الحظر الأميركي المفروض علينا، واعتبارنا ذلك سبيلاً للحصول على التكنولوجيا المتطورة؟ نعلم أن العلاقات القائمة على صفقات الأسلحة لم تكن علاقات أمنية وعسكرية صرفة، بل إنها تنطوي على جانب سياسي كذلك. فقد تشتري السلاح

والأجهزة والمعدات العسكرية، ولكن عندما يتم شراء السلاح من أي دولة وموافقة تلك الدولة على وضع الأسلحة المتطورة في خدمتك، فإن ذلك يستدعي اهتمامك بتلك الدولة التي تقدّم لك تلك التكنولوجيا. أعتقد أنه يمكن أن يكون لنا موقع مستقل في المنطقة بمعزل عن الروس. بكلام آخر، إن بلدان آسيا الوسطى والقوقاز تميل إلى إيران للحفاظ على توازن القوى. وعليه، فإن تحسين علاقاتنا مع روسيا سيترك، في بعض المجالات، أثراً سلبياً في علاقاتنا بهذه البلدان التي تبدي المزيد من الحساسية اتجاه استقلالها وحريتها في التعامل مع الآخرين. أما في ما يتعلق بالسؤال الثالث الذي يرتبط بتوازن القوى الإقليمية المتمثلة في إيران وتركيا من جانب، وأميركا وروسيا من جانب آخر، فإن التنافس يصبح أمراً طبيعياً. وكمثال على ذلك، فإن بعض السياسات الأميركية، كدعمها لتوسيع حلف شمال الأطلسي نحو الشرق، أو الجهود الحثيثة التي تبذلها أميركا لتعزيز نفوذها في المنطقة، وخاصة في ما يتعلق بمصادر الطاقة في بحر قزوين، تقلق القيادة الروسية، والقيادة الإيرانية. لذا تبذل روسيا محاولات لإعادة علاقاتها الأمنية ببعض بلدان آسيا الوسطى.

أشارت الدكتورة كولائي إلى طاجيكستان. وهنا ينبغي ألا ننسى إنّ طاجيكستان هي الدولة الوحيدة بين دول آسيا الوسطى التي ما زالت تحتفظ فيها روسيا بقوات عسكرية وقوات الحدود، بل إن مناورات مجموعة الدول المستقلة وتمارينها العسكرية تُجرى في طاجيكستان. ولا يخفى أن أميركا تشعر بالقلق تجاه هذه الاتصالات والمناورات، وتخشى أن يؤدي ذلك إلى إعادة النفوذ الروسي إلى هذه المنطقة. في المقابل، أعرب المسؤولون الروس عن قلقهم حيال السياسات التوسعية الأميركية في بلدان آسيا الوسطى. كما أن التنافس بين تركيا وإيران في أسواق آسيا الوسطى أدى إلى مضاعفات غير مرضية لإيران. وأعتقد أنّ الشيء المؤكد هو أن أي دولة من هذه الدول الأربع لن تفلح في فرض هيمنتها الكاملة على المنطقة بسبب وجود مانعين رئيسيين في هذا الجانب: الأول يتمثل في بلدان المنطقة نفسها. وقد أشرت قبل ذلك إلى الحساسية التي تبديها هذه الدول تجاه استقلالها، ذلك أنها لا ترغب في أن تكون تابعة لتركيا أو لإيران أو لأميركا أو لروسيا؛ الثاني هو أن المشكلات الداخلية والتحديات الاقتصادية التي تواجهها هذه الدول، والمسافة الجغرافية التي تفصل بينها وبين المنطقة، والمشكلات السياسية والاقتصادية لكل من تركيا وإيران، تشكل مانعاً رئيسياً أمام تحقيق أهداف السياسة الخارجية لهذه الدول.

ثمة نقطة أخرى مهمة هي أن التعقيدات في قضايا السياسة الخارجية تتحول أحياناً إلى ألعاب لا تؤخذ مأخذ الجد. ففي الدراسات الاستراتيجية، يلاحظ وقوع هذا الخطأ، سواء من جانب الأميركيين أو الروس أو الأوروبيين، أو حتى من جانبنا نحن الإيرانيين، إذ نتصور إمكانية تبديل سياستنا الخارجية المعقدة إلى لعبة بسيطة جداً. وكنموذج على ذلك، تحدث

بريزنسكي عن لعبة الشطرنج، وتصور أن ساحة الشطرنج تشكل ساحة للتنافس في تلك المنطقة. فإذا ما أردنا نحن أو القوى الأخرى تشبيه علاقاتنا ببلدان آسيا الوسطى والقوقاز بلعبة الشطرنج، فعندها لا يبقى مجال للتعاون. ويعني هذا أننا نزيل من حسابنا التعاون الثنائي أو المتعدد الأطراف في المنطقة... إلى ذلك نحن نعتبر أن التنسيق الإقليمي والاتحاد بين دول المنطقة يشكلان خطراً علينا، في حين يهدف التعاون بين هذه الدول إلى حلّ المشكلات الأمنية الداخلية والاقتصادية، أو مشكلات التنمية التي تعاني منها هذه الدول، وفي آخر المطاف تساعد على استقرار الأمن الإقليمي، ويمكن أن ينطوي ذلك على نتائج إيجابية.

د. أطهري: لقد أشار المهندس شيخ عطار إلى أنه عندما هيمن الروس على آسيا الوسطى والقوقاز، كانت هذه المنطقة من مناطق العالم الثالث ضمن الإمبراطورية الروسية، وبقيت على حالها. ولكن ينبغي علينا عدم نسيان دور روسيا في تحقيق التنمية الاقتصادية في هذه البلدان، بل قيل إن موسكو هي المركز، وإن آسيا الوسطى والقوقاز هي الأطراف في هذه الإمبراطورية.

د. سجاد بور: أعتقد أن البحث يدور عموماً حول ثلاثة محاور: الأول، حول روسيا؛ والثاني، حول رؤية بلدان المنطقة إلى روسيا؛ والثالث، حول العنصر الروسي في العلاقات الإيرانية بدول تلك المنطقة. بالنسبة إلى روسيا، تبدو ضرورية الإشارة إلى نقاط عدة... ذكرتم أن رؤية إيران إلى روسيا كانت سلبية دائماً. إنني أصحح الفكرة على النحو الآتي: إن رؤية إيران إلى تلك القوة التي كانت تنوي الهيمنة عليها كانت سلبية... فاللعبة ذات منحى واقعي، ويكون فهمها بسيطاً جداً، ولا فارق بين الدولة التي تنوي الهيمنة على إيران، سواء كانت تلك الدولة العراق أو روسيا. فالشعب الإيراني -كبقية شعوب العالم- قاوم محاولات الهيمنة. أما أن نكون معارضين للروس ذاتياً، فينبغي علينا كما أعتقد أن ندقق أكثر في بحثنا للشواهد والوثائق في هذا الجانب. ومن الطبيعي أن تكون لدينا تجارب مرّة وأخرى جيدة في هذا المجال. ولكن ينبغي إمعان النظر في ذلك بدقة. وعلى الرغم من تطلع إيران نحو بلدان أخرى بدل اتجاهها نحو روسيا، فإن التطورات التي تجري في روسيا تترك آثارها بقوة في إيران، سواء على الصعيد الأمني أو على صعيد التنوير الفكري. حتى التحليلات المتعلقة بانهيار الاتحاد السوفياتي وغيرها، والتي كانت مدار بحث مباشر أو غير مباشر في النقاشات بين المتنورين والمثقفين في إيران، فقد تركت آثاراً واضحة فيهم. لذا ينبغي اعتبار روسيا أكثر من عامل أمني صرف، أي أنها كموضوع فكري كان لها تأثيرها الفاعل في المعادلات الداخلية الإيرانية على صعيد الحوار التنويري. أما في ما يتعلق بروسيا والمنطقة، فهناك رؤيتان مختلفتان للخبراء في الشؤون الروسية. وتقول الأولى إن الروس ما زالوا يسعون للهيمنة الكلاسيكية التي بدأوها في القرن السابع عشر الميلادي، وتكاملت في القرن الثامن عشر، ثم

تواصلت بعد وصول الشيوعيين إلى السلطة. أما الثانية فتقول إن على الرغم من أن الاتحاد السوفياتي فرض هيمنته، فإنه أدى أيضاً دوراً إيجابياً في تنمية هذه المنطقة. وفي الواقع تدعو هذه الرؤية، التي طرحها الخبراء في الشؤون الروسية، إلى إعادة النظر في العلاقات بروسيا... وفي روسيا أُثير نقاش مشابه لهذا الموضوع، لا سيما حول الفائدة التي تجنيها روسيا من سيطرتها على طاجيكستان، وهي ترسل قواتها العسكرية إلى هناك ليُقتلوا، أو توفد مهندسيها إلى هناك لتنفيذ بعض المشاريع. وتدور مثل هذه النقاشات في الدوائر المختلفة، وكذلك في أوساط الخبراء الاستراتيجيين الروس. وتنظر كل من هذه الدوائر إلى الموضوع من زاوية معينة. فعلى سبيل المثال ينظر سولجنستين إلى الموضوع من الزاوية الروسية الدينية والمعنوية والمناهضة للماركسية. أما الآخرون من حملة الفكر الماركسي، فلا ينظرون إلى هذا الموضوع من الزاوية نفسها. على أنّ الواقع هو شيء يتوسط هاتين الرؤيتين، وأن روسيا كانت تعمل في هذه المنطقة لتوفير الأمن لنفسها، وأنها استفادت، دائماً - عبر القرون الثلاثة الأخيرة - من هذه المنطقة في التنافس الجغرافي السياسي العالمي، وستواصل استفادتها منها. وكان الروس في الوقت نفسه مضطرين إلى توفير التنمية في هذه المنطقة؛ تنمية أدت إلى إزالة الأمية منها، وتنمية المؤسسات العلمية والجامعية فيها، وساعدت هذه البلدان على التطور على مستوى بلدان العالم الثالث، على الرغم من أنها لم تحظَ ربما من الناحية المعيشية بوضع مناسب. لذا، فإن المزج بين هاتين النقطتين أمر صائب... والنقطة المهمة الأخرى في ما يتعلق بهذه المنطقة هي أنها لم تنفصل عن الاتحاد السوفياتي طوعاً، وأن عبارة عسكراقايف التي قالها بعد عام أو عامين من انهيار الاتحاد السوفياتي لا يمكن نسيانها، إذ قال «إنّ انهيار الاتحاد السوفياتي هي أكبر كارثة حلّت في القرن». على أن ما أدى، في المراحل الأخيرة، إلى انهيار الاتحاد السوفياتي جاء نتيجة الصراع في موسكو بين صفوة المفكرين الروس أنفسهم. وكان الانهيار في الجمهوريات السوفياتية آخر مراحل هذه العملية. فعلى الرغم من وجود بعض المقاومات في تلك الجمهوريات ضد الاتحاد السوفياتي، وبعضها كان خطيراً جداً، يجب ألا ننسى عدم مساهمة تلك الجمهوريات في هذا الانهيار.

كانت منطقة القوقاز أكثر بلدان آسيا الوسطى مقاومة للاتحاد السوفياتي، حتى في أذربيجَان التي شهدت مقاومة بوجه روسيا، لم يكن الانفصال عن السلطة المركزية في موسكو مطروحاً بين عامي ١٩٩٠ و ١٩٩١ بالقدر الذي كان يحظى به النقاش حول الحريات السياسية. وعليه يجب إدراج وجهة النظر هذه في التحليلات التي تقدّم بهذا الخصوص.

النقطة الأخرى هي أن تقسيم الجمهوريات على هذا النمط جاء حصيلة للعهد السوفياتي، أي أننا لم نألف قبل مئة عام بلداً يسمى طاجيكستان، على الرغم من وجود الشعب الطاجيكي، وهو شعب عريق، ولغته الفارسية بقيت على ما كانت عليه. ولم نألف في ذلك العهد جمهورية

باسم تركمانستان، أي كان الاتحاد والارتباط أوثق مما يمكن اعتبارها أقسام منفصلة طبيعياً عن جسم الاتحاد السوفياتي السابق. أما في يتعلق بالدور الروسي في العلاقات بين إيران وهذه المنطقة، فهناك ثلاثة أمور جديرة بالاهتمام: الأول هو أنّ إيران وروسيا هما العاملان الأساسيان في الحفاظ على التوازن في هذه المنطقة، ما يعني أن منطقة آسيا الوسطى والقوقاز تتمتعان بعنصري استقرار، هُما إيران وروسيا، علماً أن الجغرافيا السياسية هي التي تفرض مثل هذا المنطق. وما حصل هو أن الروس كانوا يسيطرون على هذه الأجواء التي باتت أكثر انفتاحاً، وتشكل منطقة عازلة، أي أنها استعادت دورها التقليدي العازل "Buffer Zone".

الأمر الثاني يعود إلى الفوارق الرئيسة الموجودة بين إيران وروسيا من الناحية الهيكلية، على الرغم من الدور الذي تضطلع به إيران وروسيا في تحقيق التوازن... لقد عملت روسيا لقرنين من الزمن لتحقيق الإنسجام بين هذه المنطقة وروسيا. وفي المقابل، فإن التلاحم بين إيران وهذه المنطقة انقطع منذ ٢٠٠ أو ٣٠٠ عام. على أن روسيا تنوي إعادة بناء الترابط الثقافي الذي كان سائداً. وينبغي القول - في هذا المجال - إن الموضوع لا يرتبط بالأرض فحسب، وإنما - بشكل ما - بمكانتنا الدولية، أي بطبيعة العلاقات الإيرانية بالعالم الغربي، والتي تنطوي على أهمية بالغة، وأن جانباً منه هو أن إيران ما زالت تخضع لحظر التسلح من جانب أوروبا والولايات المتحدة الأميركية. وعليه، فإن الخيار الإيراني في مجال التسلح لا يعتبر خياراً مفتوحاً ليتيح المجال للبحث والحوار في هذا المجال. وتجدر الإشارة إلى أنّ موضوع علاقات التسلح الإيراني - الروسي بات يطرح بشكل رتيب خلال بحث العلاقات الروسية - الأميركية. ففي اللجنة الروسية - الأميركية التي كان يرأسها رئيس الوزراء الروسي السابق تشرنوميردين، ونائب الرئيس الأميركي السابق آل غور، كان دائماً يتم بحث موضوع مبيعات الأسلحة الروسية إلى إيران. في الواقع حصل الروس على نوع من الاعفاء ليتمكنوا من التعاون مع إيران في مجال التسلح لغاية انتهاء مدة العقد الذي وُقّع بين الجانبين في عهد الزعيم السوفياتي السابق ميخائيل غورباتشوف. ولكن إدارة الرئيس الأميركي جورج بوش لها سياسة أخرى ينبغي إدراجها في إطار ما يجري في باقي مناطق العالم.

المهندس شيخ عطار: أبدأ حديثي من النقطة التي انتهت عندها الدكتورة لطفيان... فروسيا لم تمنحنا «شيكاً على بياض»، بل عندما نقارن بين التعاون العسكري الروسي مع كل من إيران والهند، نجد أن علاقات الهند مع الغرب أفضل من علاقات إيران بالعالم الغربي، ومع ذلك، فإن إفادتها من روسيا، سواء من الرقائق أو الأجهزة والمعدات لا تقارن بحجم إفادة إيران. لذا، فإن زيارة وزير الدفاع الروسي سرجيف إلى إيران قد أُستغلت إعلامياً من جانب العالم الغربي وضُخمت أكثر مما تستحق، في حين أن هذه الزيارة لم تحقق لنا مكسباً ملموساً وواضحاً. إذ لم يتم في تلك الزيارة التوقيع على أي عقد، ولا صحة للمعلومات التي تحدثت عن

بيع أسلحة روسية لإيران في زيارة وزير الدفاع الروسي لطهران بقيمة سبعة مليارات ونصف مليار دولار... النقطة التي طرحها وزير الدفاع الروسي هي أن روسيا لا تنظر إلى إيران كسوق لتصريف الأسلحة، وإنما تعتبرها صديقاً جاداً واستراتيجياً.

د. أطهري: أعتقد أن من الأفضل أن نولي اهتمامنا لموضوع الأطراف الإقليمية الأربعة والقوى الأجنبية. ففي مجال التنافس بين إيران وتركيا من جانب، وبين روسيا والولايات المتحدة من جانب آخر، يجب القول إنه إذا كان التنافس يستند إلى قواعد، فإن ذلك لا يثير أية مشكلة. المهم ألا يتحول الخلاف إلى تعارض وتناقض، بل إن القضايا السياسية والاقتصادية والثقافية تسير على نحو يخدم مصالح المنطقة... إننا نعلم أن الإدارة الأميركية لا تسمح باستثمار الملايين من الدولارات في صناعات النفط والغاز الإيرانية. غير أن أولئك الذين يسيطرون على مراكز القرار في الإدارة الأميركية هم من الولايات النفطية، واختاروا شخصاً يدعى سبنسر أبراهام وزيراً للطاقة الأميركية. وهو يشارك مساعد الرئيس الأميركي ديك تشيني الرأي في انتهاج الشركات النفطية سياسة الانفتاح. ونحن نعلم أن بوش وتشيني كانا يحظيان بشكل رئيس بدعم الشركات النفطية. وهنا يشار إلى أن ديك تشيني كان يحتل منصب وزير الدفاع في عهد رئاسة جورج بوش الأب، وكان مسؤولاً خلال حرب الخليج الثانية عن الحفاظ على احتياطات النفط الهائلة في المملكة العربية السعودية والكويت.

د. كولائي: لو أردنا تقديم تحليل حول موضوع التنافس الإيراني-التركي، والروسي-الأميركي، إلى جانب القضايا المرتبطة بالمصالح الإيرانية والروسية في آسيا الوسطى والقوقاز، فمن الضروري أن نأخذ في الحسبان أهداف تركيا وأميركا في المنطقة المذكورة.

أما في ما يتعلق بموقف تلك الجمهوريات بعد انهيار الاتحاد السوفياتي، فإنها كانت تواجه خيارين محددين، هما الخيار الذي كانت إيران تستطيع تقديمه كبديل للعهد الشيوعي في إعادة البناء؛ والخيار الذي كانت تقدمه تركيا لهذه الجمهوريات. ونلاحظ وجود تعارض أساسي في حضور البلدين، على الرغم من الجهود المبذولة لإنكار وجود مثل هذا التعارض في رحاب التعاون الإقليمي في إطار منظمة «إكو». إلاّ أن نشاط «إكو» العملي يُشير إلى جدية هذا التعارض والخلاف في وجهات النظر في مواقف البلدين. على أن ما حدث إثر انهيار الاتحاد السوفياتي أدخل المنطقة في تطورات جديدة ومنعطف جديد، الأمر الذي أدى إلى ظهور تقييم وتفهم جديدين فرضتهما الظروف المستجدة.

لم يكن خيار جمهوريات آسيا الوسطى والقوقاز الاستقلال، بل إن التطورات التي حدثت في موسكو أوجدت أمامها فرصة لاختيار موقعها في العلاقات الجديدة، وكذلك شركاءها التجاريين الجدد. وكان طبيعياً أن تبحث كل من إيران وروسيا وتركيا عن خياراتها. وينبغي أن نشير إلى الموقع الجغرافي لبلدان المنطقة مدار البحث، لا سيما لناحية افتقارها إلى حدود

بحرية. والمؤكد أن انهيار الاتحاد السوفياتي أوجد في آسيا الوسطى والقوقاز، وكذلك في روسيا، نوعاً من الرومانسية السياسية، وتظهر أصداؤها بشكل ما في أميركا. وتعني هذه الرومانسية السياسية عدم الاهتمام بالحقائق والالتزامات الجيوسياسية في المنطقة. فالعثور على شركاء تجاريين جدد دون الاهتمام بالمعطيات، ومنها كون هذه البلدان داخلية لا طريق لها إلى البحار، يمثل جهوداً غير مثمرة. ويتضح هذا الموضوع بجلاء في منظمة «إكو». ففي عام ١٩٩٢ اتخذت روسيا موقفاً متشدداً حيال الجهود التي تبذلها دول المنطقة للعثور على شريك تجاري جديد أو عن مجموعة جديدة بديلة من روسيا، أي «الإكو». وبرز موقف روسيا من خلال بلورة اتحاد اقتصادي سلافي وتحذيرها للجمهوريات الخمس في آسيا الوسطى ولأذربيجان، علماً أنه لم يكن بوسع الجمهوريات التي انضمت إلى منظمة «إكو» الانضمام إلى عضوية الاتحاد الاقتصادي السلافي، في حين تبدي روسيا حالياً رغبتها في الانضمام إلى منظمة «إكو» كمراقب... لقد أكدت التحولات التي طرأت في الأعوام الأخيرة على عدم فاعلية هذه المجموعة منذ إعادة بلورتها وتعزيزها بعد انضمام هذه الجمهوريات إليها، مع الأخذ في الحسبان الالتزامات الجيوسياسية في المنطقة، وعدم وجود مجالات دعم لمثل هذا النشاط مع توسع منظمة التعاون الاقتصادي.

إنّ الموقف الروسي يؤكد انخفاض إحساس روسيا بالقلق الذي شعرت به في بداية تشكيل «إكو». ويبدو أن التنافس بين تركيا وإيران في منطقة آسيا الوسطى قائم على أساس تقديم نموذجين مختلفين. النموذج الإيراني للتنمية، يعتمد على القيم الدينية، بينما يعتمد نموذج التنمية التركي على التنمية غير الدينية باعتبارها وسيلة لتحقيق أمنيتها بالانضمام إلى الاتحاد الأوروبي، وكذلك لترسيخ نفوذها من أجل تحقيق أحلامها التاريخية في الاتحاد التركي وتوسيع الإمبراطورية التركية التاريخية. إلاّ أن هذا التوجه لم يكن يأخذ في الحسبان الواقع الموجود في المنطقة، والمتمثل في عدم تقبّل شقيق كبير تركي أو أخ مسلم كبير، ويشمل تركيا والجمهورية الإسلامية الإيرانية، خصوصاً بعد تنفيذ سياسات إيرانية ذات اتجاه عملي في آسيا الوسطى والقوقاز في الأعوام الأخيرة.

إلى التنافس الأساسي بين تركيا وإيران، ينبغي علينا أن نأخذ في الحسبان وضع روسيا وأميركا، باعتبارهما يشكلان إطاراً مؤثراً في العلاقات في المنطقة، لا سيما أن آسيا الوسطى والقوقاز تعيدان النظر في الانفصال والاستقلال، لأن جمهوريات آسيا الوسطى وروسيا لا يمكن أن تنفصل بعضها عن بعض بهذه السهولة، نظراً للاعتبارات الأمنية الخاصة. فالأحداث التي جرت في طاجيكستان وجورجيا ومولدافيا، والأهم من كل ذلك في الشيشان، تطرح جدياً إمكانية انتقال عدم الاستقرار وانعدام الأمن في المنطقة إلى داخل الاتحاد الروسي. على أن استراتيجية احتواء الاتحاد الروسي، والتي تتبعها الولايات المتحدة الأميركية، تشكل نوعاً من

إعادة ذكريات الحرب الباردة. فبعد انهيار الاتحاد السوفياتي، بقيت آثار الأفكار القائمة على نظام الحرب الباردة واضحة للعيان في روسيا والولايات المتحدة الأميركية، ولكن من دون أن يتم الاهتمام بها، لأن المجموعات التي كان لها مثل هذه الميول أُزيحت عن مسرح القرار. على أن هذه المجموعات استعادت قوتها خلال الأعوام الأخيرة في البلدين، وهي آخذة في النمو. وعليه، تخضع العلاقات بين إيران وتركيا لتأثير التطورات في العلاقات الروسية ـ الأميركية وبرؤية روسيا إلى العالم.

في ما يتعلق بالعلاقات الإيرانية ـ الروسية، أعتقد أننا لا نُعير الاهتمام كفاية للسلوكيات المحتملة للسياسة الخارجية الإيرانية حيال روسيا والولايات المتحدة، فضلاً عن أننا نعتبر تقييم روسيا للمنطقة والعالم مشابهاً لرؤيتنا وإمكانياتنا. والنتيجة المتمخضة عن مثل هذا التقييم تتمثل في عدم الأخذ في الحسبان حجم هذه العلاقات وعناصرها في تحليلنا للعلاقات الحالية بين روسيا وإيران. ففي جانب من العلاقات الموجودة، يبدو أننا نتيح لروسيا الفرص لمواصلة أهدافها؛ تلك الأهداف التي تفرضها التحولات في العلاقات الروسية ـ الأميركية. لذا نعتقد أنّه ينبغي أن يكون الاهتمام ـ في إطار التنافس بين إيران وتركيا في آسيا الوسطى والقوقاز لتحقيق التنمية ـ ذات صلة وثيقة بالاعتبارات الروسية والأميركية، وكذلك برؤية روسيا إلى ما حولها، والمجال الأمني الذي تحدده روسيا لنفسها في المنطقة، لا سيما أن عدم إقرار الولايات المتحدة الأميركية بهذه المنطقة الأمنية الروسية والجهود المضنية لإزالة أي مجال لتحقيق هذا الهدف، هي من القضايا الأخرى المرتبطة بهذا البحث.

د. أطهري: يقال إنّ إحدى ثغرات السياسة الخارجية الإيرانية حيال قضايا آسيا الوسطى والقوقاز، هي أنّ الإيرانيين يسقطون مفاهيم الحرب الباردة على مرحلة ما بعد الحرب الباردة. فقد أشارت الدكتورة كولائي إلى مفهوم نموذجي التنمية الإيراني والتركي.. إن تركيا نفسها تواجه مشكلات تحول دون اكتسابها عضوية الاتحاد الأوروبي، من قبيل عدم تطابق قوانينها مع معايير الاتحاد الأوروبي، وعدم احترامها لحقوق الإنسان، وغياب حرية التعبير، فضلاً عن أن ما طرحه الرئيس التركي نجدت سيزر حول عدم وجود حرية للعقيدة والتعبير يشير إلى مدى ابتعاد تركيا عن الديموقراطية. هنا أؤكد أن البعض يرفضون نموذج التنمية التركي، لأن هذا النموذج يغض النظر عن الأقلية القومية الكردية والإسلاميين في تركيا، وأخيراً لا يدور الحديث حول النموذج التركي.

الموضوع الآخر هو التفهم الروسي للدور الأميركي في آسيا الوسطى والقوقاز. والسؤال هو هل أن الروس لا يزالون يحملون فكر الحرب الباردة... أي هل نتوقع من روسيا أن تضطلع اليوم بالدور نفسه الذي كانت تؤديه حيال أميركا إبان الحرب الباردة؟ ولماذا نبدي هذا القدر من الحساسية في ما يتعلق بالمشاركة في برنامج سلام حلف شمال الأطلسي الذي يضم بلداناً عدة؟ هناك قضايا أخرى مؤثرة في البنية الأمنية في المنطقة، هو موضوع إسرائيل

والأناضول وتركيا، وكذلك موضوع أذربيجان التي تنوي منح قاعدة لحلف الأطلسي على أراضيها.

د. سجاد بور: في ما يتعلق بالقاعدة والبنية، فإنها أكثر تعقيداً من إيران وتركيا وروسيا وأميركا، لأنها تنطوي على متغيرات أخرى، إحداها موضوع إسرائيل الذي أُشير إليه. وهناك أيضاً موضوع الصين والهند وباكستان. على أن هذه البنية ثابتة وزئبقية. فبعد انهيار الاتحاد السوفياتي بأربعة أو خمسة أعوام، كان البحث حول هذه المنطقة ساخناً، وكان الجميع يرغب في معرفتها والنفاذ إليها. ولكن هذا الحماس الدولي انحسرت حدته حالياً، وقد يستعيد زخمه في المستقبل إثر التطورات العالمية الأخرى... وهناك كذلك ظاهرة العولمة المطروحة حالياً. فهذه المنطقة بعيدة كل البعد عن العولمة، نتيجة للتخلف الذي أصابها. وعليه، إذا كان هذا التعقيد يشكل القاعدة والبنية، فينبغي أن تؤخذ في الحسبان.

أما في ما يتعلق بتركيا وإيران، فيجب القول إنه أريد فرض التنافس عليهما. ولكن إيران لا ترغب في التنافس بالمعنى الذي تتسابق فيه مع تركيا. وقد جاء في تصريحات المسؤولين الإيرانيين أن التنافس المفروض غير جيد، مثله مثل الحرب المفروضة والسلم المفروض. وفي الواقع كانت هذه النظرة هي نظرة المسؤولين في العالم الغربي أيضاً. على أن هذا الأمر مرتبط بالظروف الداخلية العامة. فعلى سبيل المثال، إن القطاع الخاص التركي أكثر جدية ونشاطاً من القطاع الخاص الإيراني، لأن الحكومة في إيران تتولى إدارة معظم قطاعات الاقتصاد الإيراني، وأن ما نفّذه الأتراك كان معظمه من جانب القطاع الخاص التركي، وهو قطاع عالمي مرتبط بالشبكات العالمية. فقد تحولت إسطنبول إلى قاعدة انطلاق للشركات الكبرى المتعددة الجنسية، الخدمية وغير الخدمية. ويُعتبر نيك مانهتان نموذجاً لذلك. وعليه، فإن القطاع الخاص مهم جداً، ولا يكفي وجود إدارة حكومية في هذا الجانب.

النقطة الثالثة، هي أن تركيا لها تناقضاتها الخاصة في شأن هذه المنطقة. فالفكر الأتاتوركي (نسبة إلى كمال أتاتورك) في السياسة الخارجية التركية يقول «علينا الاهتمام بأنفسنا». وهذا الفكر يشكل النواة الأساسية في السياسة الخارجية التركية. فالمسألة ترتبط بالتحديات والإمكانات. وبما أنه لا يُسمح لتركيا بالانضمام إلى الاتحاد الأوروبي، فعليها التوجه إلى آسيا الوسطى. وعموماً، فإن هذه القضايا تجعل تركيا في وضع تحسد عليه.

د. أطهري: عليهم أن يأخذوا في الحسبان موضوع التعاون الإيراني - التركي «اتحاد الشركات» في حقل «الشاه - دنيز». فهناك يجري التعاون بين إيران وتركيا، ولكنهما يختلفان في ما بينهما في مجالات أخرى، فما هو دور الولايات المتحدة الأميركية في هذا الجانب؟

د. سجاد بور: الخلافات قائمة. ففي الإطار السياسي لا وجود للتنافس العدائي أو الودي بشكل مطلق. هناك مجموعة من الملفات التي تحتوي على كل شيء. وما يقال بأن السياسة

الإيرانية تهدف إلى إزاحة تركيا، عار عن الصحة. أما في ما يتعلق بالسياسة الأميركية في هذه المنطقة، فإنها تركز أولاً على حرمان إيران من مدّ أنابيب النفط في أراضيها. والهدف من ذلك هو وضع العراقيل أمام تنمية العلاقات الإيرانية بهذه البلدان. ويشكل هذا الموضوع تحدياً منذ سبعة أو ثمانية أعوام بشكل متواصل... هناك تقييم علمي دقيق يُشير إلى أن السياسة الخارجية الأميركية تجاه إيران هي سياسة أيديولوجية، بمعنى وجود نواة معادية لإيران تعمل بشكل أيديولوجي، وهذه النقطة مهمة جداً.

النقطة الثانية تتمثل في وجود نواة أيديولوجية معادية للروس، وهي ما زالت ملحوظة في السياسة الخارجية الأميركية، وخاصة في ظل الإدارة الأميركية الجديدة، إذ أن فريق السياسة الخارجية الأميركية يضم مجموعة من الخبراء في الشأن الروسي والمعادين لروسيا. وكمثال على ذلك، كانت كونداليزا رايس في مجلس الأمن القومي الأميركي من العناصر المهتمة بقضايا أوروبا الشرقية، فيما يُعتبر وزير الخارجية الأميركي كولن باول ابن ذلك العهد. والأهم من ذلك أن دونالد رامسفيلد وزير الدفاع كان وزيراً للدفاع الأميركي في عهد نيكسون. وعموماً، فإن النواة المعادية لروسيا تسيطر على مراكز صنع القرار. لكن على الرغم من هذه النواة الأيديولوجية، ثمة احتمال كبير في حصول تحول بخصوص آسيا الوسطى وإيران في مجال النفط، أي تحطيم هذه النواة الفكرية على أقل تقدير. فقد أظهرت الشركات الأميركية في الفترة الرئاسية الأميركية السابقة، معارضتها للموقف الأميركي السلبي من إيران، وكانت تأمل أن يسفر وصول بوش إلى الرئاسة عن إعادة النظر واتخاذ بعض الإجراءات في مجال النفط، مع الأخذ في الحسبان المؤشرات الإيجابية التي صدرت عن وزير الخارجية الأميركي. ولكن في ما يتعلق بمد خط أنابيب نقل النفط، يبدو مثل هذا الاتفاق في الوقت الحاضر مستبعداً، وذلك لغياب الصراحة في تصريحات الساسة الأميركيين... والسؤال هو كيف تستطيع إدارة بوش القيام بحل هذه المعادلات النفطية بشكل إيجابي، إلى جانب الضعف النسبي الملحوظ في السياسة الخارجية الأميركية؟

المهندس شيخ عطار: كان للروس حضور تاريخي ينطوي على جوانب حضارية وعسكرية واقتصادية. ولم يُفرض انهيار الاتحاد السوفياتي على هذه البلدان فحسب، بل على روسيا نفسها، وكان قراراً سريعاً جداً ومفاجئاً. فقد كان مقرراً أن يعقد اجتماع رباعي يحضره كل من بوريس يلتسين ورؤساء أوكرانيا وروسيا البيضاء وكازاخستان. ولكن تم استبعاد الرئيس الكازاخي نظر بايف عن الاجتماع لاحقاً، خشية أن يعارض حل الاتحاد السوفياتي السابق... لم يُبد الروس رضاهم عن فقدانهم لتلك المناطق، وهم ينوون الحفاظ على نفوذهم فيها بأي شكل من الأشكال. لذا، فإنهم يعتبرون، في مصطلح سياستهم الخارجية، تلك المنطقة فناءهم الخلفي، أي أنهم يعتبرونها حديقتهم، ومنطقة لنفوذهم وأمنهم.

وهم عازمون على التعويض - بشكل ما - عن الخسائر التي لحقت بهم جراء الانهيار. وهم يزدادون بمرور الأيام ندماً، ويتمنون العودة إلى الماضي. وكمثال على ذلك - قبل عامين - وافق الروس على إخلاء ثكنة عسكرية يرابط فيها لواء من قواتهم في جورجيا. وكان من المقرر أن تُدفع لهم أموال مقابل ذلك، لكنهم يشعرون اليوم بالندم. وتذكر الصحف الروسية أن قرار جلاء قواتهم العسكرية من جورجيا كان قراراً خاطئاً. فهل يعتبر بناء قواعد روسية جديدة في أرمينيا حضوراً حقيقياً لهم في القوقاز؟ وهل يشكل ذلك نموذجاً آخر من حلف «شانغهاي» بمشاركة روسيا والصين وكازاخستان وقرغيزيا وطاجيكستان، والذي ينطوي على تعاون عسكري وأمني بين هذه البلدان؟ إن الرغبة الروسية في إحياء الواقع القديم تزداد مع مرور الوقت. وهذا ليس من أجل اكتساب المزيد من الموارد، بل للحد من الخسائر والأضرار. وقد تعززت دوافعهم في هذا الجانب نتيجة الخطر الذي يشعرون به من الصحوة الإسلامية.

إلى ذلك شعر الروس، في الأعوام الأخيرة، أن الغربيين يحتقرونهم، على الرغم من الانفتاح الذي أظهره كل من يلتسين وتشوبايس وغايدار نحوهم. وكان الرئيس الأميركي السابق بيل كلينتون قد حاول التعامل مع الروس بتحفظ للحيلولة دون انهيار روسيا، في الوقت الذي كان هناك من يعتبر أن روسيا أكبر حجماً بكثير مما ينبغي أن تكون. ومع ذلك كانوا يبدون الحذر خشية انهيارها، لأن ذلك من شأنه أن يثير تبعات خطيرة. ومع ذلك شعرت روسيا بالمهانة والاحتقار، حتى أننا نرى البلدان التي كانت تحت سيطرتها، كجورجيا وأذربيجان ومولدافيا وأوزبكستان، تحولت إلى تابع للغرب في المجالات الأمنية والاقتصادية والعسكرية. ويدور الحديث حول توسيع حلف شمال الأطلسي نحو الشرق.

أما تركيا، فإنها قامت بشراء أربع قطع بحرية من أميركا لنشرها في بحر قزوين. وقد شكّلت هذه الخطوة سابقة خطيرة، علماً أن العقود الموقعة بين إيران والاتحاد السوفياتي في عامي ١٩٢١ و ١٩٤٠، نصت على منع تواجد القوات الأجنبية في بحر قزوين. وعلى الرغم من بقاء تلك القطع البحرية في نهر الفولغا بصورة موقتة، فإن ذلك شكّل تحدياً يدفع روسيا إلى وضع حد له... ومع تسلم بوتين دفة الحكم، أخذت أدوات الحرب الباردة تستعيد قوتها، إذ راح الروس يتحولون اليوم إلى عنصر شديد الفاعلية في المنطقة، ولا يمكن الاستهانة به. كما أن البلدان المستقلة حديثاً شعرت، بعد عشرة أعوام من انهيار الاتحاد السوفياتي، بأن القبر الذي كانوا يبكون عليه كان بلا ميت، وأن تحررهم والوعود التي قطعها لهم الغربيون كانت كاذبة. وكنموذج لهذا التحول الفكري، لوحظ أن تركمانستان، على الرغم من الزيارات المتكررة للشركات النفطية الغربية لها، قامت بتقديم غازها إلى روسيا بعقود طويلة الأجل. وقد سارعت الشركة البريطانية إثر ذلك إلى إغلاق مكتبها في عشق آباد، وأعلنت أن التنقيب عن النفط في حقل آفشور في بحر قزوين بات غير ممكن.. كذلك شعر الرئيس الأذري حيدر

عليف بالارتياح من زيارة بوتين إلى باكو، حيث لم تعد روسيا تفتعل العراقيل أمام عبور نفطها. وعلى الرغم من كل الضجة المثارة حول خط أنبوب «باكو ـ جيحان» التركي لنقل النفط، فإن اتصالات تجري للاتفاق حول زيادة طاقة خط أنبوب «باكو ـ نوفروسيك» الروسي لتمرير نفط باكو عبره إلى الأسواق العالمية... لقد أدركت هذه البلدان أن علاقاتها بموسكو لا يمكن القضاء عليها بهذه السهولة، وأن الوعود التي قطعها لهم الآخرون لم يتم تنفيذها بالشكل المطلوب. لذا يجد الباحث في شؤون بلدان آسيا الوسطى والقوقاز أن روسيا عنصر فاعل في هذه المنطقة، حتى أن بلداناً، كأرمينيا التي حافظت على علاقاتها واتصالاتها بموسكو، لديها مجموعة ضغط قوية في الولايات المتحدة، وهي من أكثر الدول المستفيدة من المساعدات الأميركية في المنطقة. والطريف ـ في هذا الجانب ـ أن الضجة الإعلامية الأميركية تدعي دعم أذربيجان، فيما تحصل أرمينيا على المساعدات الأميركية أكثر من باقي دول المنطقة.

أما في ما يتعلق بتركيا، فيجب القول إنه على الرغم من الحديث ـ من جانب الأتراك ـ عن الاتحاد التركي (النزعة القومية)، واللغة التركية، والعالم التركي، والذئب الرمادي، فإن الأتراك يعلمون جيداً أنها شعارات فارغة، حتى أن لغتهم غير مفهومة بما فيه الكفاية في المنطقة. كما أن شعوب البلدان ذات المصالح المشتركة يتحدثون الروسية في ما بينهم.. إن ما تهدف إليه تركيا هو اكتساب نفوذ لها في المنطقة، في حين كانت هذه المنطقة في فلك الحضارة الإيرانية، وفي فلك القوة الروسية، وليس لدى تركيا أي نفوذ في هذه المنطقة. حتى في العهد العثماني لم يحظ الأتراك ـ مقارنة بإيران وروسيا ـ بحضور يذكر في هذه المنطقة..

في الواقع، إن الأتراك يبحثون عن منطقة نفوذ لهم، وهم يقومون بهذه المهمة إلى حد ما نيابة عن الغرب المتمثل في أميركا وحلف شمال الأطلسي وبالتعاون مع إسرائيل. على أن جانباً من هذه المهمة تقوم به مراكز قوى داخل تركيا بعيداً عن الحكومة التركية. وتجدر الإشارة هنا إلى أن النفوذ التركي في آسيا الوسطى والقوقاز لا يعني بالضرورة نفوذاً للعلمانية، بل إن المسلمين الأتراك والقطاع الخاص التركي ينشطون في هذه المناطق حالياً. إذ يتولى القطاع الخاص التركي إنجاز الكثير من المهمات الاقتصادية في آسيا الوسطى، وليس القطاع الحكومي. ويعمل هناك كثير من المصدرين والمستوردين الأتراك، وهم من المسلمين. وتصدر في باكو نشرة **زمان** التي تثير قلقنا في بعض الأحيان بسبب التنافس بيننا وبين تركيا. ويتولى إدارة هذه النشرة مسلمون أتراك غير علمانيين. وطبقاً للإحصاءات المتوافرة، يقوم المسلمون الأتراك بنشاط إسلامي أكثر منّا في أذربيجان وفي بلدان آسيا الوسطى، كبناء المساجد وتوزيع الكتب الدينية وفتح مكاتب ثقافية إسلامية. إذاً، لا يعني التواجد التركي هناك تواجداً علمانياً معارضاً لإيران، كما لا يعني تبنياً لسياسات الحكومةالتركية. فقد كان أتاتورك نفسه معارضاً للاتحاد التركي.

نحن في إيران نقوم بخلط بعض المفاهيم، ونتصور أن أتاتورك كان من دعاة الاتحاد التركي وانتشار قوميتها. إن تركيا لا تشجع البحوث المتعلقة بالاتحاد التركي، لأن هذه البحوث تحول دون إرساء علاقات تركيا بأوروبا. وفي الوقت الحاضر نتساءل: ما هي النجاحات التي أحرزتها تركيا في آسيا الوسطى والقوقاز؟ للإجابة عن هذا السؤال، ينبغي القول إن تركيا بدأت نشاطها في بادئ الأمر بحملة اقتصادية قوية، لأن القطاع الخاص التركي دخل هذه الساحة مدعوماً بما قدمته الدولة التركية له. وتجدر الإشارة إلى أن العلاقات الاقتصادية التركية مع روسيا، وحجم البضائع المتبادلة بين الجانبين، هي أكثر بكثير مما تتبادله تركيا مع كل بلدان آسيا الوسطى. بعبارة أخرى حققت تركيا نجاحاً أكبر في روسيا، لأن الاستثمارات والبضائع التركية في القوقاز اشتهرت بعدم الجودة، نظراً لعمليات الغش التي مارسها القطاع الخاص التركي في الأعوام الأخيرة في بلدان آسيا الوسطى. كما سجلت لتركيا إخفاقات كثيرة في الحقل السياسي. ومثال على ذلك قام اسلام كريموف بإجلاء الطلبة الجامعيين لبلاده من تركيا خلال ٤٨ ساعة. كذلك لا ترتبط اليوم أوزبكستان بعلاقات جيدة مع تركيا، في حين أصبحت العلاقات الأوزبكية ـ الأميركية أفضل من علاقات كل بلدان آسيا الوسطى بالولايات المتحدة الأميركية. ولكن تركيا أحرزت في أذربيجان نجاحات أكثر، نظراً للقواسم المشتركة معها.

إن التواجد الأميركي في آسيا الوسطى والقوقاز لم تمليه القيمة الذاتية لهذه المناطق، بل جاء أولاً من أجل إيجاد قاعدة لها في المنطقة في وجه روسيا، ومن ثم إيران. لأن روسيا التي يقول المحللون الأميركيون إن المتبقي منها كبير وأكثر من الحد المطلوب، هي مصدر للتهديد. وفي هذا الإطار، فإن ما يهدف إليه حلف الأطلسي من التوسع نحو الشرق، هو احتواء روسيا. وتؤكد كيفية توسعه وطريقة الإعلان عن ذلك مثل هذا التصور... السؤال المطروح الآن هو كيف نبني علاقاتنا بهذه المنطقة؟ من الطبيعي أننا لا نستطيع غض النظر عن روسيا، كما ينبغي علينا عدم تضخيم الأمور، ولا مبرر لأن ندخل المنطقة من طريق النافذة الروسية. ولكن علينا ألا نتعامل مع روسيا كعنصر قوي له حضوره العريق، بل ينبغي أن نُشعرها بأنها في حال عدم تعاونها معنا، لن تتمكن من تحقيق أي تقدم في مشاريعها. وقد تمكنا من تأكيد ذلك في طاجيكستان، وبمقدار أقل نسبياً في أرمينيا، ولكننا كنا نعاني من بعض المشاكل في مناطق أخرى. باختصار كنا ننظر سابقاً إلى حضورنا في المنطقة باعتباره توسيعاً للنفوذ. لكن القلق حالياً من الاتحاد التركي (النزعة القومية)، والقضايا القومية المثارة التي باتت تؤثر في هذا النفوذ، وهو قلق يشبه الانتحار خوفاً من الموت. علينا ألا نتصور أنه ينبغي أن ننسحب من الساحة، وعدم القيام بأي نشاط خوفاً من التهديدات التي يُطلقها بعض الأقليات القومية وأمثالهم. بل العكس من ذلك يجب عدم تضخيم الأمور، لأن هذه الأخيرة لا تشكل تهديداً أمنياً لنا.

د. كولائي: آسيا الوسطى هي منطقة تكثر فيها التحولات. ففي الأعوام الثمانية التي أعقبت انهيار الاتحاد السوفياتي، كانت تركيا في عهد تورغوت أوزال تبحث عن نفوذ لها في المنطقة من منظار النزعة التركية. وكان الاعتقاد السائد هو أن الدولة التركية تستطيع - في الأجواء الجديدة - توسيع نفوذها حتى مناطق آسيا الوسطى. وكان الأتراك يعتقدون أن بإمكانهم الاضطلاع بدور الشقيق الأكبر بدلاً من الشقيق الروسي الأكبر. ولكن هذا التصور واجه الرفض. لذا اتجه النفوذ التركي إلى الجوانب الاقتصادية.

أما في ما يتعلق بالقطاع الخاص التركي ونشاط الرعايا الأتراك في هذه المنطقة، فإن هذا النشاط كان مستحيلاً دون توافر دعم قوي وعزيمة راسخة من جانب الحكومة التركية له. وفي المقابل، فإنّ إحدى مشاكل القطاع الخاص الإيراني - الضعيف في آسيا الوسطى والقوقاز - تتمثل في فقدان الدعم الحكومي الحقيقي له في نشاطاته. وعليه يبدو أن الحكومة التركية كانت أكثر دراية من الحكومة الإيرانية، وتعاملت مع مستلزمات المنطقة ومقتضياتها. وكمثال على ذلك، نلاحظ تأسيس جامعة في كازاخستان باسم «جامعة الشيخ أحمد يسوي»... أقدمت تركيا - لضمان نفوذها الدائم في المنطقة - على دعم نشاطاتها الأساسية هناك، كالدعم الذي تقدمه لرعاياها وللقطاع الخاص التركي للقيام بدور فاعل في المنطقة. وألفت الانتباه إلى أساس التنافس لهذا الحضور، نظراً للنموذجين المختلفين للتنمية الإيراني والتركي.

أمّا التنافس الروسي - التركي، فإنه يتأثر بالتراث التاريخي والجيوسياسي لرؤية البلدين لقضايا المنطقة، على نحو يطرح احتمال ضلوع الحكومة التركية في قضايا الشيشان، وضلوع روسيا في قضايا الأكراد الانفصاليين في تركيا. وتطلق كل دولة اتهاماتها ضد الطرف الآخر. كما أن كلاً منهما يبذل محاولات لاستغلال هذه الفرص ضد الطرف الآخر. طبعاً، يجب النظر إلى هذا الموضوع في إطار العلاقات الروسية - الأميركية وطبيعة هذه العلاقات. كما ينبغي الاهتمام بالتحولات الطارئة على هذه العلاقات، خصوصاً لناحية علاقات إيران وتركيا مع كل من هاتين الدولتين وبلدان المنطقة.

المهندس شيخ عطار: هناك نقطة يجب أن أشير إليها في شأن الدول النافذة في المنطقة، ويرتبط ذلك بدور فرنسا الأخير. فقد أبدى الرئيس الفرنسي جاك شيراك شخصياً اهتماماً خاصاً بحل قضية قره باغ، وذلك في لقائه بالرئيسين الأرميني والأذربيجاني، وحقق بذلك تقدماً ملحوظاً في هذا الجانب. وقام شيراك بهذه الخطوة بتأييد من الروس والأميركيين، علماً أن فرنسا استطاعت في الفترة الممتدة بين عامي ١٩١٩ و ١٩٢١ القيام بدور جيد في أذربيجان وأرمينيا وجورجيا - قبل احتلال هذه الدول من قبل ستالين. لذا يجب إضافة فرنسا إلى الدول النافذة في هذه المنطقة.

د. أطهري: ما هي المجالات التي تتيح لإيران توسيع نفوذها في آسيا الوسطى والقوقاز؟

وما هي نقاط الضعف في هذا الجانب؟ وما هي المقترحات التي يمكن تقديمها لتفعيل سياساتها الخارجية؟ تطرق الدكتور سريع القلم لهذا الموضوع في كتاب له في الآونة الأخيرة، وتساءل فيه عن إمكانية قيامنا بتشكيل كتلة مع هذه البلدان... هل نستطيع ذلك أم لا؟ يؤكد سريع القلم على العلاقات الديبلوماسية والاقتصادية والسياسية مع هذه البلدان نظراً لضعفها. ومن خلال وجهات النظر المطروحة، ما هي المجالات التي تكفل لنا نفوذاً في بلدان آسيا الوسطى والقوقاز؟ هل هذه المجالات سياسية أم اقتصادية أم تجارية أم أمنية؟

د. لطفيان: أعتقد أن الفرص سانحة في المجالات كافة، سواء في قطاعات الأجهزة والمعدات، أو في الرقائق والبرمجة، ويشمل ذلك الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والعسكرية والدفاعية. وعلى المدى القصير نستطيع إعداد مجموعة من الخطط لحل مشاكلنا المشتركة، وكذلك العمل على تحسين العلاقات ببلدان آسيا الوسطى والقوقاز. ويبدو أن موضوع البيئة يشكل أحد المجالات المهمة جداً... إن إحدى مخلفات الاتحاد السوفياتي في هذه المنطقة تتمثل في دمار البيئة في هذه البلدان التي تعاني اليوم من مشاكل كثيرة، وخصوصاً في بحيرة الأورال. وقد طرح هذا الموضوع - في الآونة الأخيرة - من جانب قرغيزيا التي ذكرت أن الاتحاد السوفياتي دفن النفايات السامة الصناعية أو الذرية في مناطق مختلفة من هذه البلاد دون علم مسؤوليها. وكان القاطنون في المنطقة لا يعلمون بوجود هذه النفايات المدفونة على مقربة من مناطقهم السكنية. وقد دعا هؤلاء في المؤتمرات التي عقدت، في الآونة الأخيرة، بلدان المنطقة والمجتمع الدولي إلى مساعدتهم لحل هذه المشكلة.

ثمة مشاكل أخرى تعاني منها هذه البلدان، تتعلق بالمراعي وتحسينها، والاهتمام بالمناظر الطبيعية في المناطق الجبلية لاستقطاب السياح إليها. وهناك موضوع آخر يتعلق بإدارة مصادر المياه. وكانت إيران قد أجرت مفاوضات مع بعض هذه الدول للتعاون معها في إدارة هذه المصادر، وكل ما يتعلق بالبيئة... كما أن تعاون إيران مع بلدان آسيا الوسطى والقوقاز - في الجانب الأمني - يُسهم في إعادة السلام إلى ربوع هذه المنطقة، والحيلولة دون أفغنة هذه البلدان. ومن المعلوم أن بعض الفعاليات تم إنجازها في هذا المجال، إذ قامت مجموعة (٢+٦) «البلدان المجاورة لأفغانستان» بمساعدة الأمم المتحدة، وبالتعاون مع روسيا وأميركا. إلاّ أنّ هذه الجهود لم تكن كافية. كما أن إيران قامت بدور الوسيط في قضية قره باغ، وكذلك فرنسا كان لها دور في الوساطة أيضاً. ولكن الوساطة الإيرانية قد لا تجد لها صدى في الجانب الأذربيجاني، ولكنها مرحب بها من أرمينيا.

المجال الآخر الذي يمكن أن نؤكد عليه - على المدى القصير - يتمثل في التعاون في مواجهة الإرهاب... إن موضوع الإرهاب الدولي بات مهم جداً. فباستثناء تركمانستان، وقعت أربعة بلدان من آسيا الوسطى على عدد من الاتفاقيات في مجال مكافحة الإرهاب. إلاّ أن أكثرية هذه

البلدان تهتم بالحفاظ على أمنها الداخلي فقط، وقلّما تبدي اهتماماً بالأمن الجماعي لدول المنطقة... إنّ بعض مشاكلنا مشتركة مع بلدان آسيا الوسطى، وكمثال على ذلك التهديدات التي تطلقها المجموعات المتطرفة الموجودة في الخارج. وثمة جانب آخر يرتبط بضغوط الهجرة من الخارج، والتي تشكل مشكلة مشتركة لنا مع طاجيكستان، وكذلك تهريب المخدرات من جانب الجماعات الإرهابية للحصول على الأموال لإنفاقها على نشاطاتها الإرهابية... نستطيع أن نزيد من تعاوننا في هذا الجانب. ونظراً لخبراتنا في هذا المجال، يمكننا أن نؤدي دوراً فاعلاً في هذه المنطقة. أما في ما يتعلق بالحفاظ على أمن الحدود، فسيكون لإغلاق الحدود الطاجيكية في وجه المجموعات الإرهابية نتائج إيجابية في المنطقة.

على الرغم من كل هذه الآفاق المتاحة، نلاحظ أن دولة، كإسرائيل، استطاعت تحقيق نجاحات أكبر هناك. وكمثال على ذلك، استطاعت إسرائيل القيام بنشاطات اقتصادية مهمة في أوزبكستان. وعلى الرغم من حجم استثماراتها، فإنها دخلت السوق. وتقدم الحكومة الأوزبكية الدعم للتجار والمستثمرين الإسرائيليين. ولكن يجب أن نشير إلى أنّ نجاح إسرائيل هناك جاء نتيجة دعم العالم الغربي لها.

لقد استطاعت إيران دخول أسواق آسيا الوسطى منذ بداية التسعينات، لكنها خسرت فرصاً كثيرة للاستثمارات التنموية هناك. ويجب أن نقر بأننا لم نعمل بما فيه الكفاية في هذا الجانب. والنقطة الأخرى هي أن الجميع ـ في هذه الندوة ـ أشاروا إلى موضوع الطاقة وأهميتها في المنطقة، واتفق الجميع على أن الدول الغربية، وأميركا تحديداً، وضعوا العراقيل أمام الشركات الأجنبية التي تنوي الاستثمار في حقول الطاقة الإيرانية، أو المساهمة في مشروع مدّ إنبوب نقل النفط من بحر قزوين إلى جنوب إيران. لكن عندما يكون لدينا مشروع تنافسي جاهز نعرضه على بلدان آسيا الوسطى لتصدير إنتاجها من الطاقة للخارج، فإن ذلك يؤدي إلى إبطال مفعول الحظر الاقتصادي على إيران، ويضع الأميركيين أمام الأمر الواقع.

د. أطهري: هل هناك إمكانية لتقديم اقتراح في شأن تشكيل منظمة للأمن والتعاون في آسيا الوسطى والقوقاز... على أن تضم إيران والبلدان الإسلامية في تلك المنطقة؟ وما هي الموانع التي تحول دون تحقق هذه الفكرة؟

د. لطفيان: من خلال البحث في التركيبة القائمة، يتضح أن روسيا وأميركا تشكلان المانع الرئيس لهذه الفكرة... طبعاً، تقوم السياسة التي تنتهجها أميركا على احتكار الهيمنة والسيطرة الكاملة. إلاّ أنّ هذه الاستراتيجية لم تكن ناجحة، وثمة سياسة أخرى تعرف بسياسة الإحتواء... إن أميركا لديها الرغبة في تنشيط المؤسسات التي كانت موجودة إبان الحرب الباردة وإعادتها للساحة؛ وإحدى هذه المؤسسات هو حلف شمال الأطلسي، علماً أن الاستراتيجيين الأميركيين طرحوا فكرة توسيع هذا الحلف ليمتد إلى آسيا الوسطى والقوقاز

لضمان الحاجات الدفاعية لبلدان المنطقة، لأن أميركا قد تجد نفسها ـ على المدى الطويل ـ مضطرة لخفض تواجدها في المنطقة؛ وفي مثل هذه الحال يقترحون تشكيل نظام أمني جماعي تحت إشراف حلف الأطلسي أو أميركا... إن مثل هذه النُظم الأمنية موجودة حالياً تحت إشراف البلدان المستقلة ذات المصالح المشتركة. أما لو أردنا إرساء نظام أمني مستقل تماماً بين بلدان آسيا الوسطى والقوقاز وإيران، دون تدخل روسي وأميركي، فإن ذلك يبدو صعب التحقق، حتى في المستقبل البعيد.

د. كولائي: من أجل إدراك مجالات تنمية التعاون والإمكانات المتوافرة أمام إيران لضمان مصالحها الوطنية في آسيا الوسطى والقوقاز، فإن تجارب الأعوام الماضية تبدو مفيدة لنا. فقد حصلت تغيرات في تقييم بلدان المنطقة لإمكانيات تنمية علاقاتها ببلدان من خارج المنطقة، وكذلك في تقييم الأخيرة لإمكانات تنمية تواجدها في المنطقة، وعلاقاتها معها خلال الأعوام الماضية... إنّ تراجع رغبة البلدان من خارج المنطقة في تعزيز حضورها في آسيا الوسطى، يعود ـ إلى حد ما ـ إلى جغرافية المنطقة وتأثيراتها في الأساليب التجارية والتنمية. فقد كان عقد شركة «شيفرون» النفطية الأميركية مع كازاخستان عام ١٩٩٢ من أهم العقود النفطية في المنطقة. إذ وقعت هذه الشركة عقدها النفطي بمنطقة «تنكيز» بقيمة نحو ٢٠ مليار دولار. ولكنها ـ بعد استخراج النفط ـ ظهرت أمامها معضلة كيفية نقل النفط المستخرج إلى الأسواق العالمية. فروسيا تفرض شروطاً مشددة على حجم الصادرات النفطية التي يتم تصديرها من كازاخستان عبر الأراضي الروسية.

إلى ذلك ينبغي أن تؤخذ في الحسبان كلفة إنتاج النفط في آسيا الوسطى والقوقاز تمهيداً لتسويقه في الأسواق العالمية. إذ يجب أن تكون الأسعار النهائية قادرة على منافسة المنتجات المماثلة لها في الأسواق العالمية. وسيترك هذا الموضوع تأثيره البالغ في القدرة التنافسية لجمهوريات آسيا الوسطى والقوقاز. وفي ما يتعلق بأذربيجان، يلاحظ أنه على الرغم من توقيع عقود نفطية عدة مع باكو منذ عام ١٩٩٤، لا تزال المفاوضات مستمرة حول الطريق التي قد تصدر نفطها من خلاله إلى الأسواق العالمية. ويرتبط هذا الموضوع بالاعتبارات السياسية في المنطقة. ويعود جانب من هذه الاعتبارات السياسية إلى وجهة النظر الروسية، ومحاولات روسيا القيام بدور الاتحاد السوفياتي السابق. وهناك أيضاً قضايا ترتبط بالجمهورية الإسلامية الإيرانية، والخصائص الطبيعية التي لا يمكن غض النظر عنها، وهي أن إيران أفضل طريق لتصدير الطاقة من جمهوريات آسيا الوسطى والقوقاز ـ وخاصة من أذربيجان ـ إلى الأسواق العالمية. ولكن الاستراتيجية التي تتبعها أميركا في محاولة عزل إيران، لم توفر الفرصة لإيران لتستفيد من هذا المشروع. لذا، أصبح اتصال هذه الجمهوريات بالأسواق العالمية وانتقال إنتاجها من الطاقة إلى الأسواق العالمية عملية بطيئة ومعقدة. وعليه،

ينبغي الاهتمام بتحولات علاقاتنا مع أميركا، وبدور أميركا في المنطقة، وبالفرص المتاحة التي لم يتم استثمارها حتى الآن، وينبغي دراسة السياسة التي تعتمدها إيران حيال بلدان آسيا الوسطى والقوقاز ومنطقة قزوين، وكذلك حيال روسيا. وعلينا ألا ننسى أن السياسة الخارجية الإيرانية ذات صلة بالسياسة الداخلية الإيرانية، وهي امتداد لها. وعلينا الاهتمام بهذه العناصر جميعاً. فعلى الرغم من التحديات والعقبات السياسية، فإنّ الجوار الإيراني لهذه المنطقة، والتراث التاريخي والثقافي بينهما، يسهّل على إيران حضورها ونفوذها في هذه المنطقة. كما أن الضعف الشديد في إنتاج السلع الاستهلاكية في بلدان المنطقة نتيجة تركيز الاتحاد السوفياتي السابق على الصناعات الثقيلة والدفاعية فقط، أتاح لإيران الفرصة لدخول أسواق المنطقة، وتنمية التعاون التجاري والاقتصادي معها. لكن هذه الفرص لم يتم استثمارها، وذلك لعدم كفاية الأجهزة المرتبطة بهذا الحقل - باستثناء الجهاز الديبلوماسي. وهناك عوامل عدة، منها نفوذ الدولة وهيمنتها على التجارة الخارجية. ومع ذلك، ما زالت أمامنا فرص جيدة لتنمية علاقاتنا التجارية والاقتصادية بهذه الجمهوريات.

د. أطهري: هل ترون أن بمقدورنا ترجيح الشمال على الجنوب؟ ولو أردنا العمل في إطار كتلوي... هل لدينا إمكانية للتكتل مع هذه البلدان؟

د. كولائي: يبدو لي أن العوامل السياسية والظروف الجغرافية للجمهورية الإسلامية الإيرانية تمهد الإمكانات التي نحتاجها، وتمكننا من الاستفادة من ظروف المنطقة المحيطة بنا، عبر تنظيم العلاقات مع مراكز القوة في العالم. فالرؤية الروسية للعالم، ووجهات النظر الأوروبية تجاه النظام الدولي المستقبلي، أو وجهات النظر الأميركية والصينية والهندية والقوى الأخرى المؤثرة في المنطقة، مع الأخذ في الحسبان المعطيات الجيوسياسية الإيرانية؛ كل هذه تمهد لنا الطريق للاستفادة من هذه الأوضاع.

لقد تمت الإشارة آنفاً إلى الحضور الفرنسي النشط في قضايا قره باغ، وأريد أن أُذكّر بضرورة معرفة الوسائل والأدوات التي يمتلكها كل بلد لمتابعة مصالحه الوطنية، وأن يستفيد منها بشكل جيد. فقد كان «اللوبي» الأرميني في فرنسا نشطاً في هذا المجال. فإذا ما تمكنت بلادنا من معرفة قدراتها بشكل صحيح وعرفت كيفية استثمارها، فإن دورنا سيختلف عما هو عليه حالياً.

د. سجاد بور: في ما يتعلق بالأسئلة الثلاثة في مجال نقاط القوة لإيران في هذه المنطقة، أو الحقل الذي تستطيع إيران أن تعمل فيه بشكل أفضل، أذكر ثلاثة مجالات: الأول، هو المواصلات والاتصالات. ويعتبر هذا المجال من أقوى المجالات التي تعزز فرص إيران، نظراً لموقعها الجغرافي والإمكانات المتاحة لها؛ الثاني مجال الطاقة. أما المجال الثالث، فيتمثل في الجانب الثقافي والعلاقات الاجتماعية السائدة في هذه المنطقة، والتي كانت تعتبر في الماضي

الحقل الحضاري لإيران، ذلك أن الثقافة الإيرانية تشكل قاسماً مشتركاً مع هذه البلدان... وفي المجالات الثلاثة المذكورة تم إنجاز بعض المشاريع.

أما في ما يتعلق بنقاط الضعف والتحديات، فهناك ثلاث نقاط يمكن طرحها، وقد اختلف في وجهة نظري مع زملائي... أعتقد أن إيران من حيث المحصلة النهائية، كانت ناجحة هناك، وأقصد النجاح بصورة نسبية، وذلك نظراً للحرب والحظر الاقتصادي اللذين فرضا عليها. ولكن قلّما دار الحديث حول هذا النجاح في الداخل أو الخارج. في بعض الأحيان يولي الخبراء الأجانب - ممن يعملون في شؤون المنطقة - المزيد من الاهتمام بهذا الموضوع. وأعتقد أن عدم اهتمام إعلامنا بهذا الموضوع يشكل نقطة ضعف يجب تفاديها. فعلى سبيل المثال يمثل عدم تورط إيران في قضية قره باغ وبقاؤها على الحياد، في حين كان بوسعها، بفعل التركيب السكاني والثقافة والتاريخ، التورط في هذه القضية، أفضل موقف وقفته، ولكنها لم تفلح في الاضطلاع بدور الوسيط، كما فعلت فرنسا حين توسطت بين أذربيجان وأرمينيا، علماً أنّ أي دولة لم تحقق نجاحاً يذكر في هذا المجال لغاية الآن.

من الناحية الإدارية، دخلت إيران آسيا الوسطى كمنطقة جديدة وبدون مقدمات. إلى ذلك، كانت التجربة الإيرانية عام ١٩٩١، مع انهيار الاتحاد السوفياتي، تختلف عما كانت عليه بين عامي ٧٨ - ١٩٧٩. وأعتقد أن التغطية الإعلامية لإنجازاتنا لم تكن بالمستوى المطلوب، ويشكل ذلك نقطة ضعف لنا... لقد كان الاهتمام بآسيا الوسطى - بعد انهيار الاتحاد السوفياتي - كبيراً جداً. إلاّ أن هذا الاهتمام تحول تدريجاً إلى العالم العربي، وإلى تطوير العلاقات بأوروبا. وهذا لا يعني أننا نسينا هذه المنطقة، بل إننا بحاجة إلى اهتمام متوازن. على أن عدم الانتباه لهذا قد يشكل إحدى نقاط ضعفنا في الرؤية الشمولية لسياستنا الخارجية. وقد لاحظت من خلال تجربتي العملية عدم وجود أي حقل من الحقول غير مهم لإيران. فكل حقل من الحقول له خصائصه وميزاته الخاصة. وينبغي على إيران - نظراً لظروفها الخاصة - أن تكون لها رؤية متوازنة. إذ لا يمكن أن نضحي بالشمال من أجل الجنوب، ولا بالجنوب من أجل الشمال، ولا يمكن أن ننسى الشرق ولا الغرب. لذا، فإن عدم وجود رؤية متوازنة في العلاقات بدول العالم يشكل ضعفاً في سياستنا. وفي نهاية المطاف يمكن القول إن المشكلة الدائمة بالنسبة للسياسة الخارجية الإيرانية تتمثل في انعدام التنسيق الكامل... أنا لا أعتبر البيروقراطية وحدها المسؤولة عن ذلك، لأن المسؤولية تقع على عاتق الجامعات أيضاً... فماذا قدّمت الجامعات خلال العقد الماضي الذي أعقب انهيار الاتحاد السوفياتي؟ ما هي الكتب التي ألفتها الجامعات؟ وكم عدد الندوات التي عقدتها؟ وكم عدد المقالات التي كتبتها حول آسيا الوسطى والقوقاز؟ يبدو أن القسم الرسمي للعاملين في حقل السياسة الخارجية يتحمل كل المسؤوليات والمهمات. كما أنّ عدم التنسيق بين الأقسام الخاصة والحكومية، وبين القسم التنفيذي والفكري يعتبر

من نقاط ضعف السياسة الخارجية. وكمثال على ذلك هناك مقالات جيدة تمت كتابتها أو ترجمتها، ولكن ما مدى الاستفادة منها. أما بخصوص المقترحات، فأعتقد أنه ينبغي علينا أن نكون مبدعين في المفاهيم، ويجب أن نرى ظروف المنطقة، وأن يكون تقييمنا دقيقاً لها... لا يمكن أن نتحدث عن المنطقة كلها بمنطق واحد، بل يجب أن نحدد أهدافنا وما نريده من المنطقة. وكمثال على ذلك، هناك فوارق كثيرة بين منطقتي القوقاز وآسيا الوسطى، على الرغم من القواسم المشتركة بينهما. كما يجب أن يكون لنا تحليلنا، ويجب أن يكون واضحاً ما نريد، وهذا يعني القدرة على صنع المفاهيم التي تكفل العمل الإبداعي.

إنّ موضوع منظمة التعاون الأمني هو فكرة يجب إعدادها بشكل جيد وكامل. ويمكن هذه الفكرة أن تشكل أحد المفاهيم. والمقصود هو أننا بحاجة إلى عمل إبداعي في المفاهيم حول هذه المنطقة. على أن ما ينبغي الاهتمام به يتمثل في تحقيق التنمية المتوازنة في المنطقة. فما حدث في أفغانستان شكل وبالاً على كل المنطقة والعالم، والسبب يعود إلى انعدام التنمية في هذا البلد الذي دمرته الحرب. ولنفترض بأننا غير قادرين على تحسين أوضاعنا. لكن البلدان المجاورة لنا تعيش حالة متردية في الجانب التنموي. علماً أن المفهوم الشامل للتنمية يتمثل في بناء السلام والاهتمام بنوعية الاتصال.

د. أطهري: لا ندري هل تمنحون الأولوية للشمال أو للجنوب؟

د. سجاد بور: إنّ رؤيتي متوازنة... يجب ألا ننسى العالم العربي، ولا المناطق الأخرى. وينبغي العمل على ترتيب الأولويات موضوعياً. في الجنوب ما زال موضوعنا هو خلق الثقة، وفي الشمال مدّ خط أنابيب النفط عبر إيران.

المهندس شيخ عطار: السبب في عدم تحقيق النجاحات التي أشير إليها، يعود في جانبه الأكبر إلى انعدام الدراسة الوافية. أوافق الدكتور سجاد بور على ما ذكره بأننا قد حققنا نجاحات لم يتم الإفصاح عنها إلاّ نادراً. فقد كان التنافس السلبي يسود بين إداراتنا الرسمية. فمثلاً، إذا حققت وزارة الخارجية نجاحاً، تنبري لها وزارة أخرى لتحاول التقليل من شأن هذه الوزارة ونجاحاتها. وقد عملنا على إدخال اجتهاداتنا الشخصية في كثير من القضايا. وقد حققنا نجاحاً في قضية قره باغ، من خلال النهج الذي اتبعناه عندما استطعنا تحقيق لقاء بين الوفدين الأذربيجاني والأرميني في طهران. وعلى الرغم من أن هذه الجهود لم تعط ثمارها - بسبب القلق الذي أبداه الروس والأميركيون، وكذلك الهجوم الذي شنته أرمينيا على أراضي أذربيجان، قمنا لاحقاً بجهود ومساع كثيرة بين أرمينيا وأذربيجان. إذاً، ينبغي علينا أن نعرف المنطقة جيداً، وأن نعمل على إعداد عناصر كفوءة وذوي اختصاص لهذا الملف. فالمنطقة تعتبر من حقولنا الحضارية، ولدينا الكثير من الأفراد ممن يحملون مشاعر الود تجاه هذه المناطق، وليس العثور على مثل هؤلاء الأفراد أمراً عسيراً. إنّ عدم الاستفادة من مثل هذه العناصر

يشكل إحدى نقاط الضعف التي نعاني منها. ومن الأمثلة على ذلك، أننا لا نوفد العناصر الكفوءة ومن ذوي الاختصاص إلى كازاخستان في منصب سفير لإيران هناك، في حين يتم إرسال العناصر من ذوي الخبرة والكفاية إلى بلجيكا أو إلى هولندا. أما الدول الأخرى، فإنها لا تتصرف على هذا النحو. وكمثال على ذلك، كان السفير الأميركي في كمبوديا خلال الحرب الفيتنامية أكثر أهمية من سفير الولايات المتحدة الأميركية في هولندا.

يجب علينا أن نعرف عناصرنا، وكذلك معرفة ظروف المنطقة، ونادراً ما توفد وزارة الخارجية خبراء إلى هذه المناطق للقيام بدراسات ميدانية. كما نلاحظ قلة الدعم والتشجيع الذي يُقدّم للطلبة الجامعيين في كتابة أطروحاتهم حول هذه المنطقة... يمكننا أن نحدد أهمية كل منطقة استناداً إلى أهمية العناصر التي نوفدها إليها. كما أن إجراء الاتصالات الشخصية بين قادة البلدان يعد أمراً في غاية الأهمية... إنّ أحد أسباب عدم نجاح تركيا في هذه المنطقة يعود إلى عدم اهتمامها بهذا الجانب. فقد كان تورغوت أوزال يولي أهمية خاصة للعلاقات الشخصية، وخصوصاً برؤساء بلدان هذه المنطقة. لكن بعد وفاته لم يولِ خلفاؤه تلك الأهمية لهذه العلاقات.. يمكننا أن نقيم علاقات في هذه المنطقة في المجالات السياسية والاقتصادية والثقافية، شرط ألا نحصرها في الإطار الحكومي. وينبغي أن تكون الزيارات ضمن النطاق الشعبي. وإحدى المشكلات التي كنا نعاني منها في هذه المنطقة هي أن كل علاقاتنا كانت حكومية. والمؤكد أن الأولوية التي نمنحها في علاقاتنا - وخاصة في خلق أجواء الثقة - ينبغي أن تكون للعلاقات الاقتصادية بالدرجة الأولى، ثم للعلاقات الثقافية، وتليها السياسية، وبعدها يأتي الجانب الأمني. فالموضوع الثقافي يجب ألا يكون حكومياً صرفاً. وعلى سبيل المثال، أوفدنا ملحن مسلسل الإمام علي (ع) فرهاد فخر الديني إلى باكو، فكان تأثير هذه الزيارة أكبر بكثير مما لو أوفدنا مساعد وزير خارجيتنا إلى باكو. لذا ينبغي أن تكون اتصالاتنا الثقافية على المستوى الشعبي، وألا تقتصر الزيارات على الجانب الديني فقط. أما في مجال الاتصالات السياسية، فقد أكدت التجارب أنه تم تحقيق نجاحات أكثر في الشؤون ذات الجوانب المتعددة. ففي مجال مكافحة الإرهاب والمخدرات على الحدود الأفغانية، أُتخذت إجراءات جيدة يمكن أن تشكل انطلاقة لعمل أكثر تنظيماً. وكانت بداية عملنا في هذه المنطقة موفقة - مع الاستفادة من حقلنا الحضاري هناك. لكن بعد فترة تعرّضنا إلى تهديدات من جانب بعض المسؤولين والأحزاب في هذه البلدان، وخاصة في أذربيجان. ولقد أوجد ذلك قلقاً لدى بعض المسؤولين الإيرانيين. لكن ينبغي علينا ألا نخشى التهديدات، ويجب أن نتعامل بصدر رحب، وعلينا ألا ننسى أن المنطقة كانت حقلنا الحضاري. وهذا الموقف أفضل من التقوقع والانطواء على الذات. والأمر الآخر هو أن نعمل على إيجاد الدافع الإيماني في أعمالنا وفي أجهزتنا التنفيذية. ومن المؤسف أننا لم نوفق في هذا الجانب.

أما موضوع الطاقة وخط أنبوب النفط ومشاركتنا في حقل «شاه ـ دنيز» وغيره، فإن الفشل الذي واجهناه في هذا المجال يعود إلى عدم اهتمام وزارة النفط الإيرانية بهذا الموضوع، لأن المسؤولين في وزارة النفط، عندما يدور الحديث حول هذه المنطقة، يشعرون بالارتياح عندما يتفاوضون مع الشركات الغربية أكثر مما لو كانوا يتفاوضون مع الشركات النفطية المحلية الموجودة في المنطقة. إننا نشاهد اليوم اهتمام روسيا المتزايد بهذه المنطقة، في حين كان الرئيس الروسي السابق بوريس يلتسين يسخر من بلدانها. أما بوتين، فإنه ينظر إلى الموضوع بجدية أكبر، ويقوم بزيارة دول المنطقة.

د. كولائي: موضوع مكاسب السياسة الخارجية الإيرانية في المنطقة يكون مقبولاً كواقع. ولكن ينبغي علينا أن نقيس هذه المكاسب بالطاقات والإمكانات التي نمتلكها. .. في ما يتعلق بسياسة الرئيس محمد خاتمي في مجال إزالة التوتر، أعتقد أننا كنا قد بدأنا هذه السياسة انسجاماً مع التطورات التي حدثت في طاجيكستان، قبل أن نعتمدها في المناطق الجنوبية حيال البلدان العربية. ويمكننا أن ننظر بواقعية أكثر للقضايا التي تترك تأثيرها في الجانب الأمني في المنطقة، ونوعية العلاقات الإيرانية ـ الروسية، وإلى قضايا آسيا الوسطى والقوقاز. ويبدو أن هذه السياسة تبلورت منذ النصف الأول من التسعينات في منطقة آسيا الوسطى والقوقاز، مع الأخذ في الحسبان الخصائص القومية والظروف السياسية الإقليمية ووجهات نظر القادة السياسيين الحاكمين في المنطقة حيال الأصولية الإسلامية الإيرانية، لتنمية العلاقات على المستويات المختلفة. كما يمكن أن نشير إلى الدور الإيراني النشط للتوسط في قضية قره باغ، وكذلك إنهاء الحرب الأهلية في طاجيكستان، كأمثلة جيدة في هذا المجال.

د. أطهري: في الختام، أشكر الأساتذة المحترمين على مشاركتهم في هذه الندوة.



دراسات



الدكتور حميد أحمدي*

العلاقات الإيرانية ـ المصرية والنظام الدولي المعاصر

شهدت العلاقات بين إيران ومصر، على مدى القرن العشرين، تقلبات كثيرة.. السؤال الرئيس الذي يطرحه المقال هو حول السبب الذي قاد إلى حصول مثل هذه التقلبات؟ يريد كاتب المقال أن يثبت، من خلال دراسة مسيرة تطور مراحل العلاقة في الفترة المذكورة، لا سيما في النصف الثاني من القرن العشرين، أن التطورات الحاصلة على الصعيد الدولي هي العامل الأكثر تأثيراً في مستوى العلاقات بين إيران ومصر. والحقيقة أن رؤية البلدين لطبيعة النظام الدولي قادت إلى تعكير صفو العلاقات في ما بينهما. ويسلط المقال الضوء على تطور العلاقات الإيرانية ـ المصرية (سلباً وإيجاباً) في مراحل مختلفة من القرن العشرين ـ قبل وبعد الحرب الباردة ـ ويوضح كيف أن البلدين، اللذين يتمتعان بماض حضاري عريق في المنطقة، وقعا تحت تأثير التكتلات الأساسية في النظام الدولي، الأمر الذي أثر في تقاربهما أو ابتعادهما بعضهما عن بعض.

بعد عقدين من حال العداء والحروب الإعلامية بين الجانبين، شهدت العلاقات الإيرانية ـ المصرية خلال السنوات الأخيرة تصريحات و إشارات إيجابية من العلاقات الثنائية، حتى صار مستقبل العلاقات بين طهران والقاهرة يشكل أحد أهم القضايا التي يتداولها المحققون والبحاثة في مجال الدراسات الإيرانية ـ العربية، وكذلك الديبلوماسيون في البلدين. فقد تخللت العلاقات بين إيران ومصر، اللتين تعدان من أعرق الحضارات في الشرق الأوسط، تذبذباً كبيراً طوال القرن العشرين، بل وهبّت عليها أمواج عاتية في النصف الثاني من القرن العشرين على نحو الخصوص، فألقت بها في أرض وعرة تسببت في تمزيق وشائجها وقطعها في فترتين زمنيتين رئيستين: عام ١٩٦٠ وعام ١٩٧٩. ويرى الكاتب أن مسيرة العلاقات المذكورة في القرن العشرين، وخاصة في النصف الثاني منه، تؤكد أن تطورات النظام الدولي تركت

* أستاذ العلوم السياسية في جامعة طهران.

بصماتها على مستوى العلاقات الإيرانية ـ المصرية، وأن البحث عن السبب الأول الكامن وراء توتر العلاقات يجب أن يكون ضمن دائرة الفهم والرؤية المختلفة لكل من مسؤولي البلدين لطبيعة النظام وسياسته. وعلى الرغم من التباين في وجهات النظر والمواقف إزاء النظام الدولي، فإن ذلك لم يمنع البلدين من أن يتوصلا تدريجاً، وانطلاقاً مما تفرضه سيادة المصالح الوطنية والإهتمام بها في كل المراحل، إلى حقيقة مفادها أن تحسن العلاقات الثنائية يخدم مصالحهما الوطنية أكثر من توترها.

من أجل تقييم هذه الفرضية، لابد عند دراسة العلاقات الإيرانية ـ المصرية في القرن العشرين أن يؤخذ في الإعتبار تأثير هيكلية النظام الدولي والمصالح الوطنية. إن الهدف هو أن ندرس تقلبات العلاقة بين إيران ومصر على مدى هذه العقود مع الأخذ بالمتغيرات المذكورة، ونبرهن كيف أن هذين البلدين، اللذين تمتعا بماض حضاري عريق، قيدتهما سلسلة التعهدات الناجمة عن التصنيفات القطبية ضمن النظام الدولي، بحيث باتا ينطلقان بتأثير منها في اعتماد مشروع التعاون أو المواجهة في ما بينهما..

ويدرس هذا البحث حالات التذبذب التي مرت بها العلاقات الإيرانية ـ المصرية والتي راوحت بين التحسن والتوتر خلال مراحل زمنية رئيسة من القرن العشرين، أي مرحلة ما قبل الحرب الباردة وما بعدها. ففي الوقت الذي اتسمت العلاقات قبل الحرب الباردة بالطبيعية والودية، فإن بدء هذه الحرب وتغير بنى وتكتلات القوة على صعيد النظام الدولي مهد الطريق لتوتر العلاقات الناجم في الأساس عن التباين في فهم النخبة السياسية لطبيعة النظام الدولي ومكانة الشرق الأوسط في تصنيفات أقطاب القوة. ومع ذلك تخللت العلاقات بين طهران والقاهرة خلال الحرب الباردة تقلبات ترتبط أسبابها بالتطورات السياسية داخل هذين المجتمعين. فمثلاً، أنهى موت جمال عبد الناصر ومجيء السادات حقبة من توتر العلاقات بين البلدين، بينما كان سقوط الشاه محمد رضا وقيام الجمهورية الإسلامية الإيرانية بداية لمرحلة جديدة من توتر العلاقات.

إيران ومصر في مرحلة ما قبل الحرب الباردة

كانت العلاقات الإيرانية ـ المصرية عموماً، في مرحلة ما قبل الحرب الباردة في أوائل عقد الخمسينات، علاقات طيبة نتيجة تناغم الرؤى بين النخبة الحاكمة في كل من البلدين إزاء التطورات الإقليمية والعالمية. على أن موقع البلدين ومكانتهما في منطقة الشرق الأوسط جعلتهما يحملان أوجه شبه كثيرة. وكان هذا التشابه عاملاً لتقارب المجتمعين. فمثلاً، شعرت إيران ومصر طوال القرن التاسع عشر بنوع من الحاجة للتقارب، وذلك بسبب التهديد العثماني. فالمصريون سعوا منذ عهد محمد علي باشا إلى نيل الإستقلال والتخلص من

سيطرة العثمانيين، وكانوا يعتبرون إيران الدولة القوية الوحيدة التي يمكن الإعتماد عليها في مواجهة العثمانيين. للسبب ذاته اتخذ بعض الإيرانيين المعارضين للدكتاتورية القاجارية، على أعتاب انقلاب المشروطة وما بعده، القاهرة مقراً لنشاطاتهم الفكرية والسياسية. وقد انشغل كلا البلدين، إيران ومصر، خلال هذه المرحلة، في محاربة التسلط الأجنبي، وخاصة الإمبراطورية البريطانية. وتصاعدت وتيرة هذه المواجهة في السنوات التي سبقت وتلت الحرب العالمية الأولى، الأمر الذي خلق نوعاً من الشعور بالمواساة بين النخبة السياسية، وخاصة الكوادر الاجتماعية المناضلة فيهما. فعندما كان دعاة التحرر في إيران عام ١٩١٩ منهمكين في ثورة عارمة ضد اتفاقية وثوق الدولة مع الإنكليز، هب المصريون لإشعال جذوة الكفاح، وبشكل أوسع، طلباً للإستقلال من إنكلترا بعد أن دخلت بلادهم تحت الوصاية البريطانية عام ١٨٨١. وكانت الحكومة الإيرانية، التي كانت تتمتع آنذاك باستقلالية أكثر مقارنة بمصر التي خضعت للوصاية البريطانية؛ كانت تنظر إلى مصر بصفتها أحد البلدان الصديقة المقربة. ولعل من الطريف أن نعلم أن إيران هي البلد الشرقي الوحيد الذي كان له تمثيل دبلوماسي في العاصمة المصرية قبل الإستقلال (١٩٢٢). ثم ارتقى هذا التمثيل، الذي بدأ على مستوى القنصلية العامة، إلى مستوى سفارة مفوضة بعد استقلال مصر [١]. وقد حظي السفراء المفوضون الإيرانيون في القاهرة ،كالميرزا علي أكبر خان وغفار خان وجواد سينكي وسلطان أحمد خان، بمكانة خاصة. في الوقت ذاته كانت مصر أول دولة شرقية فتحت ممثلية لها في طهران[٢]. وهكذا احتل الدبلوماسيون المصريون، أمثال حسن باشا يوسف ونهاد خلوصي بيك ومحمد عزت بيك، منزلة خاصة بين الممثليات الدبلوماسية الخارجية في إيران.

في أواخر الثلاثينات، إزداد نبض العلاقات المصرية-الإيرانية التي شهدت حراكاً قوياً تحت تأثير تطورات داخلية، وأخرى ذات صلة بالنظام الدولي. فعلى الصعيد الداخلي شعر النظامان الملكيان الحاكمان في مصر وإيران بوجود تقارب من نوع خاص في ما بينهما، الأمر الذي حدا برضا شاه إلى التشجيع على تمتين تلك العلاقة الخاصة. وفي عام ١٩٣٨ قام وفد سياسي إيراني رفيع بزيارة القاهرة، وطلب يد فوزية شقيقة الملك فاروق لمحمد رضا شاه كي يتم عبر ذلك توطيد وشائج العلاقة بين أقدم عائلتين ملكيتين في الشرق. فحظيت المبادرة بترحيب الشرائح الاجتماعية المصرية، وكانت إحدى أولى الخطوات نحو تذليل الخلافات بين الشيعة والسنة. فبما أن محمد رضا بهلوي كان يدين بالمذهب الشيعي، وفوزية تدين بمذهب أهل السنة، فقد أثيرت بحوث في الأوساط الدينية والسياسية المصرية حول عدم كون هذا الوصال مناسباً، ولا حتى شرعياً. لكن الإمام الأكبر في الأزهر الشيخ المراغي أصدر فتوى

مهمة جداً، جاء فيها بأنه «لا يوجد في الإسلام ما يدل على منع هذا الزواج»[٣]. وعلى هذا اعتبر القادة السياسيون في مصر، مثل علي ماهر باشا، هذا التغيير عاملاً مهماً في وحدة أتباع المذاهب الشيعية والسنية[٤].

على أن هذا التطور المهم رفع من مستوى العلاقات الديبلوماسية بين البلدين إلى مستوى السفارة، ما أثار حفيظة بريطانيا لأن الأخيرة هي الوحيدة من بين الدول الأجنبية التي كانت تمتلك تمثيلاً على مستوى سفارة في العاصمة المصرية، وهو ما حدا بالسفير الإنكليزي إلى تحذير الحكومة المصرية من أن هذا الأمر سيزيد من توقعات الدول الأخرى، كألمانيا وفرنسا وإيطاليا، بالحصول على تمثيل على مستوى سفير، الأمر الذي يعني أن بريطانيا لن تكون ذات موقع متفرد في القاهرة. لكن الضغوط البريطانية لم تثن الحكومة المصرية عن موقفها[٥].

وفي الفترة نفسها أعربت مصر عن رغبتها في الانضمام إلى معاهدة سعد آباد عام ١٩٢٨، والتي ضمت إيران وتركيا والعراق وأفغانستان، لكن ضغوط الحكومة البريطانية حالت دون إلتحاق مصر بالمعاهدة[٦]. وتزامن ذلك مع أحد أهم التطورات السياسية التي شهدها النظام الدولي.. فظهور ألمانيا النازية بصفتها إحدى كتل القوة العسكرية الرئيسة كان بمثابة تحد للهيمنة والسيطرة البريطانية، وعامل رئيس للموازنة بين القوى في النظام الدولي. وبما أن إيران ومصر تكبدتا، على مدى تلك العقود الماضية، خسائر جمة بسبب السياسات الاستعمارية للإمبراطورية البريطانية، فإنهما، على غرار باقي مجتمعات الشرق الأوسط، مالتا إلى ألمانيا. في هذا السياق، تحولت إيران أواخر عقد الثلاثينات إلى أحد أهم مراكز النشاطات الألمانية في منطقة الشرق الأوسط، علماً أنها كانت تتمتع في هذه المرحلة باستقلالية أكبر، فوسعت من نطاق علاقاتها الاقتصادية والسياسية مع ألمانيا[٧]. أما مصر فلم تستطع نسج علاقات مستقلة مع ألمانيا كإيران، وذلك بسبب التواجد العسكري البريطاني في منطقة قناة السويس ونفوذها في الجهاز السياسي المصري، ما دعا مصر إلى اللجوء لإيران لتكون الجسر الموصل بينها وبين ألمانيا النازية في تطوير العلاقة بين الجانبين[٨]. وبالفعل تحولت إيران إلى إحدى قنوات الإتصال المهمة بين المصريين والألمان. ثم قام السفير المصري في طهران، وبإيعاز من الملك فاروق نفسه، بإجراء اتصالات سرية بنظيره الألماني[٩]. على أنه في الوقت الذي شهدت العلاقات الثنائية المصرية - الإيرانية أواخر عقد الثلاثينات تحركاً خاصاً بفعل العاملين الدولي والداخلي، فإن انتهاء الحرب العالمية الثانية والسنوات التي تلتها خلقت أجواء قللت من دور هذين العاملين في العلاقات بين البلدين.

الحرب الباردة والعلاقات الإيرانية ـ المصرية

أدى النظام الدولي لمرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية، وكذلك فشل مشروع الزواج بين العائلتين المالكتين في إيران ومصر، إلى تدني مستوى العلاقات الثنائية إلى حد كبير، لكنهما لم يتسببا في توتر العلاقات بين الجانبين. إذ أن التطورات الداخلية في كل من إيران ومصر عمّقت التقارب بين التيارات الاجتماعية في البلدين. ولولا انقلاب عام ١٩٥٣ في إيران، لكانت مصر وإيران من أبرز المتحالفين في الشرق الأوسط. ولعل نضال الشعبين ضد التسلط الإنكليزي كان سبباً للتقارب بين التيارات السياسية والاجتماعية في البلدين. فمن جهة كرس الإيرانيون جهودهم وأفكارهم لتأميم صناعتهم النفطية وتحدي الإمبراطورية البريطانية، ومن جهة أخرى راح المصريون في المرحلة نفسها يخوضون كفاحاً مريراً يتخلله العنف أحياناً من أجل إنهاء سيطرة الإنكليز على قناة السويس. وكان المصريون ينظرون بإعجاب لكفاح حكومة الدكتور مصدق ضد الإنكليز ويعتبرونه أسوة لمرحلتهم القادمة من الكفاح. ولعل الترحيب الواسع الذي لاقاه الدكتور مصدق من التيارات السياسية والشعب المصري عندما زار القاهرة عام ١٩٥١ عقب عودته من مجلس الأمن الدولي يكشف مدى صحة هذا الكلام. وفي المرحلة نفسها، منحت الصحف المصرية الدكتور مصدق لقب «زعيم الشرق»[١٠].

لقد جاء انقلاب الضباط الأحرار في مصر عام ١٩٥٢ بنظام كان يمكن أن يكون حليفاً حقيقياً لإيران. لكن التطورات التي شهدتها الأخيرة، أي إنقلاب الثامن والعشرين من مرداد عام ١٣٣٢ (١٩٥٣م)، أضاع هذه الفرصة، لاسيما أن الزعيم الجديد لمصر جمال عبد الناصر وجد نفسه أمام نظام قام بدعم وحماية القوى الأجنبية (أميركا وإنكلترا) بعد أن نُحيَّ الدكتور محمد مصدق عن السلطة في إيران[١١].

التطورات الدولية وتوتر العلاقات

كانت الحكومة الثورية الجديدة في مصر متشائمة إزاء طبيعة الحكومة الإيرانية.. مع ذلك، لم تكن القضية الداخلية وحدها هي العامل الوحيد في توتر العلاقات الثنائية بين الجانبين، بل كان للتطورات المتزامنة على صعيد النظام الدولي دور كبير في هذا المجال. إذ أن قيام الحرب الباردة ألقى بظلاله بعد ذلك على التطورات الداخلية لبلدان المنطقة والعلاقات في ما بينها، وأدى إلى ظهور التكتلات الأيديولوجية والفكرية والسياسية في محوري الشرق والغرب. وكان طبيعياً، في ظل هذه الظروف، أن تتحول منطقة الشرق الأوسط، بسبب أهميتها الاقتصادية وحساسيتها الاستراتيجية، إلى ساحة مواجهة لهذه الحرب الأيديولوجية الفكرية بين الرأسمالية والاشتراكية.

وعلى الرغم من أن أميركا وبريطانيا حاولتا منذ عام ١٩٥٢ تأسيس نوع من التحالفات

الإقليمية ضد الشيوعية في الشرق الأوسط، فإن رفض إيران (في مرحلة الدكتور مصدق) ومصر (حكومة الضباط الأحرار) دفع باقي الدول المحافظة في المنطقة إلى رفض مثل هذه المقترحات أيضاً. ولم يتغيّر هذا الأمر إلا بعد مجيء حكومة الجنرال زاهدي المؤيدة للغرب وسقوط حكومة مصدق. على أن إقامة علاقات بين إيران وبريطانيا أواخر عام ١٩٥٣ وتطورها بين إيران وأميركا فتحا المجال مرة أخرى أمام الدول الغربية لتعمل على إيجاد تحالفات سياسية وعسكرية ضد الإتحاد السوفياتي سابقاً.

عموماً، انفردت كل من الحكومتين الإيرانية والمصرية في هذه المرحلة برؤى خاصة بها في ظل التطورات الحاصلة في النظام الدولي والأصداء الإقليمية، الأمر الذي قاد إلى توتر العلاقات بين البلدين. فبينما كان نظام جمال عبد الناصر يؤيد نوعاً من سياسة عدم الإنحياز والإستقلال عن الكتل (وخصوصاً الكتلة الغربية)، أبدى نظام الشاه استعداده الكامل للإنخراط في الكتل المناهضة للإتحاد السوفياتي في المنطقة. على كل حال، يمكن اعتبار الفترة الواقعة بين ١٩٥٤ و١٩٦٠ بداية توتر العلاقات بين البلدين قبل أن يبلغ ذروته بعد عام ١٩٦٠ بتحوله إلى نوع من العداء، ما أثر سلباً في مستقبل العلاقات بينهما، فضلاً عن أن بعض التطورات الإقليمية في الخمسينات كانت بمثابة عوامل رئيسة لتوتر العلاقات الثنائية تدريجاً؛ هذه العوامل بحد ذاتها تأثرت بشكل ما بالتطورات الناجمة عن خطوات وسياسات اللاعبين الرئيسيين في النظام الدولي، أي الولايات المتحدة الأميركية والإتحاد السوفياتي سابقاً. بعبارة أخرى يمكن رؤية بصمات الحرب الباردة والتنافس الأيديولوجي والسياسي والعسكري بين الكتلتين الشرقية والغربية في كل التطورات الإقليمية الرئيسة التي قادت إلى توتير العلاقات الإيرانية ـ المصرية في الخمسينات، ثم قطعها في ١٩٦٠. وهي تطورات كشفت في الواقع عن حقيقة المواجهة بين الكتلتين في منطقة الشرق الأوسط.

لا بد هنا من الإشارة إلى أن نظام الضباط الأحرار لم يكن يضمر عداءً جاداً لأميركا، بل كان راغباً أيضاً في أن يحظى بدعم واشنطن بهدف إبطال مفعول ضغوط بريطانيا على مصر والتحرر من قيودها. وفي أميركا أيضاً كان هناك بعض التيارات التي ترغب في مثل هذا النوع من العلاقات، مثل وزير الخارجية الأميركي فوستر دالاس. لكن الضغط البريطاني حال دون تحقق مثل هذا التقارب بين الضباط الأحرار والأميركيين، ونجح الإنكليز في نهاية الأمر في جر الأميركيين إلى مناهضة النظام الجديد الحاكم في مصر. وقد بانت آثار التوجه الأميركي من موضوع القرض لمصر في شأن بناء سد أسوان، مما قاد جمال عبد الناصر إلى الإتجاه صوب الإتحاد السوفياتي سابقاً لكسب الدعم المالي والعسكري. ويمكن اعتبار صفقة الأسلحة بين مصر وتشيكوسلوفاكيا السابقة عام ١٩٥٥ بشكل من الأشكال الشرارة الحقيقية الأولى في بدء الحرب الباردة.

وهكذا ساهم عدد من التطورات الإقليمية عام ١٩٥٤ وما بعده في تفاقم حدة التوتر بين إيران ومصر. وكان لهذه التطورات صلة بحلف بغداد (حلف سنتو) لعام ١٩٥٥، وتأميم قناة السويس، والعدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦، ومبدأ إيزنهاور لعام ١٩٥٧، وأزمة الأردن عام ١٩٥٨، وأزمة لبنان عام ١٩٥٨، والعلاقات بين إيران وإسرائيل أواخر الخمسينات. وقد تركت وجهات النظر المختلفة والعقبات الكثيرة والأداء المتباين لإيران ومصر إزاء التطورات أثرها في تصعيد حدة التوتر بين البلدين. وسنتناول في ما يلي بإيجاز هذه التطورات الإقليمية في العلاقات بين البلدين.

حلف بغداد

يعتبر كثير من المحققين أن حلف بغداد هو أول تجليات الحرب الباردة في الشرق الأوسط. وكما أشرنا آنفاً، فإن أميركا وبريطانيا حاولتا منذ عام ١٩٥٢ إقامة معاهدة دفاعية في الشرق الأوسط. لكن معارضة مصدق وعبد الناصر لهذه المعاهدة حالت دون نجاح هذه المحاولة. إلا أن قيام نظام مؤيد لأميركا في إيران بعد انقلاب عام ١٩٥٣ أزاح هذه العقبة. ثم تبلورت محاولات واشنطن ولندن لإقامة مثل هذه المعاهدة لأول مرة خلال محادثات العراق وتركيا منذ عام ١٩٥٤ وما بعده، والتي قادت إلى عقد حلف بغداد عام ١٩٥٥. ومع انضمام إيران وباكستان إلى الحلف برزت ملامح كتلة معادية للشيوعية في منطقة الشرق الأوسط. غير أن جمال عبد الناصر عارض في المقابل بشدة مشاركة العرب في حلف بغداد، وهو ما حال دون انضمام باقي الدول العربية، كالأردن ولبنان والسعودية للمعاهدة. ولعل بالإمكان القول إن انضمام إيران لحلف بغداد هو نقطة البداية للخلافات بين إيران ومصر في المنطقة. إذ اعتبرت الصحف والأجهزة الإعلامية الرسمية في مصر إقامة حلف بغداد محاولة للإلتفاف على ثورة تموز/يوليو في مصر، واتهمت إيران بمعاداة القضية العربية. على أن ما جعل المصريين يتشددون في معارضة حلف بغداد هو المشاركة الفاعلة لبريطانيا في وضع وتنظيم هذا الحلف. بعبارة أخرى كان الإنقلابيون المصريون يعتبرون حلف بغداد تحركاً بريطانياً لضربهم[١٢]. ثم ازدادت حدة العداء إثر العدوان الثلاثي الذي قامت به بريطانيا وفرنسا وإسرائيل على مصر في تشرين الأول/اكتوبر ١٩٥٦. وعلى الرغم من أن أعضاء حلف بغداد بذلوا جهوداً ومحاولات للمصالحة بين بريطانيا وفرنسا من ناحية، ومصر من ناحية أخرى، إلا أن هذه المحاولات لم تثمر عن شيء. ويمكن للمتتبع أن يلاحظ عدم ارتياح جمال عبد الناصر لمواقف إيران في المنطقة وانضمامها لحلف بغداد في حديثه أثناء استقباله في القاهرة للوفد الإيراني[١٣]. ومما زاد الطين بلة موقف إيران إزاء التطورات اللاحقة في الشرق الأوسط، والتي وصفت بأنها معادية لمصر وثورتها. وبما أن إيران أصبحت العضو الرئيس في حلف بغداد عقب انهيار الحكم الملكي في العراق عام ١٩٥٨، وباتت أميركا الحامي الأول لها، فإن مواقف إيران في المنطقة ضاعفت من شحن الأجواء وتلبد سماء العلاقات بالسحب الكثيفة.

مبدأ إيزنهاور

صفقة الأسلحة بين مصر وتشيكوسلوفاكيا عام ١٩٥٥، والتي فتحت الباب أمام الإتحاد السوفياتي لدخول المنطقة، ومن ثم المساعدات العسكرية والاقتصادية السوفياتية لمصر (خاصة بناء سد أسوان)، وكذلك الدعم الذي أبداه العالم العربي لجمال عبد الناصر بعد هجوم الدول الغربية على مصر في تشرين الأول/اكتوبر ١٩٥٦؛ كل ذلك أثار قلق الولايات المتحدة من نمو القوى التقدمية المناهضة لأميركا والمؤيدة للإتحاد السوفياتي. فصدر في حينه مبدأ ايزنهاور (نسبة إلى الرئيس الأميركي في حينه دوايت ايزنهاور)، والذي قام على تقديم المساعدات العسكرية والاقتصادية الأميركية لدول المنطقة والدفاع عنها في مقابل التهديدات الشيوعية. كما أن دعم دول عربية (مثل الأردن ولبنان) فاقم حدة الحرب الباردة التي بدأت مع توقيع حلف بغداد[١٤].

على أن دعم إيران لمبدأ إيزنهاور والدول العربية المؤيدة للمبدأ في مقابل التحديات الناجمة عن الرفض المصري، أدى إلى زيادة التوتر في العلاقات المصرية - الإيرانية. فإيران، بصفتها إحدى الدول الداعمة للإمبريالية الأميركية وعملائها في المنطقة، صارت هدفاً للإعلام المصري والصحف الناصرية في دول، مثل لبنان. ومهد طرح مبدأ إيزنهاور ومعارضة عبد الناصر والناصريين له لظهور تكتلات جديدة بين العرب تجلت ملامحها في تطورات عام ١٩٥٨، والتي يمكن مشاهدتها في تأسيس الجمهورية العربية المتحدة، وأزمة الأردن وأزمة لبنان، حيث قابل المصريون مواقف إيران إزاء التطورات الثلاثة بتذمر شديد.

الوحدة بين مصر وسوريا

مثلت الوحدة العربية أحد الشعارات الرئيسة لحركة القومية العربية في النصف الأول من القرن العشرين. وحولت الناصرية، باعتبارها تجسيداً للقومية العربية الراديكالية، هذا الموضوع إلى واحد من شعاراتها الإستراتيجية.. على أن دعوات السياسيين السوريين المتكررة إلى الوحدة مع مصر من جهة، ودعم الناصريين الواسع للبنان والأردن وسوريا من جهة أخرى، دفعت جمال عبد الناصر إلى الموافقة على الاتحاد بين مصر وسوريا، علماً أن الوحدة بين مصر وسوريا كان بإمكانها أن تمهد لإيجاد كتلة تقدمية عربية جديدة لمواجهة التحديات التي تفرضها بعض التحركات، من قبيل حلف بغداد ومبدأ إيزنهاور.

على أن الاتحاد الذي تبلور في صيغة «الجمهورية العربية المتحدة» عام ١٩٥٨ جمع البلدين، مصر وسوريا، في إطار دولة موحدة وتحت قيادة رئيس جمهورية واحد وعلم وبرلمان وجيش ودستور واحد[١٥]. وكان من الطبيعي أن يثير اتحاد سوريا ومصر قلق الأنظمة العربية المحافظة، وتحديداً العراق والعربية السعودية ولبنان والأردن، والتي راحت

تفكر في مواجهة هذه الخطوة. وتمثل المحاولات المكثفة للعربية السعودية لإفشال الإتحاد من جهة، ومحاولات الأردن والعراق لإقامة «اتحاد هاشمي» لمواجهة الجمهورية العربية المتحدة من جهة أخرى، نموذجين من ردود الفعل.

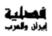
في هذا السياق كان من الطبيعي أن ترفض كل من إيران، باعتبارها حليفة للعراق، وكذلك السعودية، باعتبارها معارضة للمد الناصري لكونه قوة يسارية راديكالية إقليمية، تأسيس الجمهورية العربية المتحدة، وصارتا تدعمان الخط المعارض لهذه الجمهورية. ويعد دعم إيران العلني لجهود الأردن والعراق لتأسيس «اتحاد هاشمي» نموذجاً للمواقف التي لم تسهم فحسب في تدهور العلاقات بين مصر وإيران، وبل في دفع القوى الناصرية والتيارات القومية العربية خارج مصر إلى اتهام إيران بأنها ضد وحدة العرب.

أزمة الأردن

طفت أزمة الأردن على السطح عام ١٩٥٨ إثر وحدة مصر وسوريا، إذ راح معارضو الحكومة الملكية، وهم في غالبيتهم من مؤيدي جمال عبد الناصر، يتحدون النظام، وأطلقوا إشاعات تدل على احتمال وقوع انقلاب من جانب الناصريين ضد الملك حسين، علماً أن مواقف الحكومة الأردنية ضد الجمهورية العربية المتحدة تسببت في تزايد عداء القوميين الناصريين للنظام، مما جعل الحكومة الأردنية تبادر للتصدي لقوى المعارضة بشتى الوسائل. وبلغ بها الأمر إلى أن تدعو القوى الأجنبية، وخاصة البريطانية، للتدخل. أما الحكومة الإيرانية، فقد وقفت إلى جانب نظام الملك حسين، واتهمت عبد الناصر ومؤيديه بالتدخل في شؤون المملكة الأردنية. وهي لم تكتف بالإعلان عن دعمها لمواقف الحكومة الأردنية في قمع الناصريين وسائر المعارضين، بل تجاوزت ذلك إلى الإعلان عن استعدادها للدفاع عن حكومة الأردن وتقديم مساعدات عسكرية ومالية، فضلاً عن وضع قوات إيرانية تحت تصرف الأردن، الأمر الذي ساهم أيضاً في تفاقم حدة العداء بين مصر وإيران. وعلى الرغم من أن الأسطول الأميركي السادس أعلن أنه مستعد للتدخل في الدفاع عن العائلة الهاشمية والقضاء على المتمردين على الملك حسين، فإن الأخير استطاع بمساعدة السعودية التغلب على القوى المتمردة، والقضاء على السياسيين من أنصار جمال عبد الناصر [١٦].

أزمة لبنان

تُعتبر الإضطرابات التي شهدها لبنان أحد النماذج الأخرى للمواجهة بين المؤيدين والمعارضين لمبدأ إيزنهاور.. فالمعارضون لمبدأ إيزنهاور والمؤيدون للقومية العربية الناصرية دعوا حكومة الرئيس اللبناني كميل شمعون إلى مواقف أكثر شفافية في رفض السياسة الأميركية وتأييد الجمهورية العربية المتحدة، فضلاً عن الضغط الشديد الذي مارسه



الناصريون في لبنان على النظام للانضمام للإتحاد. ومنذ أواسط عام ١٩٥٨ وقعت في بيروت اضطرابات ضد الحكومة، فطلب شمعون من القوى الأجنبية، أي بريطانيا وفرنسا وأميركا، المساعدة وإرسال القوات. وبالفعل أرسلت أميركا عشرة آلاف من قوات المارينز (مشاة البحرية) إلى لبنان. كما طلبت حكومة لبنان من الدول المسلمة الأعضاء في حلف بغداد المساعدة أيضاً. وفي هذه الأزمة وقفت إيران بقوة إلى جانب الحكومة اللبنانية، واعتبرت أن جمال عبد الناصر هو المحرّض على تمرد اللبنانيين، كما أنها أبدت استعدادها للدفاع عن لبنان في إطار حلف بغداد ضد أطراف التدخل. وفي أواسط عام ١٩٥٨ عقد زعماء إيران وباكستان وتركيا اجتماعاً في إسطنبول لاتخاذ قرار في شأن الأزمة في لبنان، لا سيما أنهم عاشوا قبل أشهر قليلة تجربة سقوط النظام الملكي في بغداد إثر حركة انقلابية. وعلى الرغم من أن أصحاب النزعة الناصرية دعموا في البداية الإنقلاب في العراق بصفته حركة قومية عربية، لكن هذه الآمال تبددت لاحقاً إثر الخلافات التي ظهرت بين نظام عبد الكريم قاسم في العراق وجمال عبد الناصر في مصر.

العلاقات الإيرانية ـ الإسرائيلية

إثر إغلاق قناة السويس أمام السفن الإسرائيلية بعد عدوان عام ١٩٥٦، تعهدت إيران بمقتضى اتفاقيتها مع إسرائيل عام ١٩٥٧ بتأمين القسم الأكبر من حاجة تل أبيب من النفط. وهكذا ارتقى تدريجاً مستوى العلاقات الاقتصادية بين إيران وإسرائيل إلى حد تبادل الزيارات بين ديبلوماسيي البلدين، ولكن بصورة سرية. وفي عام ١٩٦٠ تزايدت صادرات إيران النفطية إلى إسرائيل إلى الضعف، ثم أرسى الجانبان قواعد تعاون عسكري وأمني واسع بينهما(١٧).

قطع العلاقات بين إيران ومصر

عموماً أدت مواقف إيران إزاء تطورات الشرق الأوسط منذ أواسط عقد الخمسينات (الإنضمام إلى حلف بغداد، وتأييد مبدأ إيزنهاور ودعم حكومتي المحافظين في الأردن ولبنان، والوقوف في صف المعارضين للجمهورية العربية المتحدة) إلى تصعيد حدة الخلافات بين مصر وإيران. ثم جاءت العلاقات بين إسرائيل وإيران لتزيد من تفاقم الأزمة وتدهور العلاقات بين طهران والقاهرة.

إلى ذلك كشف القوميون العرب المؤيدون لعبد الناصر منذ البداية العلاقات السرية بين الشاه وإسرائيل، فاتهموا إيران بحماية الصهيونية والعداء للشعوب العربية. وكانت صحف الجمهورية العربية المتحدة السباقة في هذا المجال. وقد تضافرت كل هذه التطورات لتقود إلى قطع العلاقات بين إيران ومصر عام ١٩٦٠. على أن حدة العداء كانت قد تفاقمت بعد طرد

السفير الإيراني من مصر، وكذلك دعم إيران لانقلاب الضباط في سوريا على اتحاد سوريا ومصر. ومنذ ذلك الوقت تحول الشاه إلى أحد المعارضين الرئيسيين لجمال عبد الناصر وتياره، وظل دوماً يدعم معارضيه. كما أنه شجع الخطوات السياسية والعسكرية السعودية للحد من المد الناصري. وبعد انقلاب الضباط اليمنيين عام ١٩٦٢ وبدء حرب اليمن بين أنصار النظام الملكي للإمام يحيى والضباط الناصريين، قام الشاه مع العربية السعودية بتقديم مساعدات مالية وعسكرية للحكام في اليمن. وهكذا تحول العداء بين إيران ومصر تدريجاً إلى نوع من المواجهة بين القومية العربية وإيران. على أن بعض الخطوات التي قام بها جمال عبد الناصر وسائر القوميين العرب، مثل تبديل إسم الخليج الفارسي إلى «الخليج العربي» في اجتماع الجامعة العربية عام ١٩٦٣، واعتبار خوزستان جزءاً من عربستان من جانب مؤتمر الحقوقيين العرب لعام ١٩٦٤، ما هي إلا نماذج من الخطوات التي عدت أنها ضد إيران[١٨]. لكن هذه المواقف المتطرفة واجهت رفضاً إيرانياً، بل استطاع الشاه أن يستثمرها لصالحه جيداً. وبدا منذ أوائل عقد الستينات وكأن هناك نوعاً من المواجهة بين القومية العربية والقومية الإيرانية في منطقة الشرق الأوسط، حتى أن القوميين العرب ذهبوا إلى حد تشبيه المواقف الإيرانية في الخليج الفارسي بسياسات الصهاينة في احتلال فلسطين[١٩].

في المقابل، عمد جمال عبد الناصر إلى دعم القوى المعارضة للشاه وللقومية الإيرانية. وتمثلت خطواته في هذا المجال في مد جسور العلاقة مع المعارضين في أوروبا، وتقديم المساعدة المالية والنصائح العسكرية لهم لمحاربة الشاه.وكانت الحكومة المصرية قد بدأت اتصالات سرية مع القوى الإيرانية المعارضة منذ عام ١٩٦٣ أفضت إلى عقد اتفاق يقضي بتدريب المعارضين الإيرانيين على قتال الشوارع في معسكرات مصرية، وتم بالفعل تنفيذ الإتفاق، واستمرت التدريبات طوال عام ١٩٦٥ وحتى منتصف عام ١٩٦٦. ورداً على ذلك إتهمت حكومة الشاه جمال عبد الناصر والناصريين بالتدخل في شؤون إيران، وربطت كل تحرك داخلي بالتدخل المذكور، ونسبت إلى عبد الناصر مساعدته للشخصيات الدينية الإيرانية في ثورة حزيران/يونيو ١٩٦٣ وما بعدها.

التطورات الجديدة وتحسن العلاقات

خفت الخلافات بعد عام ١٩٦٧، وذلك لأسباب عدة، أحدها ضعف موقف الناصريين والقوميين العرب بعد هزيمة حزيران/يونيو ١٩٦٧، وكذلك الضرورات الإستراتيجية الجديدة لإيران ومشاريعها في الخليج الفارسي... عموماً لم يكن الشاه يعتبر جمال عبد الناصر ومؤيديه خطراً عليه بعد عام سبعة وستين. ثم أن الخسائر الفادحة التي تكبدتها مصر إثر هزيمتها في حزيران/يونيو١٩٦٧ جعلتها تتخلف عن ركب الأحداث الإقليمية، وانشغلت بإعادة الإعمار اقتصادياً وعسكرياً. ومن هذا المنطلق طلب المصريون من العرب المحافظين

مساعدات اقتصادية واعتمدوا على المساعدات السعودية أكثر من أي بلد آخر. وهنا رحب الشاه بتحسن العلاقات بين السعودية ومصر.

بدءاً من عام ١٩٦٨ راحت إيران تفكر في الاضطلاع بدور القوة الأولى في المنطقة. ولعل مشروع تحسين العلاقات مع مصر الرامي إلى إحباط اتحاد العرب المحتمل ضد إيران يمثل إحدى مبادرات السياسة الخارجية لإيران في تلك المرحلة. لهذا الغرض أيضاً بدأت إيران تدعم مواقف مصر والعرب حيال إسرائيل، وطالبت بانسحاب إسرائيل من الضفة الغربية وقطاع غزة. إلى ذلك، تعد زيارة الشاه إلى السعودية عام ١٩٦٨، إحدى أولى الخطوات نحو تحسن العلاقات بين مصر إيران، فضلاً عن أن انقلاب حزب البعث في العراق عام ١٩٦٨، والخلافات بين البعثيين والناصريين حول قضايا الشرق الأوسط وفلسطين من جهة أخرى، منحت إيران زخماً ودافعاً جديداً للتقرب من مصر[٢٠].

المواقف الإيرانية المؤيدة للعرب، كإدانة احتلال الأراضي العربية من جانب إسرائيل، والدفاع عن مصر إثر اتهامات العراق في ما يتعلق بموافقة مصر على خطة روجرز عام ١٩٦٩، وإدانة إحراق المسجد الأقصى عام ١٩٦٩، ودعم الشاه في خطاباته وكلامه لحقوق الفلسطينيين؛ كل ذلك مهد لتحسين العلاقات. واستمرت محاولات البلدين لمد جسور العلاقة خلال اللقاءات بين الجانبين إلى أن انتهت باستئناف العلاقة في آب/اغسطس ١٩٧٠، الأمر الذي واجه معارضة كبيرة من جانب حزب البعث العراقي الذي اتهم عبد الناصر بخيانة القضية العربية و «طعن العراق بالخنجر من الخلف»[٢١].

بعد نحو شهر واحد من استئناف العلاقات بين إيران ومصر، وصل أنور السادات للحكم في مصر، الأمر الذي ساعد في تطور العلاقات الثنائية.. وكانت إيران قد إرسلت وفداً رفيعاً برئاسة رئيس الوزراء هويدا للمشاركة في مراسم تشييع جنازة عبد الناصر، وضاعفت من اتصالاتها مع السادات، علماً أن الصداقة الشخصية بين الشاه والسادات، والتي بدأت خلال المؤتمر الإسلامي عام ١٩٦٩، شكلت عاملاً مهماً في هذا المجال.

ويعكس تحسن العلاقات بين إيران ومصر منذ عام ١٩٧٠ وما بعدها صحة ما ذهب إليه المقال في مستهله من أن للنظام الدولي تأثيراً في العلاقات بين البلدين. إذ خلافاً لما كان عليه الوضع خلال عهد عبد الناصر، لم يكن الشاه والسادات مختلفين في وجهات النظر حول خريطة القوة في النظام الدولي. علاوة على ذلك، فإن صداقة السادات مع الشاه أثرت في تغيير رؤيته للاتحاد السوفياتي. إذ عندما توقف السادات في طهران أثناء توجهه إلى موسكو عام ١٩٧١، طلب الشاه منه أن يعمل على تحسين علاقات مصر بأميركا بدلاً من الاتحاد السوفياتي. كما وعد الشاه بالوقوف إلى جانب مصر ودعم مواقفها إذا ما انفصلت عن كتلة الاتحاد السوفياتي[٢٢]. وبالفعل أزيلت آخر العقبات التي كانت تعترض مسيرة تحسن

العلاقات الثنائية عندما طردت مصر المستشارين العسكريين السوفيات من أراضيها عام ١٩٧٢.

حليفان إقليميان في السبعينات

التباين في وجهات النظر بين إيران ومصر إزاء التطورات الدولية والإقليمية تحولت إلى توافق في وجهات النظر في شأن كتل القوة وطبيعة النظام الدولي. فقد كان السادات، على خلاف عبد الناصر، يرى أن لإيران دوراً إيجابياً في تحقيق الإستقرار في منطقة الخليج الفارسي. كما أنه عزف عن دعم مواقف حزب البعث العراقي ضد إيران التي عبرت دوماً من جانبها عن دعمها لمبادرات السادات. فعلى سبيل المثال، سمحت الحكومة الإيرانية خلال حرب تشرين الأول/اكتوبر ١٩٧٣ للطائرات السوفياتية بالتحليق في أجوائها لإرسال الأعتدة إلى مصر. كما كثفت الطائرات الإيرانية من رحلاتها لإيصال المساعدات الطبية لمصر من طريق الأردن[٢٣]، بل إن إيران دعمت مبادرات السادات في وقف إطلاق النار مع إسرائيل وعقد معاهدة انهاء النزاعات، ومنها اتفاقية سيناء لعام ١٩٧٥. كما كانت إيران أحد الأطراف المؤيدة لمحاولات كيسينجر للمصالحة بين مصر وإسرائيل.

هكذا تحولت إيران في السبعينات إلى إحدى الدول الداعمة لمصر على الصعيد الاقتصادي، من ذلك تقديم مساعدات اقتصادية لتطوير قناة السويس والموانئ الشمالية لمصر، وتنفيذ مشاريع صناعية وزراعية مشتركة، وإعطاء قروض أخرى. وفي المقابل سمحت مصر لإيران بالإستفادة من موانئها على ساحل البحر الأبيض المتوسط في عملياتها التجارية مع تلك المنطقة[٢٤]. وإلى المساعدات الاقتصادية، تحولت إيران ومصر إلى حليفين سياسيين أيضاً. إذ أبدى الشاه دعمه لكل مبادرات السادات للمصالحة مع إسرائيل، كما حصل بالنسبة لاتفاقية سيناء، ودافع عن الزيارة المفاجئة التي قام بها السادات لبيت المقدس عام ١٩٧٧. ولعل الشاه كان من بين زعماء الدول القلائل في العالم بعد جيمي كارتر في تشجيعه صراحة وعلناً لهذه المحادثات. أما السادات، فقد كان يعتقد بالدور المهم لإيران، فأوفد عقب توقيع اتفاقية كامب ديفيد عام ١٩٧٩، نائبه حسني مبارك آنذاك لتقديم تقرير للشاه[٢٥].

الثورة الإسلامية في إيران وتوتر العلاقات

أعاد انتصار الثورة الإسلامية في إيران وقيام الجمهورية الإسلامية مرة أخرى حال التباين والإختلاف العميق في وجهات النظر إزاء التطورات الإقليمية والدولية بين إيران ومصر. ففي حين دانت الجمهورية الإسلامية مصر لتوقيعها اتفاقية «كامب ديفيد» والإعتراف بإسرائيل، عمدت مصر إلى اتهام إيران بالتدخل في الشؤون الداخلية للدول العربية من طريق دعم الحركات الإسلامية. وفي الحقيقة، أدى انتصار الثورة الإسلامية إلى وضع حد للتحالف

الإستراتيجي بين إيران ومصر في المنطقة. إذ لم يمض وقت طويل على انتصار الثورة الإسلامية حتى ظهر التباين في وجهات النظر حول النظام الدولي، ومن ثم قطع العلاقات بين البلدين في نيسان/ابريل ١٩٧٩ بعدما إنضمت إيران إلى معارضي اتفاقية «كامب ديفيد»، وقطعت علاقاتها الرسمية مع مصر مثلما فعلت الدول العربية التي جمدت علاقاتها مع القاهرة في مؤتمر القمة العربية ببغداد عام ١٩٧٩. ومنذ ذلك الحين صارت مصر واحدة من أبرز الدول المعارضة لسياسة الجمهورية الإسلامية في المنطقة والعالم، كما أنها اتهمت إيران بأن لها مطامع توسعية في الخليج الفارسي، ودعت عرب الخليج الفارسي إلى الوقوف في وجه التهديدات الإيرانية، علماً أن مواقف إيران حيال دول الخليج الفارسي والتصريحات غير الرسمية للمسؤولين غير الحكوميين في إيران في شأن البحرين أعطت مصر فرصة جيدة كي تنصب نفسها محامياً ومدافعاً عن إمارات الخليج الفارسي.

على أن مواقف مصر إزاء الثورة الإسلامية، وخاصة منح الشاه حق اللجوء في القاهرة ومراسم الإستقبال التي جرت له في آذار/مارس ١٩٨٠، فاقمت العداء بين الجانبين إلى أقصى حد. وركزت مصر جهودها لضرب الثورة الإسلامية، فقامت، على سبيل المثال، بقمع التجمعات الإسلامية بحجة أنها مدعومة من الجمهورية الإسلامية، ثم اتهمتها بتصدير ثورتها إلى العالم العربي[٢٦]، ودعمت عرب إيران المعارضين بقوة. وعلى الرغم من أن مصر كانت معزولة عربياً بسبب توقيعها لاتفاقية «كامب ديفيد» والإعتراف رسمياً بإسرائيل، فقد فاقم شعور غالبية الدول العربية بالخطر من الثورة الإسلامية في إيران ومواقف مصر إزاء سياسات الجمهورية الإسلامية توتر العلاقات الإيرانية ـ العربية[٢٧]، وأتاح خروج مصر من عزلتها السياسية. وقد ساعد على ذلك الدعم المصري الكبير للعراق في حربه ضد إيران. وفي الواقع كان العراق هو الذي دعا إلى عودة مصر إلى جامعة الدول العربية. فقد أعلن الرئيس العراقي صدام حسين خلال زيارة الرئيس المصري حسني مبارك لبغداد، والتي جاءت دعماً للعراق، بأن «الأمة العربية لن يكون لها تضامن واتحاد مؤثر بدون مصر»[٢٨]. وفي اجتماع منظمة المؤتمر الإسلامي الذي عقد في الكويت عام ١٩٨٧، شارك حسني مبارك لأول مرة منذ عام ١٩٧٨ في اجتماع عربي، ومن ثم قبل الزعماء العرب المشاركون في مؤتمر تشرين الثاني/نوفمبر في الأردن عام ١٩٨٧ إقتراح العراق باستئناف العلاقات مع مصر.

إلى ذلك، وبعد فترة قصيرة من اندلاع الحرب بين إيران والعراق، إلتقى وزير الخارجية المصري بطرس غالي نظيره العراقي طارق عزيز في باريس عام ١٩٨٣ لبحث استراتيجية الحرب ضد إيران. ثم بدأت مصر بتزويد العراق بالسلاح والمعدات العسكرية. وقد ناهزت حجم المساعدات العسكرية المصرية للعراق حتى عام ١٩٨٥ المليار دولار. وذكرت تقارير صحافية مصرية أن القاهرة أرسلت إلى العراق بين تشرين الثاني/نوفمبر عام ١٩٨١ ولغاية

تشرين الأول/اكتوبر ١٩٨٢ ما بين أربعين إلى ستين طياراً، كما زودت العراق في الفترة بين عامي ١٩٨١ و١٩٨٦ بعشر طائرات من طراز «أف 6»، وأربع طائرات أخرى من طراز «أف 7» ودبابات من طراز «تي 5»[٢٩].

إلى ذلك اتهم العراق إيران بالتدخل في شؤونه الداخلية. كما اتهمت مصر إيران بمحاولات الإخلال بأمنها. ففي صيف ١٩٨٤ اتهم الرئيس المصري حسني مبارك إيران وليبيا بتلغيم قناة السويس. إلا أن المسؤولون الأمنيون في مصر أقروا أواخر صيف العام نفسه بعدم وجود أي دليل على ضلوع إيران في هذا الأمر[٣٠].

نزع التوتر في العلاقات: دراسة العوامل المؤثرة

في أواخر الثمانينات، تراجعت حدة العداء والتوتر في العلاقات بين البلدين تدريجاً. وعلى الرغم من أن بعض الأسباب الداخلية في إيران كان لها دور في هذا التطور، يمكن القول عموماً إن المتغيرات الحاصلة على صعيد النظامين الدولي والإقليمي أدت دوراً أكبر في نزع التوتر بين البلدين. وبتعبير آخر تأثرت التطورات الداخلية في إيران بشكل ما بالتطورات الإقليمية والدولية.

إنتهاء الحرب الإيرانية ـ العراقية

أنهى قبول إيران لقرار مجلس الأمن الرقم ٥٩٨ لعام ١٩٨٨ حرب الثماني سنوات بين إيران والعراق الذي وقف إلى جانبه كل العرب، باستثناء سوريا. فطوال الحرب كان حكام العراق يوحون بأن إيران لن تستسلم لسياسات السلام الإقليمية والدولية، وكانوا يهدفون من اقتحامهم لأراضي إيران إحتلال جزء منها بحجة أنها يمكن أن تكون مصدر خطر للدول العربية. وكان لهذه المزاعم صدى لدى أكثر الدول العربية المحافظة، كالسعودية والكويت والأردن ومصر والمغرب وتونس. غير أن وقف الحرب سلب من قادة العراق هذه الحجة. فسياسة إيران في قبول القرار والخطوات التي اتخذت لإطلاق سراح أسرى الحرب لاقت ترحيباً من جانب أكثر البلدان العربية. على أن انتهاء الحرب سلب من مصر الذريعة للاستمرار في دعمها اللامحدود لنظام بغداد.

غزو العراق للكويت

أثبت العدوان العراقي على الكويت صحة طروحات إيران في شأن النزعة التسلطية لصدام حسين في المنطقة، وميله لفرض هيمنته على الخليج الفارسي. على أن الرفض العربي الشامل والجماعي للإعتداء العراقي، ورفض صدام للمقترحات العربية بالإنسحاب من الكويت عززا النظرية القائلة بأن السبب الرئيس للحرب الإيرانية ـ العراقية هو السياسات العدائية لحزب

البعث العراقي، وليست المزاعم الواهمة التي أطلقتها قيادة بغداد في شأن نوايا إيران في فرض سيطرتها على المنطقة. كما عزّز هذا الأمر دعم الجمهورية الإسلامية الإيرانية لسيادة الكويت وسياسات المملكة السعودية، على الرغم مما قدمتاه من مساعدات مالية وعسكرية لنظام بغداد. إذ أن إيران انتهجت سياسة تتسم بالواقعية عندما أعلنت موقفها المحايد، ودعمت عملياً مواقف الدول العربية في صد الإعتداء العراقي. وقد تركت السياسة الإيرانية أثراً إيجابياً جداً في الحكومات العربية، لا سيما الترحيب الذي لاقته هذه السياسة من جانب المصريين. وعليه لم يأت اعتراف الصحف وبعض ساسة مصر وسائر العرب بأخطائهم في دعمهم الأعمى لصدام أثناء حربه ضد إيران من فراغ. وكان بعض الأحزاب والصحف والحركات المصرية المتسمة بالواقعية، كصحيفة الشعب وحزب العمل والأستاذ محمد حسنين هيكل السباقين في هذا المجال، الأمر الذي مهّد لنزع التوتر في العلاقات بين إيران مصر.

انهيار الاتحاد السوفياتي

يعد انهيار الاتحاد السوفياتي أحد أهم وأبرز التطورات الدولية المعاصرة التي تركت أثرها في هيكلية النظام الدولي والتكتلات والعلاقات الإقليمية في أكثر مناطق العالم. كما أن انهيار الاتحاد السوفياتي وظهور الدول المسلمة المسماة بالمستقلة حديثاً في آسيا الوسطى أتاحا فرصة مناسبة لدول المنطقة، وكذلك لأوروبا وأميركا، لبسط نفوذها اقتصادياً وسياسياً. أما العامل المهم الذي جعل العرب، وخاصة المصريين، يمتلكون رؤية إيجابية في هذا الإطار تجاه إيران، فكان إمكانية الوصول إلى آسيا الوسطى من طريق إيران. وانطلاقاً من أن العرب، وعلى الرغم من قبولهم لتبعات السلام، لم يكونوا يحملون رؤية إيجابية حيال إسرائيل، ذلك أن محاولة الأخيرة إيجاد صدع في آسيا الوسطى والقوقاز لم يستسغه العالم العربي، خاصة أن تعزيز إسرائيل موقعها في هذه المناطق يزيد من تعنت قادة تل أبيب حيال مطالب الدول العربية في شأن فلسطين. من ناحية أخرى، فإن سيطرة أميركا على المصادر الطبيعية لآسيا الوسطى والقوقاز أمر لا يرضي العرب، لأن ذلك يجعل أميركا والغرب في غنىً عن النفط العربي. كما أن تزايد قوة تركيا في المنطقة يثير قلق العرب لأن تركيا، بصفتها الحليف الأكبر للغرب، لم تدعم يوماً الحقوق العربية. وعلى هذا الأساس، فإن العرب، وخاصة المصريين، فضلوا في خضم المنافسة الشديدة على آسيا الوسطى أن يكون لإيران نفوذ أكبر من أميركا وإسرائيل أو تركيا في المنطقة. لذا لم يكن اعتباطاً أن يعرب ساسة ومفكرو العرب في اجتماعاتهم السنوية طوال عقد التسعينات عن رأي أكثر تناغماً حيال إيران[٣١].

التحالف الإستراتيجي التركي ـ الإسرائيلي

إن أهم الأمور التي غيرت نظرة العرب والمصريين حيال إيران في أواسط التسعينات هو التحالف الاستراتيجي بين تركيا وإسرائيل لعام ١٩٩٤، والتعاون العسكري الواسع النطاق بين الجانبين؛ هذا التحالف واجه معارضة شديدة من جانب كل الدول العربية، وخاصة مصر. وصارت إيران بمعارضتها للتحالف، في صف مصر وسائر العرب في جبهة مشتركة لمواجهة التهديدات والأخطار الناجمة عن هذا التحالف. ومنذ ذلك الحين والصحف العربية توصي بتعزيز العلاقات مع إيران، حتى أُعتبر التعاون بين العرب والإيرانيين أحد سبل مواجهة التحالف التركي-الإسرائيلي، بل إن بعض الكتّاب والساسة المصريين وصفوا إيران بأنها عمق استراتيجي لمصر في منطقة الشرق الأوسط[٣٢]، فيما ذهبت الصحف المصرية خلال هذه السنوات إلى التأكيد على ضرورة استئناف العلاقات الرسمية بين طهران والقاهرة[٣٣]. كما أن المفكرين والسياسيين والأساتذة العرب أكدوا خلال مؤتمر الوحدة العربية عام ١٩٩٩ على ضرورة جعل إيران صديقاً للعالم العربي في مقابل التحديات الجديدة في المنطقة[٣٤].

تحسن العلاقات الإيرانية ـ الغربية

حظيت محاولات إيران لتحسين علاقاتها مع الدول الغربية، وخاصة التأكيد على الدور المستقل لبعض دول أوروبا، مثل فرنسا، باهتمام العرب، وخاصة الساسة والمفكرين المصريين الذين اعتبروا هذه المبادرة خطوة إيجابية وأنموذجاً جيداً للسياسة الخارجية المستقلة. وهو ما تم اعتباره أحد العوامل الدولية المؤثرة في تطور العلاقات بين إيران والعرب. على أن الدعم الأميركي الشامل لإسرائيل والدور المستقل لأوروبا، وخاصة فرنسا، حيال قضية العرب تسببا في تبلور هذا الفهم لدى العرب[٣٥].

انتخاب الرئيس خاتمي

مثلت الإنتخابات الرئاسية في أيار/مايو ١٩٩٧ وتسلم السيد محمد خاتمي منصب رئاسة الجمهورية الإسلامية الإيرانية أحد العوامل الداخلية المهمة التي كان لها تأثير كبير في تغيير نظرة العالم والعرب، ولا سيما المصريين، لإيران. وكانت مبادرات خاتمي على الصعيد الداخلي، أي التأكيد على الحريات المدنية والإصلاحات السياسية-الاقتصادية من جهة، وسياسته الخارجية في نزع التوتر بين إيران والعالم من جهة ثانية، من أبرز التطورات الإيرانية لما بعد الثورة الإسلامية. وتعتبر التصريحات التي أدلى بها خاتمي لمحطة التلفزيون الأميركية «سي أن أن» ومحاولات الحكومة الجديدة نزع التوتر مع العرب، منعطفاً مهماً جداً في تفاؤل النخبة السياسية والفكرية في كل من إيران ومصر بالنسبة لمستقبل العلاقات بين

البلدين، حتى أن بعضهم وصف هذه التطورات بأنها «ربيع العرب في إيران»[٣٦].

إلى ذلك حظي عقد قمة منظمة المؤتمر الإسلامي في طهران برئاسة السيد خاتمي بترحيب كبير من جانب العرب، وخاصة المصريين. وعلى الرغم من أن الرئيس حسني مبارك لم يشارك شخصياً في مؤتمر طهران، لكن وزير خارجيته عمرو موسى حضر المؤتمر ونقل اعتذار مبارك لعدم مشاركته شخصياً. كما تركت شخصية خاتمي وسياساته وقعاً مؤثراً في نفوس المفكرين والسياسيين المصريين إلى الحد الذي دفعهم للحديث مراراً عن ضرورة إجراء لقاء بين خاتمي ومبارك[٣٧]. وإذا كان انتخاب خاتمي واتساع نطاق الحريات السياسية والفكرية في إيران يعدان تطورين داخليين، فلا يمكن تجاهل تأثير التطورات الدولية، وكذلك الفرص العالمية المتاحة في إعادة المكانة المرموقة لإيران.

استنتاجات

تمت في هذا المقال دراسة العلاقات الإيرانية ـ المصرية والتقلبات التي شهدتها على مدى القرن العشرين. وتمثلت الفرضية الأساسية للمقال في أن التقلبات المذكورة، أي مراحل تحسن وتوتر العلاقات، حدثت تحت تأثير التطورات على الصعيد الدولي. وتم في ثنايا البحث كذلك لفت النظر إلى أن نظرة المصريين والإيرانيين لطبيعة النظام الدولي ورغبتهم في التنسيق مع كتل القوة على الصعيد العالمي تسببا بشكل مباشر في تحسن وتوسع العلاقات بين الجانبين. وعلى العكس فإن عدم التنسيق والإفتقار للفهم المشترك لطبيعة النظام الدولي وانعدام الميول المتماثلة لدى الجانبين للإتحاد مع كتل القوة صارت عاملاً في توتر العلاقات.

في الوقت الراهن يبدو أن المسؤولين والسياسيين في إيران ومصر عازمون على مد جسور العلاقة مرة أخرى، فيما يذهب مثقفو ومفكرو البلدين إلى أبعد من ذلك. إذ يعتبرون العلاقات الجيدة بين طهران والقاهرة عاملاً مهماً في تأمين المصالح الوطنية لكل من الجانبين. إن كلاً من مثقفي البلدين يعتبرون البلد الآخر عمقاً استراتيجياً لبلدهم، وأن صداقة إيران ومصر عامل مهم لمواجهة التحديات في المستقبل؛ كل هذه الأمور تبرهن على أن الآفاق مناسبة جداً لإقامة العلاقات الثنائية، وأن المشاكل الموجودة لا يمكنها أن تعيق هذه العلاقات.

المصادر:

(١) يونان شبيب رزق، **العلاقات العربية ـ الإيرانية** (القاهرة: ١٩٩٢)، ص ١٠٦.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٠٧.

(٣) لطيفة محمد سالم، **فاروق وسقوط الملكية في مصر**(١٩٣٦ـ١٩٥٢).

(٤) المصدر نفسه، ص ٧٤٤.

(٥) شبيب رزق، المصدر السابق، ص ١٠٩ نقلاً عن :

F.O 407/223 (L) NO.6 Lampson To Halifax , March 30/1939.

(٦) المصدر نفسه، ص ١١٠ نقلاً عن :

F.O 407/223 (1) NO.7 Lampson To Halifax , March 3/1939.

(٧) R.K. Ramaani , *The Foreign Policy of Iran* :1941- 1500, (January 1966).

(٨) الدكتور وجيه عتيق، **الملك فاروق وألمانيا النازية، خمس سنوات من العلاقة السرية** (القاهرة ١٩٩٢)، ص٣٣.

(٩) المصدر نفسه.

(١٠) أنظر **السياسة الخارجية الإيرانية في العهد البهلوي**، عبد الرضا هوشنك مهدوي (طهران: ١٩٩٤) ص١٥٦.

(١١) المصدر نفسه، ص ١٦٥و٢٤٤.

(١٢) رغم أن بعض المحققين يرفضون هذه الفكرة ويذهبون إلى أن حلف بغداد يعد ضرورة إقليمية ومبادرة من قبل دول المنطقة، وخاصة العراق وتركيا، أكثر منه محاولة بريطانية لتأسيس كتلة لمواجهة الشيوعية أو احتواء انقلاب مصر. فيما يتعلق بآثار حلف بغداد على العلاقات العربية، أنظر:

Richard L.Jasse, "The Baghdad Pact:Cold war or Colonialism ?" *Middle Eastern* Studies و Val 27,NO.7 (January 1991).

(١٣) أنظر **السياسة الخارجية الإيرانية في العهد البهلوي**، عبد الرضا هوشنك مهدوي.

(١٤) في ما يتعلق بالخلافات داخل الوسط العربي «الحرب الباردة بين العرب»، أنظر؛

Malcom H. Keir, The Aad cold war.

(١٥) في ما يتعلق بالجمهورية العربية المتحدة والنهاية غير المناسبة، أنظر: **معجم معارف الإتحاد السوفياتي، التاريخ المعاصر للدول العربية**: م.ج. شهري (طهران: إنتشارات آوا 1981).

(١٦) في ما يتعلق بأزمة الأردن، أنظر؛

Joseph Nevo and Ilav Papp. *Jordan in the Middle East : The making of a Pivotals state 1948-1988* (London: Fronk Cass , 1994). PP. 189-211.

(١٧) للمزيد من المعلومات بشأن هذه الإتصالات، أنظر **السياسة الخارجية الإيرانية في العهد البهلوي**، لهوشنك مهدوي، ص٩٣.

(١٨) المصدر نفسه.

المصادر:

(١٩) Shahram Chubin and Sepehr Zabih, *The Foreign Relations of Iran*: A *Developin'y State in a Zone of Power Conflict.* (Berkeley: CA University of California Press, 1974). PP.156.7.

(٢٠) Nader Entessar, "the Lion and the Sphinx : Iran-Egyption Relations in Perspective ," in Hooshang

Amir ahamadi and nader Entessar , *Iran and the Arab world* (New york : St. Martin Press, 1993) P. 164.

(٢١) صحيفة **كيهان**، ٧ شهريور ١٩٧٠، نقلاً عن هوشنك مهدوي في **السياسة الخارجية الإيرانية في العهد البهلوي**، ص٣٦٨.

(٢٢) Entessar, Op.cit.

(٢٣) Amin Sskal , *the Rise and Fall of the shah* (Princeton : Princeton University press , 1980). PP. 68-167

Qouted from Ibid p.165.

(٢٤) Ibid.

(٢٥) *AL - Ahram*, 24 oct. 1978 cited in Ibid.

(٢٦) إرجع في هذا الشأن إلى **تأثير الثورة الإيرانية الإسلامية على العلاقات العربية**، لباكينام رشاد الشرقاوي، ص ١٧٩.

(٢٧) في ما يتعلق بنظرة العرب للثورة الإسلامية والعلاقات الإيرانية _العربية، أنظر:

Bassam Tibi, "the Iranian Revolution and the Arabs : The Quest for Islamic Identity and the Search for

An Islamic System of Govermment" *Arab studies quarterly*, vol 8 No. 1. (Winter 1986).

(٢٨) Philip H.stoddard , " Egypt and the Iran - Iraq war," in Thomas Naff(ed), *Gulf Security and the Iran - Iraq* (Washington DC : National Defence University Press , 1985) , PP. 3-42 cited in Entessar , op. Cit , p. 170.

(٢٩) Anthony H.Coresman. *The Iran - Iraq war and Western Security 1984 - 1987. Strategic Implications and Policy Option* (London : Jane's Publishing Company , 1987), Fig 2.P.25.

للمزيد من المعلومات حول المساعدات العسكرية المصرية للعراق، راجع:

Entessar, op,cit , pp.72 -74.

(٣٠) R.K. Ramazzani , *revolotionary Iran : Challrnge and Response in the Middle Wast* (Baltimore : Johns Hopkins University Press , 1986), pp. 2 - 171.

(٣١) في هذا الشأن، أنظر المؤتمر القومي العربي : **حال الأمة العربية** (بيروت ١٩٩٧).

(٣٢) أنظر **العلاقات المصرية ـ الإيرانية** لباكينام رشاد الشرقاوي ـ في محمد السيد سليم وإبراهيم عرفات.

المصادر:

(٣٣) «وجهة نظر في العلاقات العربية الإيرانية وقضاياها الخلافية» لمحمد السعيد عبد المؤمن، **الأهرام** ١٩/٨/١٩٩٨، ص ١٢.

(٣٤) على سبيل المثال، أنظر المؤتمر القومي العربي: **حال الأمة العربية**. المؤتمر القومي العربي التاسع، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية ١٩٩٩).

(٣٥) في هذا الشأن، أنظر « العلاقات المصرية ـ الإيرانية» للشرقاوي ، ص٤٤٣.

(٣٦) أنظر «ربيع العرب في إيران » لفهمي الهويدي، صحيفة **الأهرام** ٢٨/٤/١٩٩٨، ص ١١.

(٣٧) أنظر «لقاء مبارك ـ خاتمي بداية الإنطلاق: معركة المعتدلين والمتشددين تحسم العلاقات العربية ـ الإيرانية» لأحمد عبد الحكيم ، **الأهرام العربي** ٢٢/٨/١٩٩٨ ، ص١٨.

د. إحسان صادق اللواتي*

العلاقات العربية ـ الإيرانية في مجال التراث البلاغي

تسعى هذه الدراسة إلى مقاربة علاقات التأثير والتأثر بين المصادر البلاغية المكتوبة باللغة العربية ومثيلاتها باللغة الفارسية ، بغيةَ الوصول إلى ما هو الحق في هذا المجال الذي لم يلقَ من الباحثين المعاصرين العناية التي يستحقها ، فكانت نظرة معظمهم نظرة عجلى مكتفية بالإشارة إلى اعتماد المصادر البلاغية الفارسية اعتماداً كاملاً على العربية ، دونما برهنة كافية، ودونما حديث عن إفادة المصادر البلاغية العربية من الفارسية . والدراسة ينتظمها محوران أساسيان، هما تأثير البلاغة العربية في البلاغة الفارسية ، وتأثير البلاغة الفارسية في البلاغة العربية .

الدراسة

ما ثمة من يشك من الدارسين المعاصرين ، عرباً وإيرانيين على السواء ، في أن نشأة علوم المعاني والبيان والبديع باللغة الفارسية كانت معتمدة اعتماداً كبيراً على المؤلفات التراثية البلاغية التي كتبت باللغة العربية، وقد صرح جمع منهم بذلك. لكن مثل هذا التصريح تعوزه الوقفة المستأنية التي تروم ملاحقة الآثار التفصيلية لهذا الاعتماد، إضافة إلى محاولة البحث في المقابل عن أية آثار محتملة للمصادر البلاغية الفارسية في الكتب البلاغية العربية اللاحقة . وهذا جهد لا يمكن الطموح إليه على وجهه إلا بالرجوع المباشر إلى المصادر البلاغية الفارسية التي لم يترجم منها إلى العربية، حسب اطلاعي ، سوى **حدائق السحر في دقائق الشعر** لرشيد الدين الوطواط[٢]. وقد ترجمه مشكوراً الدكتور إبراهيم الشواربي سنة ١٩٤٥. ولعل غياب ترجمات عربية للمصادر الفارسية الأخرى كان السبب الرئيس الذي حال دون ظهور دراسات علمية مفصلة تتوخى المقارنة بين البلاغتين العربية والفارسية.

* باحث جامعي، سلطنة عُمان.

إن هذه الدراسة لتطمح إلى أن تكون مدخلاً لدراسات أرحب مجالاً وأعمق غوراً ترمي إلى تلافي النقص الموجود في هذا المجال، وقد حرصتُ فيها على الرجوع إلى كل ما أمكنني الوصول إليه من المؤلفات البلاغية الفارسية بلغتها الأصلية، جاعلاً من الاختلاف اللغوي وكدي الذي لا أتناساه في مقام المقارنة، مهملاً التماثلات أو التباينات القائمة على أساس من النظر إلى انتساب المؤلفين العرقي أو القومي إلى العرب أو الإيرانيين، فمثل هذا المنحى لا يخدم منهج هذه الدراسة القائمة على المقارنة بين ما كُتب في اللغتين.

أولاً، تأثير البلاغة العربية في البلاغة الفارسية

ليست قضية وجود هذا التأثير استنتاجاً توصّل إليه الدارسون المعاصرون. فقد حمل أول مصدر بلاغي فارسي واصل إلينا عنواناً له دلالته الكبيرة في هذا الصدد: **ترجمان البلاغة**. ولم يقتصر الرادوياني[٣]، مؤلف الكتاب، على دلالة العنوان حتى صرّح في المقدمة بأنه يهدف إلى «نقل أجناس البلاغة من العربية إلى الفارسية». وعلى ما في هذا التصريح من دلالة ظاهرة على افتقاد الهوية الفارسية المميزة، فإن من المناسب ألاّ نتسرع في التمسك بهذا الظاهر قبل أن نصل في البحث إلى مرفأ. المهم الآن هو تسليط بعض الضوء على ما في هذا الكتاب وغيره من المؤلفات البلاغية الفارسية من وجوه تأثر بالمصادر العربية.

إن أول وجه يمكن ملاحظته في المقام هو المباحث التي اشتملت عليها المؤلفات الفارسية. فقد اعتمدت فيها اعتماداً وثيقاً جداً على المؤلفات العربية، مشيرة أحياناً إليها ومهملة الإشارة في أحايين أخرى. فمن النوع الأول تصريح الرادوياني: «خَرّجت عامة أبواب هذا الكتاب على ترتيب فصول **محاسن الكلام** الذي وضعه الخواجة الإمام نصر بن الحسن - رضي الله عنه - واتخذت من شرحه مثالاً»[٥]. ومثله تصريحه أيضاً برجوعه إلى **الزهرة** لمحمد بن داود الأصفهاني[٦]، وإلى **كتاب البديع** لابن المعتز[٧].

وعلى هذا المنهج سار المؤلفون اللاحقون أيضاً. فصرح الوطواط بذكر الرماني[٨]، والجاحظ[٩]. كما صرح المازندراني[١٠] بذكر كل من الجاحظ[١١]، وعبد القاهر الجرجاني[١٢]، والزمخشري[١٣]، والسكاكي[١٤]، وابن الأثير[١٥]، والتفتازاني[١٦]. ونجد لدى هدايت[١٧] ذكراً للتفتازاني وكتابه **المطول**، ولابن معصوم المدني وكتابه **أنوار الربيع في أنواع البديع**[١٩].

أما النوع الآخر من المباحث والموضوعات التي تأثرت فيها المصادر الفارسية بالعربية، فهو ذلك النوع الذي خلا من الإشارة إلى الأصل المنقول عنه. فليس من سبيل أمام الباحث هنا سوى أن يلاحق وجوه التلاقي والاشتراك بين هذه المصادر وتلك، فيلاحظ مثلاً أن «إرسال المثل في البيت» و«إرسال المثلين في البيت» يدخلان ضمن «شوارد الأمثال» عند

الحاتمي[٢٠]، و«الاستشهاد والاحتجاج» عند أبي هلال العسكري[٢١]، و«المثل السائر» عند ابن رشيق[٢٢]. ويلاحظ كذلك أنّ «حسن السؤال وطلب المجاورة» هو ما سماه ابن رشيق «الاقتضاء والاستنجاز»[٢٣]. كما أنّ «الجمع» و«تنسيق الصفات» و «مراعاة النظير» موضوعات تدخل في «جمع المؤتلف والمختلف» عند أبي هلال العسكري[٢٤]، إلى غير ذلك من أمثلة ، وهي كثيرة.

الوجه الثاني من وجوه تأثير البلاغة العربية في الفارسية يتمثل في الآراء والنظرات التي اشتملت عليها هذه الأخيرة. فقد ذهب شمس الدين الرازي[٢٥] مثلاً إلى أن استعمال الصنائع البديعية لا يخرج بالشعر عن كونه مطبوعاً ما لم تكثر هذه الصنائع وتصل بالشعر إلى حد التعسف[٢٦]، وهذا رأي غير جديد على البلاغة العربية ، إذ ورد عند أسامة بن منقذ مثلاً[٢٧]. وكان الرادوياني قد ذكر أن «التشبيه الأبلغ هو الذي يجعل الشيء المخفي ظاهراً»[٢٨]، وهو ما كان ذهب إليه قبله الرماني[٢٩] وعلي الكاتب[٣٠]. وهكذا، يمكن الربط بين كثير من الآراء والنظرات الموجودة في المصادر البلاغية الفارسية و تلك التي سبقتها في المصادر العربية.

وإلى المباحث والآراء، تشكل الشواهد والأمثلة وجهاً كبيراً أيضاً من وجوه التأثير العربي. فمعظم الشواهد العربية في كتاب الوطواط ـ وليس كلها كما ذهب بعض الدارسين[٣١] ـ مستقاة من شواهد **محاسن الكلام** للمرغيناني، بما في ذلك ما ذكره هذا الأخير من شعره ونثره. لكن تتبع تجليات هذا الوجه ليس في سهولة سابقيه في سائر المصادر الفارسية، نظراً لورود احتمال أن يكون مؤلفو هذه المصادر قد استمدوا شواهدهم من دواوين الشعراء والمنابع الأصلية، وليس من كتب البلاغة العربية التي نقلتها.

تميز التأثير البديعي

من الأمور اللافتة في قضية تأثير البلاغة العربية في البلاغة الفارسية أن هذا التأثير قد تركز بشدة في علم البديع الذي استأثر بمعظم جهود مؤلفي البلاغة الفارسية، ولم يترك لعلمي المعاني والبيان سوى حضور هامشي باهت، وهذه قضية تستأهل وقفة مساءلة: ما السر في هذا الاهتمام الفارسي بالبديع خاصة؟ هنا يمكن أن تقترح إجابات: الأولى، أن علم البديع كان أسبق العلوم البلاغية تبلوراً عند العرب، إذ «لعلنا لا نبعد إذا قلنا إن صور البديع الأساسية ضبطت ضبطاً دقيقاً منذ القرن الرابع الهجري، بخلاف صور علمي المعاني والبيان. إذ كانت لا تزال تفتقر إلى ضبط أدق»[٣٢] . معنى هذا أنّ علم البديع كان العلم البلاغي الوحيد المتبلور في حقبة بدء ظهور المؤلفات البلاغية الفارسية في القرن الخامس الهجري، ومن الطبيعي بعد هذا أن يحتل موقع الصدارة من هذه المؤلفات.

الإجابة الثانية هي أن غلبة المباحث البديعية على المؤلفات البلاغية الفارسية كانت استجابة

لطبيعة الذائقة الأدبية آنذاك وانسياقاً وراء المنهج الأدبي السائد الذي كان يحرص على الاستزادة من استعمال المحسنات البديعية، عاداً إياها دليلاً أبرز على تمكن الأديب ورسوخ قدمه في عالم الشعر والأدب. وهذه نظرة عرفتها الأوساط الأدبية الإيرانية مثلما عرفتها الأوساط الأدبية العربية، غاية ما هناك أن ظهورها في الأدب الفارسي تأخر نحواً من قرنين من الزمان عن انتشارها في الأدب العربي.

أما الثالثة، فقد لا يكون من قبيل المجازفة أن يعزى تعلق الفرس الشديد بالبديع إلى ما عرفوا به، منذ أقدم عهودهم، من ميل جارف إلى الجمال والزينة بكل صورهما وتجلياتهما. يقول ديورانت: «وكان الرجال والنساء في أسعد أوقات الإمبراطورية يكثرون من استعمال أدوات التجميل ومساحيق الزينة، فاستعملوا الزيوت العطرية لتجميل البشرة وتصفيتها من الأوشاب، والأصباغ لصبغ الجفون حتى تبدو الأعين واسعة ناصعة، ونشأت من بينهم طبقة من الناس أسماهم اليونان «كوزمتاي» أي المزينين، اختصوا بتجميل طبقة النبلاء والأرستقراطية. وكان الفرس بالإضافة إلى ذلك خبراء في الروائح والعطور حتى راج بين القدماء أنهم اخترعوا بعض مساحيق الزينة والأدهنة»[٣٣]. إنَّ هذا الولع بالزينة والتجميل من شأنه أن ينعكس، لا محالة، على الذائقة الأدبية عند الفرس، فيدعوهم إلى صب عنايتهم على كل ما فيه زخرفة وزينة من ضروب الأدب المختلفة، وهذا يقتضيهم أن يولوا العلم المختص بتعليم وسائل التزيين والتحسين في الأدب النصيب الأوفى من اهتمامهم. ومن هنا كان علم البديع أبرز العلوم البلاغية حضوراً في المصادر البلاغية الفارسية.

والإجابة الأخيرة هي أن في علم البديع خصوصية تجعله أقرب تناولاً من غيره بالنسبة لغير العرب. فمع أنّ هذا العلم عربي الطابع يستمد أمثلته من القرآن الكريم وكلام العرب وشعرهم، إلا أنه قليل التشبث بالخصوصيات اللغوية العربية، ذلك أنه يقوم أساساً على رصد أنواع المحسنات. و«قد عُرفت المحسنات في عصور قديمة وحديثة في اللغات الأخرى منذ عصر اليونان إلى يومنا هذا»[٣٤]. إن ملاحظة هذه الناحية لتجعلنا نرى من البديهي أن يركز الفرس على علم البديع ويصرفوا إليه وجوههم ما دام أسهل العلوم البلاغية تطبيقاً على لغتهم الفارسية التي راموا خدمتها.

الخصوصيات الفارسية

على الرغم من جلاء تأثير البلاغة العربية في البلاغة الفارسية، فإن هذا لم يجعل الأخيرة تتغاضى تماماً عن خصوصياتها اللغوية، فهي قد:

- ترجمت، في كثير من الأحيان ،المصطلح العربي إلى اللغة الفارسية، دونما تغيير في مدلوله[٣٥]. وترجمة المصطلح ، وإن لم تكن عملاً مجهداً ، تظل أمارة على وجود اهتمام ، مهما

بلغت درجته ، بخصوصية اللغة المترجم إليها . لكن هذه الترجمة لم تُغنِ الكتب البلاغية الفارسية عن المصطلح العربي الذي ظل له حضوره ، حتى مع وجود مرادفه الفارسي؛

ـ أبرزت ، أحياناً ، مصطلحات خاصة بالفرس إزاء ما للعرب من مصطلحات ، دون أن تكون تلك ترجمة لهذه. فقال الرادوياني في سياق حديثه عن «التجنيس المطلق» «وبعض المتحدثين بالفارسية يسميه المتشابه»[٣٦] . وذكر الوطواط أنّ«رد العجز على الصدر هو ما يسميه شعراء الفارسية المطابق والمصدر أيضاً»[٣٧] . كما أن شمس الدين الرازي ذكر أن «شعراء العجم يسمون المزدوج : المثنوي»[٣٨] . إن العناية بالمصطلحات الفارسية الخاصة ، وإن تكن نادرة ، تشي بالرغبة الأكيدة في نوع ما من أنواع التميز الفارسي؛

ـ قارنت بين اللغتين العربية والفارسية من جهة حضور أنواع المحسنات البديعية في كل منهما ، فأشارت إلى بعض وجوه الاتفاق والاختلاف .من هذا ما ذكره الرادوياني في حديثه عن «المجرد» قائلاً : «ومن جملة البلاغة أن يتجنب الشاعر والكاتب الإتيان ببعض الحروف في قصيدته وكتابته، وهذا العمل يتأتى في العربية أكثر منه في الفارسية، لأن الفارسية قليلة الحروف والكلمات والألفاظ»[٣٩] . وكان الوطواط أكثر المؤلفين الفرس احتفالاً بالمقارنات، ولا غرابة بعد أن كان كتابه موضوعاً لمعرفة محاسن النظم والنثر في اللغتين معاً ، فذهب مثلاً إلى أن «صنعة مراعاة النظير لا يخلو منها إلا القليل من شعر العرب والعجم»[٤٠] ، وأنّ «صنعة السؤال والجواب معتبرة عند الفرس، وربما جعلوا القصيدة من أولها إلى أخرها على نسق واحد»[٤١] . وواصل المؤلفون، بعد الوطواط، السير على النهج نفسه، فقال شمس الدين الرازي: «إن صنعة التفريع كثيرة في أشعر العرب، لكن لا رونق لها في الشعر الفارسي» [٤٢] . وذكر تاج الحلاوي أنّ فصحاء العرب قد ثقبوا درراً كثيرة في باب الترصيع وأتوا باللطائف، لكنه نادر في الكلام الفارسي»[٤٣] . كما أشار شرف الدين رامي إلى أنّ «المتزلزل قد وقع كثيراً في كلام العرب»[٤٤]؛

ـ شرعت، على استحياء، تتحدث عن بعض المباحث المشتركة بين اللغتين من منظور فارسي صرف غدت اللغة الفارسية به أساسَ البحث وكيانه، ولم يقتصر دورها على مجرد الإشارة إليها في حالات المقارنة كما كانت عليه الحال في النقطة السالفة. وأبرز مثال على هذا ما ذكره الكاشفي بقوله: «التجنيسات في الكلام الفارسي، عند أرباب هذه الصناعة، اثنا عشر قسماً ...»، ثم أخذ يعدّد هذه الأقسام ويذكر أمثلتها[٤٥] . إنّ الكاشفي يستهل هنا منحى من البحث كان سيكتب له، لو استمر، أن يقود إلى تبلور كتابات بلاغية تبرز فيها الخصوصيات الفارسية بنحوٍ أجلى، لكن هذا المنحى لم يستمر، لا عند الكاشفي نفسه ولا عند من أتوا بعده.

تأثير البلاغة الفارسية في البلاغة العربية

كل ما تقدم من حديث عن تأثير البلاغة العربية في البلاغة الفارسية ينبغي ألا يقود إلى الاعتقاد بأن دور الفرس قد اقتصر على التأثر حسب. فقد كانت لهم إضافاتهم وبصماتهم المميزة، لا سيما في علم البديع. فمن هذا تصريح هدايت بأنه أول من عَدّ «الترجيح» من الصنائع البديعية[٤٦]، ومنه أيضاً نسبة حسين الكاشفي اختراع بعض الفنون البديعية إلى الشاعر الأمير خسرو الدهلوي (ت ٧٢٥ هـ) من مثل: الموشح المرشح، والحامل الموقوف، والمستزاد الموقوف. بيد أنّ أهم الفنون البديعية التي تجلّت فيها إضافات الفرس وبصماتهم هي تلكم التي تجمع بين اللغتين العربية والفارسية. وقد ذكر الرادوياني منها الملمّع، والترجمة، وتقريب الأمثال بالآيات، ومعنى الآيات بالأبيات. فلما جاء حسين الكاشفي أضاف إليها فنوناً أخرى يبدو التكلف ظاهراً عليها، أو على معظمها في أقل تقدير، وهي الترويج، والمصحّف ذو اللسانين، وذو اللسانين، والتعريب.

لقد ظهرت لكتاب رشيد الدين الوطواط آثار في بعض المؤلفات البلاغية العربية التي تلته، وهذه ميزة انفرد بها هذا الكتاب عن غيره من المؤلفات البلاغية الفارسية، وليس في هذا ما يدعو إلى التعجب. فقد ذهب صيت مؤلفه بين الناس، ولم تتأتّ لأي من مؤلفي البلاغة الفارسية شهرة كشهرته ولا ما هو قريب منها. هذه واحدة، والأخرى أن الوطواط لم يقتصر في أمثلته على الأمثلة الفارسية، بل زاوج بينها وبين العربية، فكان كتابه لخدمة اللغتين معًا، انتفع به البلاغيون الفرس اللاحقون كما لم ينتفعوا بأي كتاب بلاغي آخر، وانتفع به مؤلفو البلاغة العربية أيضاً، فظهرت لـ **حدائق السحر** آثار في مجموعة من مؤلفاتهم، تخص هذه الدراسة بالذكر منها:

نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز للفخر الرازي (ت ٦٠٦ هـ): أشار جمع من الباحثين المعاصرين[٤٧] إلى ما كان لكتاب الوطواط من أثر في هذا الكتاب، حتى قيل عن الفخر الرازي: «وكل ما له أنه استخدم في كتابه بعض فنون البديع المعروفة، وكان مرجعه الأول فيها كتاب **حدائق السحر في دقائق الشعر** للوطواط»[٤٨]. وقد يكون من المناسب هنا أن تُعرض آثار الوطواط ليتجلى مداها وقدرها، على الرغم من عدم إشارة الرازي إلى مصدرها، وذلك من خلال المحاور الآتية:

- مباحث مشتركة مع نقل كل الشواهد. ففي عدد غير يسير من المباحث لم يكتفِ الرازي بالاستناد إلى الوطواط في أصل المبحث وشرحه له، حتى نسل منه شواهده واكتفى بها، فكانت شواهد الوطواط هي كل شواهد الرازي في هذه المباحث. والمباحث التي حدث فيها هذا هي المجرد من النقاط، والمنقوط، والموصّل، والرقطاء، والخيفاء، وتجنيس الخط، والحذف،

والإعنات، والمقابلة، وإرسال المثلين، والتعديد، وتنسيق الصفات، ومراعاة النظير، والموجّه، والمحتمل للضدين، وتأكيد المدح بما يشبه الذم، وتجاهل العارف، والسؤال والجواب، والإغراق في الصفة، والتعجب، وحسن التعليل. فعلى سبيل المثال، استشهد الرازي في مبحث «التعديد»[٤٩] بقولهم: «فلان إليه الحل والعقد والقبول والرد، والأمر والنهي، والإثبات والنفي» وبقول المتنبي:

الخيل والليل والبيداء تعرفني   والطعن والضرب والقرطاس والقلم

وهذان الشاهدان، اللذان اكتفى بهما الرازي، كانا من شواهد الوطواط في المبحث نفسه الذي سمّاه «سياقة الأعداد»[٥١]؛

- مباحث مشتركة مع نقل معظم الشواهد أو بعضها. وهذه المباحث هي: المصحَّف، والتجنيس، والاشتقاق، ورد العجز على الصدر، والقلب، والسجع، وتضمين المزدوج، والترصيع، والتشبيه، والاستعارة، والمطابقة، والالتفات، والجمع والتفريق والتقسيم. فعلى سبيل المثال، استشهد الرازي ، في مبحث الالتفات[٥٢]، بالآيات الكريمة:

- «مالك يوم الدين إياك نعبد»[٥٣].

- «حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم»[٥٤].

- «وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً»[٥٥].

- «ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم»[٥٦].

وكانت الشواهد الثلاثة الأولى من شواهد الوطواط في المبحث نفسه[٥٧]؛

- مباحث مشتركة دونما نقل للشواهد. ففي هذه المباحث اكتفى الرازي بالاعتماد على تعريفات الوطواط وبعض تقسيماته دون أن يقترب من شواهده. والمباحث المقصودة هي الاعتراض، والتلميح، والإبهام، والمتزلزل؛

- شواهد من شعر الوطواط نفسه. فقد استعان الفخر الرازي بمجموعة من هذه الشواهد التي كان الوطواط قد ضمنها كتابه في المواضع نفسها. والشواهد المقصودة هي قول الوطواط:

حسامك منه للأحباب فتح   ورمحك منه للأعداء حتف[٥٨].

وقوله :

صدغ الحبيب وحالـــي   كلاهمـــا كالليالي[٥٩].

وقوله :

ما نوال الغمام وقت ربيع　　كنوال الأمير وقت سخاء

فنوال الأمير بــدرة عين　　ونوال الغمام قطرة ماء(٦٠)

وقوله :

فوجهك كالنار في ضوئها　　وقلبي كالنار في حرها(٦١)

آراء الوطواط، وهي ليست كثيرة في «نهاية الإيجاز»، بيد أنَّ منها ما يكاد يكون ترجمة حرفية لما ورد في **حدايق السحر**، فمن هذا قول الرازي في تعريفه «التعديد»: «وهو إيقاع الأعداد من الأسماء المفردة في النثر والنظم على سياق واحد، فإن روعي فيه ازدواج أو تجنيس أو مطابقة أو مقابلة أو نحوها فذلك في غاية الحسن»(٦٢).

روضة الفصاحة لزين الدين الرازي (ت ٦٦٦هـ): يتضح مدى إفادة هذا الكتاب من **حدايق السحر** في الأمور الآتية:

- الموضوعات: فمجموع موضوعات **روضة الفصاحة** أربعة وستون موضوعاً، ورد اثنان وخمسون منها في **حدائق السحر**؛

- الشواهد والأمثلة: وهي كثيرة جداً، ولو أخذنا نستعرضها لطال بنا المقام من غير طائل. لكن نكتفي هنا بالإشارة إلى مورد تظهر فيه الإفادة المباشرة من الوطواط، وهو أنَّ الوطواط كان في مبحث «الترجمة» من كتابه قد أورد بيتين فارسيين للشاعر ناصر خسرو ثم ذكر ترجمته هو لهما إلى العربية(٦٣)، فما كان من زين الدين الرازي إلا أن أورد البيتين الفارسيين مع ترجمة الوطواط لهما دونما إشارة إليه(٦٤)؛

- شعر الوطواط: وقد أربى اعتماد زين الدين الرازي عليه على القدر الذي وجدناه عند الفخر الرازي، فإذا كان مجموع شواهد هذا الأخير من شعر الوطواط لم يزد على أربعة شواهد، فإنَّ مجموع شواهد زين الدين منه بلغ ثلاثة عشر شاهداً، وهذا من الأدلة على أنَّ اعتماده على الوطواط كان مباشراً(٦٥)؛

- تقسيمات الوطواط وآراؤه وتعليقاته: اتفق زين الدين مع الوطواط في الأقسام التي ذكرها لمجموعة من الموضوعات التي عرض لها، منها مثلاً أقسام القلب(٦٦)، والتسجيع(٦٧)، والاعتراض(٦٨)،كما أنه قد تابعه في بعض آرائه وتعليقاته متابعة لا تبقي أي شك في اعتماده عليه. فمن هذا مثلاً قوله عن «حسن التخلص»: «وللمتنبي في هذه الصناعة اليد البيضاء والقدرة المتناهية»(٦٩).

لقد طوى المؤلف ذكر الوطواط في معظم كتابه ، على الرغم من اعتماده الكبير عليه ، وأشار إليه أحياناً إشارات مبهمة(٧٠)، ولم يصرح باسمه في غير موضع واحد قال فيه :«وقال الرشيد الوطواط : صناعة الاشتقاق عند البلغاء والأدباء من التجنيس ... »(٧١).

البديعيات

ثمة قضية يحسن التوقف عندها في ختام هذا الحديث عن تأثير البلاغة الفارسية في البلاغة العربية، وهي تتصل بما عُرف باسم «البديعيات»، أي المنظومات الشعرية التي ضمَّنها ناظموها كل ما وسعهم من الأنواع البديعية المختلفة. فالمعروف عند الباحثين في هذا المجال أنَّ قصيدة علي بن عثمان الإربلي (ت ٦٧٠ هـ) كانت «أول قصيدة عُني ناظمها بأن يودع كل بيت من أبياتها محسَناً بديعياً»[٧٢] . لكننا إذا رجعنا إلى تاريخ البديعيات الفارسية وجدنا بداياتها تسبق قصيدة الإربلي زماناً. فأول بديعية فارسية معروفة هي للشاعر فخر الدين قوامي مطرزي كنجوي من شعراء أواخر القرن السادس الهجري، وعنوانها: «بدايع الأسحار في صنايع الأشعار». وهناك أيضاً قصيدة عنوانها «مفاتيح الكلام في مدايح الكرام» لشاعر من شعراء النصف الأول من القرن السابع الهجري، هو السيد ذو الفقار شرواني. وقد امتدح دولتشاه هذه القصيدة، واصفاً إياها بأنه «شاملة لمجموع صنائع الشعر وبدائعه...»[٧٣].

وهنا يحق لنا أن نتساءل: هل كانت «البديعيات» ضرباً من ضروب التأثير البلاغي الفارسي في البلاغة العربية، وإن في مستوى شكل التعبير وقالب الأداء؟ يبدو أنَّ الإجابة ستكون بالإيجاب، ما لم تكشف لنا الأيام عن بديعيات عربية أقدم زماناً من بديعية الإربلي.

المصادر:

(١) أنظر مثلاً: محمد غنيمي هلال: **الأدب المقارن** ص ٢٨٥، وأحمد محمد الحوفي، **تيارات ثقافية بين العرب والفرس** ص ٣٠١، ومحمد علوي مقدم، **در قلمرو بلاغت** ١:٣٧٩.

(٢) هو محمد بن محمد بن عبد الجليل العمري البلخي المعروف بالوطواط. كان ـ حسب تعبير ياقوت الحموي ـ «من نوادر الزمان وعجائبه، وأفراد الدهر وغرائبه، أفضل زمانه في النظم والنثر، وأعلم الناس بدقائق كلام العرب، وأسرار النحو والأدب...» توفي سنة ٥٧٣هـ، وقيل ٥٧٨هـ، بعد أن ترك قائمة طويلة من المؤلفات باللغتين العربية والفارسية (راجع ترجمته مثلاً في: ياقوت الحموي، **معجم الأدباء** ٦: ٢٦٣١ ـ ٢٦٣٦، وجلال الدين السيوطي، **بغية الوعاة** ١: ٢٢٦ وحاجي خليفة، **كشف الظنون** ١:٦٣٤، وعمر رضا كحالة، **معجم المؤلفين** ٣:٦٤٩).

(٣) هو محمد بن عمر الرادوياني، مؤلف مغمور، لا يُعرف عنه سوى أنه كان يعيش في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري، وأنه كان قريب العهد من شعراء المرحلة الغزنوية الأولى (راجع عنه: عفاف زيدان وآخرين، **اللغة الفارسية نحوها وأدبها وبلاغتها** ص ٤٢٠، ومحمد معين، **فرهنك فارسي** ٥ : ٥٦٩). والغريب في أمر كتابه **ترجمان البلاغة** أنه ظل قروناً متمادية من الزمن ـ ابتداءً من ياقوت الحموي في **معجم الأدباء**: ٦: ٢٦٣٢ ـ يُنسب إلى الشاعر الإيراني المعروف فرّخي (ت ٤٢٩هـ)، إلى أن انزاح هذا الوهم عندما اكتشف الباحث التركي الدكتور أحمد آتش مخطوطة فريدة من الكتاب ثم قام بتحقيقها وطبعها في تركيا سنة ١٩٤٩، وبعد هذا تمت طباعة الكتاب في إيران أيضاً.

(٤) الرادوياني، **ترجمان البلاغة** ص ٣.

(٥) م.ن، ص ٣ ـ ٤. و **محاسن الكلام**، كتاب صغير الحجم، باللغة العربية، حقّقه ونشره محمد فشاركي في أصفهان سنة ١٣٦٤هـ.ش/ ١٩٨٥م. ومؤلفه هو الإمام أبو الحسن نصر ابن الحسن المرغيناني، أحد الشعراء والأدباء المعروفين في مطلع القرن الخامس الهجري، ذكره الباخرزي في **دمية القصر** ١: ٦٦٦ ـ ٦٧٢.

(٦) الرادوياني: **ترجمان البلاغة** ص ١٩، وراجع **الزهرة** للأصبهاني ٢:٧٨٥.

(٧) **ترجمان البلاغة** ص ٨٠، وراجع كتاب **البديع** لابن المعتز، ص ٥٨.

(٨) الوطواط: **حدائق السحر** ص ٤٣، وراجع **النكت في إعجاز القرآن** للرماني ص ٨٠ ـ ٨٥.

(٩) م.ن، ص ٧٣.

(١٠) هو محمد هادي بن محمد صالح المازندراني، من العلماء والأدباء المعروفين في القرن الحادي عشر الهجري. وكتابه **أنوار البلاغة** متأثر تأثراً بالغاً بالتفتازاني في كتابيه **المطول** و **المختصر**، حتى قيل عنه إنه ترجمة فارسية لكتابي التفتازاني. (راجع حول المؤلف: علي أكبر دهخدا، **لغت نامة** ١٢: ١٧٦١٢).

(١١) المازندراني، **أنوار البلاغة** ص ٣٤١.

(١٢) م.ن، ص ٤٠ و ٤٢ و ٥٨، ١٥٨ و ١٩٤ و ٢٤٨ و ٣٠٢.

المصادر:

(١٣) م.ن، ص ٣٣ و ٥٨ و ١٢٠ و ١٢٢ و ١٣٠ و ١٣٤ و ١٥٨ و ٢٦٦ و ٢٨٠ و ٣١٨.

(١٥) م.ن، ص ٣١٨ و ٣٦٥.

(١٦) م.ن، ص ٦١ و ٢٠٩ و ٢٩٠ و ٣٠٠.

(١٧) هو رضا قلي خان هدايت، أحد أبرز الشعراء والمؤلفين في العهد القاجاري، توفي سنة ١٢٨٨هـ تاركاً مؤلفات كثيرة في فنون مختلفة من العلم والأدب. (ترجمته في: على أكبر دهخدا: **لغت نامة** ١٣: ٢٠٧١٠، ومحمد معين: **فرهنگ فارسي** ٦: ٢٢٦٢).

(١٨) هدايت، **مدارج البلاغة** ص ١٦٧، وانظر **المطول** ص ١٣٥-١٣٦.

(١٩) م.ن، ص ٣.

(٢٠) الحاتمي، **حلية المحاضرة** ١: ٢٧٧.

(٢١) أبو هلال العسكري، **كتاب الصناعتين**، ص ٤٧٠.

(٢٢) ابن رشيق القيرواني، **العمدة** ١: ٤٧٩.

(٢٣) م.ن، ٢: ٨٢٤.

(٢٤) أبو هلال العسكري، **كتاب الصناعتين**، ص ٤٥٢-٤٥٥.

(٢٥) هو شمس الدين محمد بن قيس الرازي، من علماء القرن السابع الهجري وأدبائه. يحتل كتابه **المعجم في معايير أشعار العجم** مكانة مرموقة بين كتب العروض والقوافي والبلاغة والنقد المؤلفة باللغة الفارسية، وله فيه جهود محمودة (ترجمته في: علي أكبر دهخدا: **لغت نامة** ٩: ١٢٧٦٢، وصادق شفق، **تاريخ أدبيات إيران** ص ٥٤٤، ومحمد معين، **فرهنگ فارسي** ٥: ٩١٧).

(٢٦) شمس الدين الرازي، **المعجم في معايير أشعار العجم**، ص ٤٣١-٤٣٢.

(٢٧) أسامة بن منقذ، **البديع في نقد الشعر**، ص ١٦٣-١٦٤.

(٢٨) الرادوياني، **ترجمان البلاغة**، ص ٤٥.

(٢٩) الرماني، **النكت في إعجاز القرآن**، ص ٨١.

(٣٠) علي الكاتب، **مواد البيان**، ص ١٨٧.

(٣١) أحمد آتش، مقدمته على **ترجمان البلاغة** ص ي أ-ي ب.

(٣٢) شوقي ضيف، **البلاغة تطور وتاريخ**، ص ١٥٨.

(٣٣) ول ديورانت، **قصة الحضارة الفارسية**، ص ١٩.

(٣٤) تمام حسان، **المصطلح البلاغي القديم في ضوء البلاغة الحديثة**، فصول، المجلد السابع، العددان ٣ و ٤ لسنة ١٩٨٧م، ص ٣٢.

(٣٥) انظر مثلاً: الرادوياني، **ترجمان البلاغة** ص ٧ و ١٥ و ٢٠ و ٢٥، والوطواط، **حدايق السحر**، ص ٣ و ٢٤، ٢٦، ٣٥، وشمس الدين الرازي، **المعجم في معايير أشعار العجم**، ص ٣٣٥ و ٣٥٥ و ٣٥٧.

(٣٦) الرادوياني، **ترجمان البلاغة**، ص ١١.

المصادر:

(٣٧) الوطواط، **حدايق السحر**، ص ١٨.

(٣٨) شمس الدين الرازي، **المعجم في معايير أشعار العجم**، ص ٤١٨.

(٣٩) الرادوياني، **ترجمان البلاغة**، ص ١٠٨.

(٤٠) الوطواط، **حدايق السحر**، ص ٣٥.

(٤١) م.ن، ص ٥٩ والملاحظة نفسها قد كررها رضا قلي خان هدايت في **مدارج البلاغة**، ص ١٥٤.

(٤٢) شمس الدين الرازي، **المعجم في معايير أشعار العجم**، ص ٣٧٦ - ٣٧٧.

(٤٣) تاج الحلاوي، **دقايق الشعر**، ص ٤، والمؤلف هو علي بن محمد الملقب بتاج الحلاوي، من شعراء القرن الثامن الهجري وفقاً لما ذكره عباس آشتياني في مقدمته على **حدايق السحر**، وهو مؤلف مغمور تماماً، فلم تورد له المصادر التاريخية وكتب التراجم ذكراً.

(٤٤) شرف الدين رامي، **حقايق الحدايق**، ص ١١٨ والمؤلف هو شرف الدين حسن بن محمد رامي التبريزي، من شعراء الفرس وكتّابهم المعروفين في القرن الثامن الهجري (انظر ترجمته في: دولتشاه السمرقندي، **تذكرة الشعراء** ص ٢٣١ - ٢٣٢، وحاجي خليفة، **كشف الظنون** ١:٦٣٤ و ٦٧٢ وعلي أكبر داهخدا: **لغت نامة** ٧:١٠٣٦٣، ومحمد معين: **فرهنگ فارسي** ٥:٥٧٧).

(٤٥) حسين الكاشفي، **باديع الأفكار في صنايع الأشعار**، ص ٨٦ - ٩١. والمؤلف هو حسين بن علي البيهقي الكاشفي، من المؤلفين المبرزين في القرن التاسع الهجري، اشتهر بالخطابة والإرشاد الدينيين فعُرف بـ«الواعظ»، توفي في هرات سنة ٩٠٦هـ أو ٩١٠هـ (انظر ترجمته في: محمد باقر الخوانساري، **روضات الجنات** ٣:٢٢٨، وعلي أكبر دهخدا، **لغت نامة** ١١:١٥٨٨٦، ومحمد معين: **فرهنگ فارسي** ٦:١٥٢٦).

(٤٦) رضا قلي خان هدايت، **مدارج البلاغة** ص ١٠٢ - ١٠٥، وتجدر الإشارة هنا إلى أن معنى الترجيح عند المؤلف هو غيرة عند بعض مؤلفي البلاغة العربية كابن الأثير مثلاً في المثل السائر ١:٥٧ - ٦٤، فهو عند المؤلف بمعنى ترجيح الممدوح على غيره بإبراز مزية له على من سواه، بينما هو عند ابن الأثير بمعنى تغليب أحد المعنيين اللذين يدل عليهما اللفظ على المعنى الآخر.

(٤٧) منهم: أحمد مطلوب، **البلاغة عند السكاكي** ص ٢٤٢ - ٢٤٣، وشوقي ضيف، **البلاغة تطور وتاريخ** ص ٢٨٥، وعبد العزيز عتيق، **في تاريخ البلاغة العربية** ص ٢٧٦.

(٤٨) عبد العزيز عتيق، **في البلاغة العربية، علم البديع**، ص ٣٧.

(٤٩) فخر الدين الرازي، **نهاية الإيجاز**، ص ٢٠٥.

(٥٠) البيت في ديوان المتنبي ص ٣٣٢، وفيه «والسيف والرمح» بدلاً من «والطعن والضرب».

(٥١) الوطواط، **حدايق السحر**، ص ٥٠ - ٥١.

(٥٢) الرازي، **نهاية الإيجاز**، ص ٢٠٣.

(٥٣) **سورة الفاتحة**، الآيتان، ٤ و ٥.

(٥٤) **سورة يونس**، الآية ٢٢.

(٥٥) **سورة الإسراء**، الآية ٨١.

المصادر:

(٥٦) **سورة التوبة**، الآية ١٢٧.

(٥٧) الوطواط، **حدايق السحر**، ص ٣٨ - ٣٩.

(٥٨) **نهاية الإيجاز**، ص ٩٦، **وحدايق السحر**، ص ١٦.

(٥٩) **نهاية الإيجاز**، ص ١٣٦، **وحدايق السحر**، ص ٤٧.

(٦٠) **نهاية الإيجاز**، ص ٢٠٧، **وحدايق السحر** ٧٥، وفيه كلمة «يوم» بدلاً من «وقت» في الشطر الأخير من البيت الأول.

(٦١) **نهاية الإيجاز**، ص ٢٠٨، **وحدايق السحر** ص ٧٦.

(٦٢) **نهاية الإيجاز**، ص ٢٠٥، وللوطواط كلام متفق تماماً في **حدايق السحر**، ص ٥٠.

(٦٣) الوطواط، **حدايق السحر**، ص ٦٩.

(٦٤) زين الدين الرازي، **روضة الفصاحة**، ص ٣٠٥.

(٦٥) انظر **روضة الفصاحة**، ص ٧٦ و ٨٧ و ٢١٠ و ٢٩٤ و ٢٩٦ و ٢٩٧ و ٣٠٥.

(٦٦) **روضة الفصاحة**، ص ١٥٠-١٥٧، **حدايق السحر** ص ١٥-١٨.

(٦٧) **روضة الفصاحة**، ص ٢٠٦ - ٢١٠، **وحدايق السحر**، ص ١٤-١٥.

(٦٨) **روضة الفصاحة**، ص ٢٦١-٢٦٥، **وحدايق السحر**، ص ٥٣ - ٥٤.

(٦٩) **روضة الفصاحة**، ص ٢٨٨، والعبارة تكاد تكون ترجمة حرفية لما في **حدايق السحر**، ص ٣١.

(٧٠) كقوله: «بعض البلغاء» ص ١٣٠ و ٢٤٧، و «بعض علماء البيان» ص ٢٥٤.

(٧١) **روضة الفصاحة**، ص ١٩٨، وكلام الوطواط المنقول وارد في **حدايق السحر**، ص ١٢-١٣.

(٧٢) شوقي ضيف، **البلاغة تطور وتاريخ**، ص ٢٦٠.

(٧٣) دولتشاه السمرقندي، **تذكرة الشعراء**، ص ١٠٠-١٠١.

المراجع العربية

(١) **القرآن الكريم**.

(٢) ابن الأثير، ضياء الدين نصر الله بن محمد الموصلي، **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر**، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد (بيروت: المكتبة العصرية، ١٩٩٠).

(٣) الأصبهاني، محمد بن داود، **الزهرة**، تحقيق ابراهيم السامرائي، (الزرقاء/الأردن: مكتبة المنار، ١٩٨٥).

(٤) الباخرزي، علي بن الحسين الطيب، **دمية القصر وعصرة أهل العصر**، تحقيق محمد التونجي، (د.ن، د.م، ١٩٧١).

(٥) التفتازاني، سعد الدين، **المطول**، (القاهرة: مطبعة أحمد كامل، ١٣٣٠هـ).

(٦) الحاتمي، أبو علي محمد بن الحسن بن المظفر، **حلية المحاضرة**، تحقيق جعفر الكتاني، (دار الرشيد، ١٩٧٩).

(٧) حسان، تمام، **المصطلح البلاغي القديم في ضوء البلاغة الحديثة**، (القاهرة: فصول المجلد ٧ العددان ٣ و ٤ لسنة ١٩٨٧).

(٨) الحموي، ياقوت، **معجم الأدباء**، تحقيق إحسان عباس، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٣).

(٩) الحوفي، أحمد محمد، **تيارات ثقافية بين العرب والفرس**، (القاهرة: دار نهضة مصر، ١٩٧٨م).

(١٠) خليفة، حاجي، **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، (بغداد: مكتبة المثنى، د.ت).

(١١) الخوانساري، محمد باقر، **روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات**، (قم: مكتبة اسماعيليان، ١٣٩١هـ).

(١٢) ديورانت، ول، **قصة الحضارة الفارسية**، ترجمة ابراهيم الشواربي، (القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٤٧).

(١٣) الرازي، زين الدين محمد بن أبي بكر: **روضة الفصاحة**، تحقيق أحمد النادي شعلة، (القاهرة: دار الطباعة المحمدية، ١٩٨٢).

(١٤) الرازي، فخر الدين محمد بن عمر، **نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز**، تحقيق أحمد حجازي السقا، (بيروت - القاهرة: دار الجيل والمكتب الثقافي، ١٩٩٢).

(١٥) الرماني، أبو الحسن علي بن عيسى، **النكت في إعجاز القرآن**، ضمن: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تحقيق محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام، (القاهرة: دار المعارف بمصر، ط ٢، ١٩٦٨).

(١٦) زيدان، عفاف وآخرون، **اللغة الفارسية: نحوها وأدبها وبلاغتها**، (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٧).

(١٧) السيوطي، جلال الدين، **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، (القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي، ١٩٦٤).

(١٨) ضيف، شوقي، **البلاغة تطور وتاريخ**، (القاهرة: دار المعارف، ١٩٧٦).

(١٩) عتيق، عبد العزيز، **في البلاغة العربية: علم البديع**، (بيروت: دار النهضة العربية، ١٩٧٤).

(٢٠) عتيق، عبد العزيز، **في تاريخ البلاغة العربية**، (بيروت: دار النهضة العربية، د.ت).

(٢١) العسكري، أبو هلال، **كتاب الصناعتين**، تحقيق مفيد قميحة، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٤).

(٢٢) القيرواني، الحسن بن رشيق، **العمدة في محاسن الشعر وآدابه**، تحقيق محمد قرقزان، (بيروت: دار المعرفة، ١٩٨٨).

(٢٣) الكاتب، علي بن خلف، **مواد البيان**، تحقيق حسين عبد اللطيف، (طرابلس: منشورات جامعة الفاتح، ١٩٨٢).

(٢٤) كحالة، عمر رضا، **معجم المؤلفين**، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٩٣).

(٢٥) المتنبي، أبو الطيب، **ديوانه**، (بيروت: المكتبة الثقافية، د.ت).

(٢٦) المرغيناني، أبو الحسن نصر بن الحسن، **محاسن الكلام أو كتاب المحاسن في النظم والنثر**، تحقيق محمد فشاركي، (أصفهان: مطبعة بروين، ١٣٦٤هـ).

(٢٧) مطلوب، أحمد، **البلاغة عند السكاكي**، (بغداد: مكتبة النهضة، ١٩٦٤).

(٢٨) ابن المعتز، عبد الله، **كتاب البديع**، تحقيق إغناطيوس كراتشكوفسكي، (لندن: لوزاك وشركاؤه، ١٩٣٥).

(٢٩) ابن منقذ، أسامة، **البديع في نقد الشعر**، تحقيق أحمد بدوي وحامد عبد المجيد، (القاهرة: مكتبة البابي الحلبي وأولاده، ١٩٦٠).

(٣٠) هلال، محمد غنيمي، **الأدب المقارن**، (بيروت: دار العودة ودار الثقافة، د.ت).

المراجع الفارسية

(١) تاج الحلاوي، علي بن محمد، **دقايق الشعر**، تصحيح السيد محمد كاظم إمام، (طهران: مطبوعات جامعة طهران، ١٣٤١هـ).

(٢) دهخدا، علي أكبر، **لغت نامة**، (طهران: مطبوعات جامعة طهران، ١٣٧٣هـ).

(٣) الرادوياني، محمد بن عمر، **ترجمان البلاغة**، تحقيق أحمد آتش، (طهران: مطبوعات أساطير، ط٢، ١٣٦٢هـ.ش).

(٤) الرازي، شمس الدين، **المعجم في معايير أشعار العجم**، تحقيق محمد قزويني ومدرس رضوي (طهران: مكتبة زوار، ط ٢، ١٣٦٠هـ.ش).

(٥) رامي، شرف الدين، **حقايق الحدايق**، تحقيق السيد محمد كاظم إمام، (طهران: مطبوعات جامعة طهران، ١٣٤١هـ.ش).

(٦) السمرقندي، دولتشاه، **تذكرة الشعراء**، (طهران: مطبعة خاور، ١٣٣٨هـ.ش).

(٧) شفق، صادق رضا زاده، **تاريخ أدبيات إيران**، ط٢، (طهران: منشورات جامعة بهلوي، ١٣٥٢هـ.ش).

(٨) الكاشفي، حسين الواعظ، **بدايع الأفكار في صنايع الأشعار**، تحقيق مير جلال الدين كزازي (طهران: مطبوعات المركز، ١٣٦٩ هـ.ش).

(٩) المازندراني، محمد هادي، **أنوار البلاغة**، تحقيق محمد علي غلامي نجاد، (طهران: مركز القبلة الثقافي، ١٣٧٦هـ.ش).

(١٠) معين، محمد، **فرهنگ فارسي**، (طهران: مطبوعات الأمير الكبير، ط ١٠، ١٣٧٥هـ.ش).

(١١) مقدم، محمد علوي. **در قلمرو بلاغت**، (مشهد: مطبوعات الروضة الرضوية المقدسة، ١٣٧٢هـش.).

(١٢) هدايت، رضا قلي خان، **مدارج البلوغة در علم بديع**، (شيراز: مكتبة المعرفة، ط ٢، ٢٥٢٥ شاهنشاهية.

(١٣) الوطواط، رشيد الدين، **حدايق السحر في دقايق الشعر**، تحقيق عباس إقبال أشتياني، (مكتبة سنائي ومكتبة طهوري، ١٣٦٢هـ.ش).

علي بهرام پور*

الصحافة الإيرانية بعد الثورة الإسلامية: دراسة مقارنة وإحصائية

تحاول هذه الدراسة الإحاطة بوضع الصحافة في إيران بعد الثورة الإسلامية، إلى جانب التحولات الثقافية في العالم. وتستعرض كذلك بإيجاز التحولات الطارئة في المجالين الثقافي والاجتماعي على الصعيدين الداخلي والخارجي، ومدى تأثير ذلك في طلب المنتجات الثقافية (ومن بينها الصحف) والتطورات العالمية في مجال الاتصالات في العقدين الأخيرين، ثم تستعرض المحاور الثلاثة المعنية بالموضوع.

يعرض المحور الأول الإحصاءات المتوافرة عن الصحافة في إيران بعد الثورة الإسلامية، ويلحظ اتجاه عملية نشر الصحافة لناحية الكم. ويتناول المحور الثاني نشر الصحف في إيران مقارنة ببلدان المنطقة والعالم. أما المحور الثالث فيتناول النشرات الصادرة باللغة الفارسية في الخارج خلال العامين الماضيين، علماً أن هذه النشرات التي تنشرها الجاليات الإيرانية المقيمة في الخارج تساوي لناحية الكم تقريباً عدد النشرات أو الصحف التي تنشر في الداخل حالياً. وتخلص الدراسة إلى أن العقدين الأخيرين شهدا على الصعيدين الداخلي والخارجي تحولات مدهشة تركت تأثيرها في المجال الثقافي في الداخل. إلا أن هذه التحولات، التي أدت إلى زيادة الطلب على الاستهلاك، وإلى تغير الأذواق، وإلى زيادة الهوة القيمية، وإلى التنوع في سوق المنتجات الثقافية، لم تلق إجابة مناسبة من جانب الحكومة. بعبارة أخرى لم تتحرك الحكومة في العقدين الأخيرين في المجال الصحافي بما يتلاءم والتحولات على الصعيدين الداخلي والخارجي. وكمثال على ذلك، فإن الطلب على نشر الصحف في الوقت الراهن يزيد بما لا يُقاس عن التراخيص الممنوحة لنشر الصحف من جانب هيئة الإشراف على الصحف، وأن هذه الهوة آخذة في الاتساع. وخلاصة القول هي أنه إذا لم تكيف برامج الحكومة نفسها مع التحولات الراهنة، فإن أجهزة إعلامية أخرى ستحل محل الأجهزة المحلية، وستواجه إيران

---

* باحث ايراني.

أزمة لا يمكن تجاوزها من الناحية الثقافية.

بعد انتصار الجمهورية الإسلامية في إيران عام ١٩٧٩ تحررت الصحف فجأة من قيود الرقابة، وشهدت تحولاً كبيراً كماً ونوعاً. وتمثل أهم تحول شهدته الصحف لناحية الكم في زيادة عدد الصحف وزيادة نسخها في الأشهر الأولى بعد انتصار الثورة الإسلامية. وقد اتجهت المجموعات والمنظمات والأحزاب واللجان والفصائل المختلفة نحو الصحافة لنشر أفكارها ووجهات نظرها. وتم نشر الصحف الجديدة دون الحصول على تراخيص من الحكومة. وبعد انتصار الثورة الإسلامية بسبعة أشهر صدر القانون الأول للصحافة، وصادق عليه مجلس قيادة الثورة بتاريخ ٢٢/٨/١٩٧٩، وذلك قبل إقرار دستور الجمهورية الإسلامية الإيرانية. وقد أناط قانون نشر الصحف بالحصول على ترخيص للنشر من وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، وذلك بعد تثبيت أهلية مقدم الطلب من جانب لجنة تم تشكيلها لهذا الغرض، مؤلفة من ممثلين عن أصحاب دور النشر، والكتّاب، والمحكمة العليا، وأساتذة من جامعة طهران، وأساتذة من الحوزة العلمية بقم، ومحامين من وزارة العدل. وتضمن قانون الصحافة القيود والضوابط التي ينبغي على الصحف احترامها، وكذلك الإجراءات المتخذة في حال مخالفة هذه الضوابط.

بعد المصادقة على الدستور، صادق مجلس الشورى الإسلامي عام ١٩٨٥ على قانون الصحافة المستوحى من قانون الصحافة المشرّع عام ١٩٧٩. وقد نص قانون الصحافة لعام ١٩٨٥ في برنامجه على تشكيل «هيئة الإشراف على الصحافة» أنيطت بها مهمات اتخاذ القرار بمنح امتياز تراخيص النشر لمقدمي الطلب على إصدار المطبوعات الصحافية والاشراف على أداء الصحافة.

طبقاً لقانون عام ١٩٨٥ والتعديل الذي أجري عليه عام ٢٠٠٠، تتولى هيئة الإشراف على الصحافة مهمة النظر في الطلبات المقدمة للحصول على تراخيص وإصدار الصحف وتمييز أهلية مقدم الطلب والمدير المسؤول للصحيفة. وهي التي تقرر عدد الذين ستمنحهم تراخيص النشر. وتعتبر الجمهورية الإسلامية في الوقت الراهن من البلدان القليلة التي يحتاج فيها نشر الصحف إلى الحصول على تراخيص من مؤسسة خاصة. بعبارة أخرى، إن الحكومة في إيران تمتلك وحدها حق إصدار تراخيص امتياز نشر الصحف بشكل كامل، وتكون الصحافة تابعة للحكومة نظراً للدعم الذي تقدمه الحكومة لنشر الصحف.

تعكس دراسة عدد تراخيص نشر الصحف الممنوحة من جانب هيئة الإشراف على الصحف، والمقارنة الإحصائية والكمية للصحف الصادرة في إيران بعد الثورة الإسلامية، التحول الذي شهدته الصحافة في الفترة المحددة. كما تعكس دراسة الإحصاءات المتعلقة بوضع الصحف في البلاد في أعوام ما بعد الثورة، ومقارنتها بعدد النسخ المطبوعة، ومعدل

نشر الصحف نسبة إلى تعداد السكان في البلدان الأوروبية والبلدان العربية المجاورة وبلدان الشرق الأوسط، والإحصاءات المرتبطة بالصحف والمجلات، والنشرات التي ينشرها الإيرانيون في الخارج، تعكس الوضع العام للصحافة، وتوضح مدى النمو والتحول الذي شهدته الصحافة في إيران مقارنة بالبلدان الأخرى. بكلام آخر سنتحدث أولاً عن التحولات التي شهدتها الساحتان العالمية والداخلية في الحقل الثقافي، وتأثير ذلك في الإقبال الشعبي على الثقافة، والإنجازات العالمية في مجال الاتصالات، ثم سنبحث عدداً من المحاور الأخرى:

- شهد العقدان الأخيران تحولاً مدهشاً على الصعيدين الداخلي والعالمي ترك أثره في المجال الثقافي في إيران؛

- إن الطلب حالياً على تراخيص نشر الصحف يزيد أضعافاً عن تراخيص النشر التي تمنحها هيئة الإشراف على الصحافة؛

- إن وضع نشر الصحافة في إيران متدن جداً مقارنة ببعض البلدان العربية والإقليمية؛

- بعد انتصار الثورة الإسلامية عام ١٩٧٩ تحررت الصحف فجأة من قيود الرقابة، وشهدت تحولاً كبيراً كماً ونوعاً؛

- التحولات الطارئة في الحقل الثقافي وتأثيره في الطلب على المنتوج الثقافي في العقدين الأخيرين.

عموماً، شهد العقدان الأخيران تحولات اجتماعية وثقافية كثيرة في العالم تركت تأثيرها في الأمزجة في إيران. ويمكن تلخيص هذه التحولات، إلى جانب التحولات الداخلية على النحو الآتي:

- على الصعيد العالمي حدثت تحولات، كالثورة في الاتصالات، وطفرة المعلومات، والتجارة العالمية، والعولمة في مجال الثقافة، والاهتمام بالرأي العام، والعمليات الديموقراطية، وتغلب أنماط التنمية الإنسانية والمستديمة والتحالفات الجديدة وتغير مفهوم السيادة الوطنية؛

- على الصعد الداخلية شهدت البلاد زيادة سكانية وشبابية، واتساع الإقبال على السكن في المدن، وانتشار التعليم، والنهوض بالمستوى الدراسي في المراحل العليا، وتغير بناء العائلة وأدائها، والهجرة الداخلية والخارجية؛

- زيادة تعداد السكان وانخفاض المصادر المالية للحكومة أديا إلى إضعاف قدرة الحكومة في مجال السيطرة على الحقل الثقافي والمنتجات الثقافية، وخاصة في مجال الاتصالات والصحافة؛

- في مقابل تراجع قدرة الحكومة على السيطرة اقتصادياً على سوق الإنتاج وتبادل المنتجات الثقافية، شهد الطلب على المنتجات الثقافية، كالكتب والصحف والأفلام والموسيقى وغيرها، تحولات عميقة نتيجة للتحولات الاجتماعية على الصعيدين الداخلي والدولي؛

- الزيادة في تعداد السكان أدت إلى زيادة الطلب على الإصدارات الثقافية والصحافية؛

- النسبة السكانية العالية من الشباب أدت إلى تغيير في محتوى الطلب الثقافي وزيادة الرغبة في المنتجات التي تستسيغها عامة الناس؛

- الزيادة السكانية العالية أدت إلى زيادة الطلب العام على المنتجات الثقافية، وإلى تحول في كيفية استهلاك المنتجات الثقافية؛

- انتشار التعليم وارتفاع المستوى الدراسي الجامعي أديا إلى زيادة الطلب على المنتجات الثقافية الصحافية؛

- أدت موجات الهجرة إلى تغيير الأذواق وانتهاج الأنماط المختلفة للاستهلاك الثقافي؛

- اتساع الهوة القيمية وتحول أنماط الاستهلاك للسلع الثقافية إلى قطبين تعتبر إحدى التبعات المهمة للتحولات الاجتماعية الجديدة؛

- أدى النمو السريع للتجارة العالمية والعولمة الثقافية والتحولات الأخرى لثورة الاتصالات وانفجار المعلومات إلى حصول تنوع في سوق المنتجات الثقافية، ودخول أنواع الوسائل والبضائع الثقافية والمعلوماتية الجديدة، كالفيديو والفضائيات والشبكات المعلوماتية والأقراص المدمجة والوسائل الآلية المنتجة والموزعة في السوق الاستهلاكية.

تشير هذه التحولات إلى ضرورة انتهاج الحكومات مواقف عقلانية كأمر لا مفر منه في التنمية الاقتصادية والاجتماعية والسياسية. ويترك هذا المنطق تأثيراته في المجال الثقافي كذلك. وإذا كان عدد المتعلمين في إيران قد تضاعف تقريباً في العقدين الأخيرين، فهذا يعني تضاعف الحاجة إلى القراءة والطلب على المنتجات الثقافية (الصحف والكتب والأفلام وغير ذلك). وإذا كان عدد الطلاب الذين يواصلون دراساتهم في إيران قد بلغ أربعة أضعاف ما كان عليه قبل الثورة، فهذا يعني أننا قد زودنا القسم الأكبر من سكان البلاد بمهارات القراءة والتفكير العملي والتساؤل والبحث عن الإجابات. وإذا ما تضاعف عدد الخريجين الجامعيين في العقدين الماضيين أربعة أضعاف، فهذا يعني ضرورة زيادة انتاج الصحف والمجلات والكتب وباقي المنتجات الثقافية التي يحتاجها هذا العدد بالنسبة نفسها. وإذا كنا قد ضاعفنا ساعات بث البرامج الإذاعية والتلفزيونية خمسة أضعاف أو أكثر إثر البحوث الواسعة حول ضرورة مواجهة الهجمة الثقافية الغربية، فيجب توقع تنامي مجالات الاتصالات والأجهزة الإعلامية، وينبغي على الصحافة بكل أنواعها أن تواكب هذا التحول، وأن تكون جاهزة لأداء مسؤوليتها كباقي المنتجات الثقافية الأخرى.

التحولات العالمية في مجال الاتصالات

زادت الثورة الإلكترونية وانفجار المعلومات، سواء الجيدة منها أو السيئة، من زخم التغطية الإعلامية وحدودها، وخصوصاً من جانب الإذاعة والتلفزيون وأجهزة نقل المعلومات المرقمة (الديجيتال) بشكل غير مسبوق في التاريخ البشري. وتشير البحوث والدراسات، التي أجرتها منظمتا «اليونيسف» و«اليونيسكو»، إلى أن التحولات المذكورة ستحول جهاز التلفزيون في العقد المقبل إلى أهم وسيلة لإنتاج المعلومات وتوزيعها في العالم. وقد انتبه المخططون وأصحاب الشركات الكبرى المنتجة للبرامج التلفزيونية الفضائية أخيراً إلى ضرورة تطابق وتناسب برامجهم ومتطلبات المتلقين المحليين. وعليه يبحث معظمهم عن إمكانية بث هذه البرامج باللغات المحلية (الإذاعة). وتختار المحطات التلفزيونية العالمية مشاهديها من مجموعة أعمار ما بين ١٥ ـ ٣٠ عاماً في كل أرجاء العالم كمتلقين رئيسيين. ففي نهاية القرن العشرين كانت الشركات التابعة لخمسة بلدان تمتلك ٧٠ في المئة من إنتاج المنتجات التلفزيونية للسوق العالمية، فيما يتم إعداد ٩٠ في المئة من الأخبار الخارجية التي تقدمها القنوات التلفزيونية الفضائية من جانب ثلاث وكالات أنباء رئيسة مقرها في لندن. وعليه أدى ظهور الوسائل الجديدة إلى تسهيل عملية استقبال برامج الفضائيات. وهي بأحجام أصغر بكثير من الصحون وأجهزة الاستقبال القديمة، وسيتم في المستقبل القريب وضعها داخل جهاز التلفزيون، علماً أن شعبنا، والشباب منهم خصوصاً، تحولوا إلى سوق فعلية لتصريف المنتجات الثقافية لأجهزة الإعلام الدولية. وبالتالي، فإن هذا الجيل الذي سيكون بحاجة إلى التسلية والتعليم والترفيه، إما أن يؤمن جانباً كبيراً من حاجاته من السوق الداخلية ومن المنتجات الثقافية المنتجة داخل البلاد أو أنه سيضطر إلى الاتجاه نحو المنتجات الأجنبية. على أن الهجمة الثقافية الواسعة لا تختص بمنتجات الشركات الإعلامية الكبرى، بل إن المعارضين الذين ينوون إطاحة النظام، وكذلك الاتجاهات السياسية المناهضة للجمهورية الإسلامية الإيرانية، يمكنها شراء الإمكانات التكنولوجية أو تأجيرها وبث منتجاتها إلى داخل البلاد. فهناك حالياً خمس قنوات فضائية عالمية فارسية تبث برامجها إلى داخل البلاد، ويمكن التقاطها في كل أرجاء إيران. وهي تنشط أيضاً في مجال نشر الصحف والمجلات عبر المواقع الإلكترونية المختلفة. ويستعرض المقال هذا شرح الأوضاع العامة للصحف الفارسية ذات الاتجاهات السياسية أو الثقافية، والتي تصدر في الخارج، ومقارنتها بالصحف التي تنشر حالياً في إيران.

الصحف بعد الثورة الإسلامية

تتناول هذه الدراسة المتغيرات الكمية والإحصائية لنشر الصحف بعد الثورة الإسلامية في

ستة مجالات تضم بيانات إصدار التراخيص، وتقديم طلبات لنشر صحيفة، ودورة نشر الصحف التي تمتلك تراخيص، وحجم التوزيع، ووضع نشر الصحف. وتشير مجموعة هذه المتغيرات إلى أن الصحف المنشورة بعد الثورة الإسلامية لم تشهد لناحية الكم نمواً يتناسب وحاجات الشعب.

إصدار التصاريح

طبقاً للجدول الرقم (١) أصدرت الهيئة المعنية بإصدار التراخيص ١٤٨٦ ترخيصاً لنشر الصحف في الفترة الممتدة بين عامي ١٩٩٠ (المرحلة الثالثة لنشاط هيئة الإشراف على الصحف) و ٢٠٠٠.

باستثناء هذه المرحلة (المرحلة الثالثة) التي بدأت من ١٩/ ١١/ ١٩٩٠ وانتهت أواخر عام ١٩٩٢، أصدرت هيئة الإشراف على الصحف ما مجموعه ٢٨٢ تصريحاً لنشر الصحف والمجلات والنشرات الأخرى. وتشير بيانات الإصدار في الأعوام التالية، والتي تمت دراستها، إلى زيادة التراخيص الصادرة عن الهيئة المذكورة بشكل واضح تماماً. فطبقاً للجدول نفسه شهد عام ١٩٩٩ تزايد إصدار الصحف بنسبة ٢٢,٤ في المئة أو بنسبة ١٨,٩ في المئة عام ١٩٩٧، فيما شهد عام ١٩٩٨ زيادة بنسبة ١١,٤ في المئة. ويشير الجدول الرقم (١) إجمالاً إلى الوتيرة المتنامية لنمو منح تراخيص نشر الصحف من جانب الهيئة المذكورة عام ١٩٩٧. إلا أن هذه الوتيرة عادت وانخفضت بشدة عام ٢٠٠٠، وتراجع المستوى إلى أقل مما كان عليه عام ١٩٩٣ (يبدو أن المعلومات المتعلقة بعام ١٩٩٠، والتي تشمل المرحلتين الأولى والثانية لنشاط هيئة الإشراف على الصحف لم يتم تسجيلها في أي من سجلات وزارة الإرشاد أو تخزينها).

الجدول (١)

تراخيص نشر الصحف بين عامي ١٩٩٠ و ٢٠٠٠

السنة	عدد التراخيص	النسبة المئوية
١٩٩٠-١٩٩٢	٢٨٢	١٨,٩
١٩٩٣	٦٩	٤,٦
١٩٩٤	٧٠	٤,٧
١٩٩٥	١٠٥	٧,١
١٩٩٦	١١٦	٧,٨
١٩٩٧	٢٨١	١٨,٩
١٩٩٨	١٦٨	١١,٢
١٩٩٩	٣٢٢	٢٢,٤
٢٠٠٠	٦٢	٢,٢
المجموع	١٢٨٦	١٠٠

طلبات تراخيص النشر

يعكس الجدول الرقم (٢) كثرة طلبات الحصول على تراخيص نشر الصحف مقارنة بعدد التراخيص الصادرة في الأعوام ١٩٩٠-٢٠٠٠. ويشير الجدول إلى التقارب بين عدد التراخيص الصادرة في هذه الفترة. لكن الهوة ظهرت منذ عام ١٩٩٥ بين عدد الطلبات وعدد التراخيص الصادرة عن هيئة الإشراف على الصحف. وقد بلغت هذه الهوة حداً كبيراً من الاتساع. إذ تم إصدار ٦٢ تصريحاً فقط مقابل ٢٠٩٩ طلباً لنشر الصحف. بعبارة أخرى يشير الجدول الرقم(٢) إلى أن عدد التراخيص الصادرة عن هيئة الإشراف على الصحف أقل بكثير من عدد الطلبات المقدمة، فضلاً عن الطلبات المكدسة من السنوات الماضية، والتي ينتظر أصحابها الحصول على التصاريح في أوقات لاحقة.

الجدول (٢)

طلبات تراخيص نشر الصحف في الأعوام ١٩٩٠-٢٠٠٠

السنة	عدد الطلبات حتى عام	عدد الطلبات	عدد الطلبات
١٩٩٠-١٩٩٢	—	—	٢٨٢
١٩٩٣	٥٦	٢٠	٦٩
١٩٩٤	١٣٨	٨٤	٧٠
١٩٩٥	٢٤٨	٧٥	١٠٥
١٩٩٦	٤٩٥	٢٠٥	١١٦
١٩٩٧	٨٩١	٥٧٠	٢٨١
١٩٩٨	١٢٠٣	٦٢٤	١٦٨
١٩٩٩	١٦٠١	٨١٨	٣٣٣
٢٠٠٠	٢٠٩٩	٧٦١	٦٢

الجدول(٣)

الصحف المرخص لها مع دورات انتشارها

دورة النشر	العدد	النسبة المئوية
صحيفة يومية	١٣٢	٨,٥
عددان في الأسبوع	١٨	١,٢
أسبوعية	٢٨٩	١٨,٦
نصف شهرية	٩٩	٦,٤
شهرية	٤٤٦	٢٨,٧
فصلية	٤٤٦	٢٨,٧
نصف سنوية	٥٦	٣,٦
عدد كل شهرين	٤٨	٣,٢
غير ذلك	١٧	١,١
المجموع	١٥٥١	١٠٠

نشر الصحف المرخص لها

طبقاً لما جاء في الجدول أعلاه، فإن أكثر التراخيص الصادرة ترتبط بالفصليات والنشرات الشهرية. إذ تشمل هاتان الفئتان وحدهما ٥٧ في المئة من كل المنشورات. ثم تليها المجلات الأسبوعية التي تشكل ١٨,٦ في المئة من مجموع التراخص. وتشكل الصحف اليومية المرخصة ٨,٥ في المئة من مجموع التراخيص. على أن أقل التراخيص يرتبط بالنشرات التي تصدر عددين في الأسبوع الواحد.

دورة نشر الصحف

يعكس الجدول الرقم (٤) الصحف المنشورة حتى نهاية عام ٢٠٠٠... طبقاً لهذا الجدول، فإن أعلى نسبة من النشرات هي النشرات الشهرية التي تبلغ نسبتها إلى مجموع المطبوعات الصحافية المنشورة ٢٩ في المئة. وتأتي بعدها النشرات الشهرية والاسبوعية، والنشرات الفصلية التي تصل نسبتها إلى ٢٢ في المئة والتي تحتل الرتبة الثانية، بينما تحتل الصحف اليومية نسبة ١١ في المئة من مجموع ما ينشر من مطبوعات.

الجدول (٤)

الصحف الصادرة حتى نهاية عام ٢٠٠٠

دورة النشر	العدد	النسبة المئوية
صحيفة يومية	١١٢	١١
عددان في الأسبوع	١٢	١,٤
أسبوعية	٢٢٤	٢٢
نصف شهرية	٧١	٧,١
شهرية	٣٩٥	٢٩
فصلية	٢٢٦	٢٢
نصف سنوية	٢٩	٢,٩
كل شهرين مرة	٢٢	٢,٢
غير ذلك	١٤	١,٤
المجموع	١٠١٨	١٠٠

دوائر توزيع التصاريح

يشير الجدول الرقم (٥) إلى التراخيص الصادرة عن هيئة الإشراف على الصحف طبقاً لدائرة النشر... طبقاً لهذا الجدول انحصرت كل التراخيص الصادرة في المرحلتين الأولى والثانية بين عامي ١٩٩٠ـ١٩٩٢ بالدائرتين الوطنية والمناطقية، وبلغت حصة الدائرة الوطنية ٢٢٦ ترخيصاً من أصل ٢٨٢ ترخيصاً. وفي المرحلة الرابعة توزعت التراخيص الصادرة على

أربع دوائر. لكن دائرة التوزيع الإقليمي حصلت على عدد ضئيل من التصاريح. وفي المراحل التالية كانت تصاريح نشر الصحف في أربع دوائر كذلك. لكن دائرة التوزيع الوطني احتلت المرتبة الأولى، ودائرة التوزيع المناطقي المرتبة الثانية، فيما حلت دائرة التوزيع الدولي في المرتبة الثالثة، ودائرة التوزيع الإقليمي في المرتبة الأخيرة.

الجدول (٥)

التصاريح الصادرة حسب دائرة التوزيع

المرتبة	دائرة التوزيع	الدورة الثالثة	الدورة الرابعة	الدورة الخامسة	الدورة السادسة	السابعة حتى نهاية ٩٩
١	الوطني	٢٢٦	١٠٦	١٢٠	٢٨١	١٦٢
٢	المناطقي	٥٦	٦٧	٤٤	١٠٤	٧٣
٣	الإقليمي		٢	٦	١٤	٢٢
٤	الدولي		١٧	٦٥	٧٧	٦٥
٥	المجموع	٢٨٢	١٩٢	٢٣٥	٤٧٦	٣٢٤

طبقاً لما يشير إليه الجدول الرقم (٦) اتخذت دائرة التوزيع الدولي من المرحلة الرابعة (منذ عام ١٩٩٢ وبعد ذلك) منحاً تصاعدياً تقريباً.

الجدول (٦)

نشر الصحف اليومية في نهاية عام ١٩٩٠

الصحف اليومية	العدد	النسبة المئوية
الصحف اليومية المنتظمة الوطنية	٤٤	٣٢,٤
الصحف اليومية المنتظمة المناطقية	١٧	١٢,٨
الصحف اليومية غير المنتظمة	٢٩	٢٢
الصحف غير المنشورة	١٩	١٤,٤
الصحف المحظورة	٢٣	١٧,٤
المجموع	١٣٢	١٠٠

وضع نشر الصحف اليومية

يشير الجدول الرقم (٧) إلى وضع نشر الصحف اليومية في البلاد في نهاية عام ١٩٩٠... طبقاً لهذا الجدول، تم توقيف ٢٣ صحيفة من أصل ١٣٢ ترخيصاً صادراً لنشر الصحف اليومية، أي ما نسبته ١٧,٤ في المئة. كما أن ١٩ صحيفة لم تواصل نشرها. أي ما نسبته ١٤,٤ في المئة. وكان نشر ٢١ صحيفة(٢٢ في المئة) منتظماً. وتشكل الصحف الوطنية (سواء أكانت سياسية أو رياضية أو غيرها) ٣٣,٤ في المئة (٤٤ صحيفة) من الصحف. كما

تمثل الصحف المناطقية ١٢,٨ في المئة من مجموع الصحف.

الصحف في إيران والعالم

تمت مقارنة وتيرة نشر الصحف اليومية في إيران وفي باقي مناطق العالم على أساس عدد من المؤشرات المتعلقة بمعدل الاستهلاك الفردي ووضع نشر الصحف في إيران والعالم. وطبقاً لهذه المؤشرات، فإن معدل الاستهلاك الفردي للصحف وعدد الصحف اليومية في إيران منخفض جداً، وهو أقل بكثير حتى من عدد من بلدان المنطقة والبلدان العربية. ولا تعكس هذه المؤشرات المستوى المنخفض لمعدل الاستهلاك الفردي، بل إن عدد الصحف اليومية لكل ألف مواطن خلال الأعوام الخمسة والعشرين الماضية لم يتجاوز ٢٧ نسخة، في حين يتجاوز هذا العدد في البلدان المجاورة ثلاثة أضعاف.

نشر الصحف حسب معدل الاستهلاك الفردي لوزن الصحف في العالم

الجدول الرقم (٧) يعكس نشر الصحف في العالم طبقاً لإحصاءات منظمة «اليونيسكو» لعام ١٩٩٧. وكذلك معدل الاستهلاك الفردي لوزن الصحف. ويشير الجدول إلى نسبة الاستهلاك الفردي للصحف.

الجدول (٧)

نشر الصحف اليومية في العالم

القارة أو المناطق	الاستهلاك الفردي لكل ألف فرد	وزن الاستهلاك الفردي للصحف بالكيلو غرام
إفريقيا	١٧	٠,٧
أميركا	١٢٥	١٩,٩
أوروبا	٢٧٨	١٤,٢
أستراليا	٢١٤	٣٠,٢
العالم	٩٦	٦,٢
البلدان النامية	٤٤	١,٦
البلدان العربية	٤٤	٠,٩
بلدان جنوب آسيا	٢٧٧	٠,٢
البلدان الشرقية	٥٦	٢
بلدان أميركا اللاتينية	٨٠	٤,١
البلدان الصناعية	٢٨٦	٢٣
إيران	١٧	٠,٦

المصدر: الكتاب الإحصائي السنوي، اليونيسكو ١٩٩٧.

إضافةً إلى أميركا التي يصل معدل الاستهلاك الفردي فيها إلى ١٣٥ نسخة، وأوروبا

(٢٧٨) نسخة، وأستراليا (٢١٤) نسخة، والتي تتمتع بمعدلات عالية للاستهلاك الفردي السنوي قياساً بمعدل الاستهلاك الفردي في إيران، هناك البلدان العربية التي يبلغ معدل الاستهلاك الفردي فيها ٤٤ نسخة من الصحف، وبلدان جنوب آسيا (٢٧٧)، وآسيا الشرقية (٥٦ نسخة)، وأميركا اللاتينية (٨٠ نسخة). وعليه، فإن معدل الاستهلاك الفردي للصحف في إيران هو أقل منه في هذه المناطق.

الجدول (٨)

مقدار استهلاك الورق للطباعة والكتابة

الدولة	الأرقام بالأطنان لكل ألف فرد
كندا	٨٤,٩
اليابان	٧٦
اليونان	٢٠
مالطا	٥٣
البرتغال	٢٨
كوريا الجنوبية	٢٢,٣
جنوب إفريقيا	١١,٧
الأردن	٨,٩
إيران	٣,٤

المصدر: (HDR)، ١٩٩٦ نقلاً عن ميرزائي علي، مجموعة مقالات الندوة الثانية لبحث قضايا الصحافة في إيران، مركز الدراسات والبحوث لأجهزة الإعلام ١٩٩٨، ص ١٤٤.

الجدول (٩)

مقارنة حجم استهلاك الورق للطباعة والكتابة

معدل استهلاك الورق	الأرقام طن لكل ألف فرد
العالم	١٤,١
البلدان الصناعية	١٦,٩
البلدان النامية	٢,٥
إيران	٢,٤

استهلاك الورق في إيران وفي العالم

يعكس الجدولان (٨) و (٩) حجم استهلاك الورق للطباعة والكتابة على صعيد العالم. طبقاً لما جاء في الجدول الرقم (٨) تحتل كندا المرتبة الأولى بين دول العالم لناحية استهلاك الورق

بمعدل ٨٤,٩ طناً لكل ألف فرد، ثم تليها على التوالي كل من اليابان (٧٦ طناً) ومالطا (٥٣ طناً) والبرتغال (٢٨ طناً) وكوريا الجنوبية (٢٢,٢ طناً). ويبلغ معدل استهلاك الأردن من الورق للطباعة والكتابة ٨,٩ طناً.

وينعكس الاختلاف هذا في الجدول الرقم (٩) بنمط آخر. وطبقاً للجدول الرقم (١٠) يعكس معدل استهلاك الورق في البلدان الصناعية (٦١,٩ طناً لكل ألف فرد، و ١٤,١ طناً في العالم بأسره، و ٣,٥ طناً للبلدان النامية). فحتى الوضع في إيران من هذه الناحية أقل من هذه البلدان، إذ يبلغ معدل استهلاكها من الورق للطباعة والكتابة ٢,٤ طناً لكل ألف فرد.

الجدول (١٠)

عدد النشرات اليومية في مختلف بلدان العالم لعام ١٩٩٦

الدولة	العدد	الكمية بالألف	معدل الاستهلاك لكل ١٠٠٠ فرد
إيران	٣٢	١,٦٥١	٢٦
العراق	٤	٤٠٧	١٠
اسرائيل	٣٤	١,٦٥٠	٢٨٨
اليابان	١٢٢	٧٢,٧٠٥	٥٧٨
أندونيسيا	٦٩	٤,٦٦٥	٢٣
أفغانستان	١٢	١١٣	٥,٦
لبنان	١٥	٢٣٥	١٤١
الكويت	٨	٦٣٥	٣٧٧
الأردن	٤	٢٥٠	٤٢
ماليزيا	٤٢	٣,٣٢٥	١٦٣
عمان	٤	٦٣	٢٨
سنغافورة	٨	١,٠٩٥	٣٢٦
الدانمارك	٣٧	١,٦١٥	٣١١
اسبانيا	٥	١١٦	٣٧
ألمانيا	٣٧٥	٢٥,٥٠٠	٣١١
فرنسا	١١٧	١٢,٧٠٠	١٨
كرواتيا	١٠	٥١٧	١١٥

المصدر: الكتاب الإحصائي السنوي، اليونيسكو ١٩٩٩.

يعتبر تزايد الفروق القيمية لنمط الاستهلاك ونوع السلع الثقافية إحدى التبعات المهمة للتحولات الاجتماعية الجديدة. كما أن الثورة الإلكترونية وانفجار ثورة المعلومات، الجيدة منها والسيئة، زاد من مدى وحدود التغطية للأجهزة الإعلامية، السمعية والمرئية،بشكل غير مسبوق في التاريخ البشري.

إن مقارنة لوضع الميزانية الثقافية في إيران مع بعض دول العالم، ومقارنة معدل حجم استهلاك الورق للطباعة في إيران مع باقي مناطق العالم، ومقارنة المطبوعات الحكومية الإيرانية ببلدان العالم الأخرى؛ كلها مجالات يمكن بحثها ودراستها بشكل منفصل. ويشير انخفاض معدل استهلاك الصحف في إيران إلى كثير من القضايا. إذ يبلغ هذا المعدل نحو ١,٣ طناً لكل ألف فرد سنوياً كما ورد في الإحصاءات الآنفة.

حال نشر الصحف في إيران والعالم

يشير الجدول الرقم (١٠) إلى عدد وكمية الصحف ومعدل الاستهلاك السنوي لكل ألف فرد في إيران وبلدان العالم الأخرى في عام ١٩٩٦. ويشير هذا الجدول إلى أن المعدل السنوي لاستهلاك الصحف لكل ألف فرد في إيران في عام ١٩٩٦ ليس أقل من البلدان الصناعية فحسب، بل هناك بلدان أخرى، كالكويت والأردن وعمان ولبنان، متقدمة على إيران تماماً، في حين أن الوضع في إيران هو أفضل من أفغانستان والعراق وأندونيسيا.

حال نشر الصحف في إيران منذ عام ١٩٧٥

يعكس الجدول الرقم (١١) عدد وكمية الصحف اليومية في إيران بين عامي ١٩٧٥ و١٩٩٦... طبقاً لهذا الجدول بلغ عدد الصحف اليومية التي صدرت في عام ١٩٧٥ إجمالاً ١٩ عنواناً، وارتفع في الأشهر الأولى بعد الثورة الإسلامية فجأة إلى ٤٥ عنواناً، أي تضاعف عددها (٢,٥ ضعفاً). وبعد نشر قانون الصحافة والسيطرة على مختلف الفاعليات الصحافية من جانب الحكومة، انخفض عدد الصحف اليومية بعد سنوات إلى ١٥ صحيفة. وهذا العدد هو أقل من عدد الصحف التي كانت تصدر عام ١٩٧٥. فقد كان عدد الصحف الصادرة بين عامي ١٩٩١ و ١٩٩٤ يراوح بين ١٢ و ١٥ صحيفة. ولكن، ومنذ عام ١٩٩٥، تضاعف هذا العدد ثانية، وحافظ على وتيرة تصاعدية في الأعوام التالية. وطبقاً لأخر إحصاء نشرته «اليونيسكو» في كتابها السنوي للإحصاءات لعام ١٩٩٩ بلغ عدد النشرات اليومية ٣٢ عنواناً في إيران. لكن الإحصاءات التي نشرتها المديرية العامة للصحف الداخلية في عام ١٩٧٠ بعنوان (الصحف من زاوية الإحصاء) تشير إلى استمرار الوتيرة التصاعدية للصحف، على الرغم من المضايقات التي كانت تفرضها السلطة القضائية في حقل الصحف خلال العامين الأخيرين. وقد بلغ عدد النشرات اليومية لعام ٢٠٠٠ طبقاً لما جاء في إحصاءات المديرية العامة للصحافة الداخلية ٦٠ عنواناً.

وهذا وتبث حالياً خمس قنوات فضائية برامجها باللغة الفارسية داخل البلاد. ويمكن التقاط هذه البرامج في كل أرجاء إيران.

الجدول (١١)

السنة	العدد	الكمية بالألف	عدد النسخ لكل ١٠٠٠ فرد
١٩٧٥	١٩	٧٠٠	٢١
١٩٨٠	٤٥	٩٧٠	٢٥
١٩٨٥	١٥	١,٢٥٠	٢٦
١٩٩٠	٢١	١,٥٠٠	٢٧
١٩٩١	١٥	١,٢٠٠	٢٣
١٩٩٢	١٣	١,٢٥٠	٢١
١٩٩٣	١٣	١,٢٠٠	٢٠
١٩٩٤	١٢	١,١٥٠	١٩
١٩٩٥	٢٧	١,٤٤	٢٣
١٩٩٦	٣٢	١,٦٥١	٢٦

طبقاً لما جاء في الجدول الرقم (١١) شهد عدد النشرات اليومية، والتي تشمل الصحف اليومية، وذلك منذ عام ١٩٧٥، تذبذباً كاملاً كالتذبذب الذي شهده في الأعوام الماضية. وارتفع عدد نسخ النشرات اليومية (٧٠٠ ألف لعام ١٩٧٥) إلى ٩٧٠ ألفاً عام ١٩٨٠. وارتفع هذا العدد ليصل إلى مليون ونصف المليون عام ١٩٩٠. وقد اتخذ هذا العدد في الفترة ما بين عامي ١٩٩٠ و ١٩٩٤ منحاً تنازلياً، ثم تغيرت هذه الوتيرة إلى الزيادة منذ عام ١٩٩٥. وطبقاً للإحصاءات التي قدمتها «اليونيسكو»، بلغ عدد النشرات الصباحية لعام ١٩٩٦ مليون و ٦٥١ ألف نسخة. وتشير إحصاءات المديرية العامة للمطبوعات (الصحافة) الداخلية في عام ١٩٩١ إلى أن عدد نسخ الصحف اليومية قد ارتفع إلى ثلاثة ملايين وثلاثمائة ألف نسخة يومياً في عام ١٩٩٠. كما شهد الاستهلاك الفردي من الصحف في العام الواحد تذبذباً كالتذبذب الحاصل في عدد الصحف اليومية. وقد بلغ معدل الاستهلاك السنوي للصحف اليومية لكل ألف فرد ٢٧ صحيفة في عام ١٩٩٠. ثم أخذت هذه الوتيرة منحاً تنازلياً، فانخفضت إلى ١٩ نسخة عام ١٩٩٤، ثم تصاعدت وتيرتها منذ عام ١٩٩٥، وخاصة بعد الثاني من خرداد لعام ١٩٩٧. وطبقاً لما نشرته المديرية العامة للصحافة الداخلية في عام ٢٠٠١، فقد ارتفع معدل الاستهلاك السنوي حالياً إلى ٥٢ نسخة لكل ألف فرد.

النشرات الصادرة باللغة الفارسية في الخارج

إن حال عملية نشر النشرات باللغة الفارسية في خارج البلاد أفضل بكثير مما هي عليه في إيران. فالإيرانيون المقيمون في الخارج، والذين لا يصل عددهم في أفضل الحالات إلى ٤ ملايين نسمة، أصدروا بعد الثورة الإسلامية ما يزيد عن ١٢٠٠ عنوان من النشرات. وينشر حالياً ٢٥١ عنواناً منها بشكل منتظم، في حين لم يتجاوز عدد النشرات التي تصدر بشكل منتظم داخل إيران هذا الرقم.

الجدول (١٢)

عدد النشرات الفارسية الصادرة في الخارج (١٩٧٨ـ٢٠٠٠)

التسلسل	وضع النشرات	عدد النسخ
١	النشرات التي تنشر حالياً	٢٥١
٢	النشرات الموقوفة	٨٩٢
-	المجموع	١٢٢٢

المصدر: فصليتان إحصائيتان للنشرات الفارسية التي تصدر في الخارج، مركز البحوث والدراسات لأجهزة الإعلام ٢٠٠١.

يعكس الجدول الرقم (١٢) الوضع العام للنشرات الفارسية التي تصدر في الخارج. طبقاً لهذا الجدول، أصدر الإيرانيون المقيمون في الخارج بعد الثورة الإسلامية ما مجموعه ١٢٤٣ نشرة باللغة الفارسية خارج البلاد، توقفت ٨٩٢ منها لأسباب مختلفة. والنقطة الجديرة بالاهتمام في ما يتعلق بالجدول الرقم (١٢) هي أن هذه الإحصاءات لا تغطي كل النشاطات الصحافية للإيرانيين الموجودين في الخارج. فهناك نشرات تنشر في بعض بلدان العالم لم تؤخذ في الاعتبار في هذه الإحصاءات التي اعتمدت على المعلومات المدرجة في النشرات الفارسية التي تصدر في الخارج. ويمكن القول إن عدد النشرات الفارسية التي تصدر في الخارج يزيد عن الإحصاءات المدرجة في الجدول الرقم (١٢).

كما تعكس إحصاءات «اليونيسكو» حول العناوين وعدد النسخ ومعدل النشر اليومي للصحف لكل ألف فرد في إيران والعالم، النسبة غير المطلوبة تماماً لعدد النشرات ومعدل الاستهلاك الفردي للصحف اليومية التي تنشر في إيران. إذ أن معدل النشرات اليومية لكل ألف فرد في إيران مقارنة ببلدان أخرى، كالأردن والكويت ولبنان، متدن جداً.

الجدول (١٣)

عدد النشرات الفارسية حسب مكان إصدارها

الدول	الصحف التي تنشر حالياً	النسبة المئوية
أذربيجان	٢	٥٧
ألمانيا	٥٧	١٦,٢٥
أميركا	٩٥	٢٧,٠٨
أستراليا	٢	٠,٥٧
إسرائيل	١	٠,٢٨
أفغانستان	١	٠,٢٨
بريطانيا	٤٦	١٣,١٢
إيطاليا	١	٠,٢٨
بلجيكا	١	٠,٢٨

باكستان	٨	٢,٢٨
طاجيكستان	٦	١,٧١
تنزانيا	١	٠,٢٨
الصين	١	٠,٢٨
الدانمارك	١	٠,٢٨
روسيا	٢	٠,٥٧
اليابان	٣	٠,٨٥
السويد	٣٨	٠,٨٣
السعودية	١	٠,٢٨
فرنسا	٣٢	٩,١٢
كندا	٢٧	٧,٧٠
لكسمبورغ	١١	٠,٢٨
النرويج	٤٤	١,١٤
هولندا	٨	٢,٢٨
الهند	٦	١,٧١
يوغسلافيا	١	٠,٢٨
اليونان	١	٠,٢٨
مكان النشر غير معلوم	٤	١,١٤
المجموع	٣٥١	١٠٠

النشرات الفارسية في الخارج

طبقاً للجدول الرقم (١٣) يصدر في ستة بلدان، تشمل أميركا وألمانيا وبريطانيا والسويد وفرنسا وكندا، ٢٩٥ عنواناً من النشرات بالفارسية، والتي تشكل نسبة ٨٤,١٠ في المئة من مجموع ما ينشر في الخارج باللغة الفارسية. وتحتل هذه البلدان المراتب من الأولى حتى السادسة على التوالي في مجال النشر بالفارسية.

طبقاً للجدول الرقم (١٤) تحتل النشرات الشهرية المرتبة الأولى، إذ يبلغ مجموعها ١٢٣ نشرة، وتأتي بعدها النشرات الفصلية التي يبلغ عدد عناوينها ٦٦ عنواناً، ثم تليها النشرات الأسبوعية (٣٩ عنواناً). ولا تحتل الصحف اليومية مكانة تذكر في المجموع، ولا تشكل سوى واحد في المئة من مجموع ما ينشر.

ويشير الجدول الرقم (١٥) إلى النشرات الفارسية التي تصدر في الخارج بحسب مكان إصدارها وميولها السياسية والثقافية. وطبقاً لهذا الجدول، فإن ٥٥ في المئة منها النشرات التي تصدر حالياً باللغة الفارسية في الخارج ذات اتجاهات ثقافية، وينشط ٤٥ في المئة منها في المجال السياسي. وتغطي النشرات السياسية أساساً الحقول الخبرية والسياسية والسياسية الاجتماعية. أما النشرات الثقافية فتنشط أساساً في الحقول الثقافية والاجتماعية

والأدبية والفنية. وينشر معظم النشرات السياسية الرئيسة في أميركا وكندا وبريطانيا والسويد وفرنسا وألمانيا. كما تنشر النشرات الثقافية أساساً في أميركا وكندا وألمانيا والسويد وبريطانيا. وينشط الإيرانيون المقيمون في الخارج، إضافة إلى النشرات المطبوعة، في حقول النشر الإلكتروني والمواقع الإلكترونية. وفي ما يلي أهمها:

ـ أخبار روز (أخبار اليوم) وعصر نو (العصر الجديد) وبراى آزادى (من أجل الحرية) وانقلاب اسلامى (الثورة الإسلامية) وراه كارگر (طريق العامل) وتك بركى راه كاركر (ورقة طريق العامل) وراه توده (طريق الجمهور) وراه آزادى (طريق الحرية) وجهان أمروز (عالم اليوم) وعصر امروز (عصر اليوم) وروزنه (نافذة) وكار (العمل) وجنك خبر (أخبار متنوعة) وايران امروز (ايران اليوم) وجهان امروز (عالم اليوم) ونت كده.

استنتاجات

شهد العالم في القرنين الأخيرين تحولات مدهشة في الحقول الثقافية والسياسية والاجتماعية. وتترك هذه التحولات تأثيرها في الوضع الداخلي للبلاد. فعلى الصعيد الدولي شهد العالم ثورة في الاتصالات، وانفجار المعلومات، ودخول الصناعة الثقافية إلى الحقل التجاري، والاهتمام بالرأي العام، وعمليات التحول إلى الديموقراطية والتكتلات الجديدة، وتغير مفهوم السيادة الوطنية وموضوع العولمة في الحقول الثقافية والاقتصادية والسياسية. وعلى الصعيد الداخلي تواجه الحكومة الزيادة السكانية، وارتفاع نسبة الشباب بين السكان، واتساع المدن، وانتشار التعليم، وارتفاع المستوى الدراسي الجامعي، وتغير الأداء العائلي، والهجرة على الصعيدين الداخلي والخارجي، وتنامي الطبقة المتوسطة، وتراجع القدرة الاقتصادية للحكومة. وقد أدت هذه التحولات الداخلية والخارجية إلى زيادة الطلب على استهلاك البضائع والمنتجات الثقافية والصحافية، وتغير محتوى الطلب الثقافي والأنماط المتنوعة للاستهلاك الثقافي، وتغير الأذواق، واتساع الهوة في الشؤون القيمية، وتنوع سوق المنتجات الثقافية وغير ذلك. وتعكس هذه التحولات تضاعف الحاجة إلى القراءة والطلب على المنتجات الثقافية (بأنواعها المختلفة). وعليه ينبغي على الحكومة والمخططين والمسؤولين السياسيين في البلاد العمل على تلبية هذه الحاجات والاستجابة لها، وتوفير الظروف الملائمة، والتمهيد لنشاط الصحافة على أنواعها المختلفة المتمثلة في الصحافة السياسية والنشرات الشعبية والرياضية والنشرات المتخصصة والنشرات المحلية وتنمية هذا النشاط.

هذا وتشير الجداول (١ ـ ٧) إجمالاً إلى عدم تحرك الحكومة في العقدين الأخيرين في الحقل الثقافي، طبقاً للتحولات الطارئة على المستويات الداخلية والدولية، على الرغم من الوتيرة المتنامية عموماً لعملية منح التراخيص للنشرات المختلفة. وقد ارتفع معدل التراخيص

الممنوحة من ٦٠ أو ٧٠ ترخيصاً في العام الواحد إلى ٢٢٢ ترخيصاً في عام ١٩٩٩. لكن هذه الوتيرة لا تتطابق مطلقاً مع الطلب على النشر من جانب المواطنين.

الجدول (١٤)

ميزان توفير النشرات على أساس سنة نشرها

	صحيفة يومية	أسبوعية	نصف شهرية	شهرية	كل شهرين مرة	كل أربعة أشهر مرة	فصلية	نشرة سنوية	نشرة غير منتظمة	مجهولة	المجموع	النسبة
١٩٧٨		١	١				١				٣	٠,٨٥
٧٩		١		٢							٣	٠,٨٥
٨٠		١		٢							٤	١,١٢
٨١			١	٢	١						٤	١,١٤
٨٢		١		١	٢		٢				٦	١١,٧١
٨٣		١		٣	١		١				٦	١,٧١
٨٤		١		٦	١		٤		١		١٣	٣,٧٠
٨٥				٣			٢	١			٦	١,٧١
٨٦	١	١		١	١		١		١		٦	١,٧١
٨٧		٢	١	٣							٦	١,٧١
٨٨		١		٣			٤		١		٩	٢,٥٦
٨٩	١	١	١	٤	١		٣		٤		١٥	٧,١٣
٩٠		٣	٢	١٠	٢		٥		٣		٢٥	٤,٥٦
٩١		١		٥	٤		٤		٢		١٦	٣,١٤
٩٢		١	١	٤			٢		٢	١	١١	٢,١٤
٩٣		٢		٥	١		٣		٣	١	١٥	٤,٢٧
٩٤		٣		١٥			٢		٣	٢	٢٥	٧,١٢
٩٥		١	١	٤	١		٤		٢	٤	١٦	٤,٥٦
٩٦		٢	١	١٥			٦	١	٤	٢	٣١	٨,٨٤
٩٧		٤	٢	١٢	١		٩		١	٥	٣٥	٩,٩٨
٩٨		٤	١	١٤		١	٩		٢	٩	٤١	١١,٦٨
٩٩		٢	١	٩	١		٢			٢	١٧	٤,٨٥
٢٠٠٠		١		٤	١					٥	١١	٢,١٣
—		٤	٣	٥			٢			١٣	١٧	٧,٦٩
المجموع	٤	٢٩	١٦	١٣٣	١٨	١	٦٦	٣	١٩	٤٣	٢٥١	١٠٠
النسبة المئوية	١,١٢	١١,١١	٤,٥٦	٣٧,٩٠	٥,١٣	٠,٢٨	١٨,٨٠	٠,٥٦	٨,٢٦	١٢,٢٦	١٠٠	

- تشير الإحصاءات المقدمة في هذه الدراسة إلى أن تراخيص تمنح أكثر للنشرات التي تلتزم دورة منتظمة في النشر. أضف إلى ذلك أن نظام الدعم الحكومي أدى إلى التفاوت بين عدد النشرات التي تنشر وعدد التراخيص الصادرة للنشر. ففي الوقت الحاضر يختص الجانب الأكبر من المساعدات المالية الحكومية للصحف اليومية، وقلما تشمل المساعدات الحكومية البنى التحتية للنشرات وإعداد الأرضية المناسبة لها.

- تصدر معظم الصحف في البلاد باللغة الفارسية، وبعضها بالفارسية والإنكليزية. على أن عدد الصحف التي تنشر باللغات المحلية قليل جداً، ولم تشهد هذه الصحف نمواً يذكر خلال العقدين الماضين، باستثناء التنامي المطرد الذي شهدته هذه الصحف خلال الأعوام القليلة الماضية. كما شهد التوزيع المحلي نمواً طفيفاً في الماضي. وقد تزايد في الأعوام الأخيرة عدد الصحف والنشرات التي حصلت على امتياز التوزيع على الصعيد الدولي.

- تشير إحصاءات «اليونيسكو» حول عدد الصحف وعدد النسخ ومعدل النشرات اليومية لكل ألف فرد في إيران والعالم إلى هوة كبيرة بين إيران والدول الكبرى على هذا الصعيد.

- الإحصاءات المتعلقة بالفاعليات الصحافية للإيرانيين في الخارج تشير إلى أن الأخيرين أكثر نشاطاً. فبعد الثورة الإسلامية أقدم الإيرانيون المقيمون في الخارج على نشر ١٢٤ نشرة. وحالياً ينشر الإيرانيون بشكل منتظم ٢٥١ عنواناً من النشرات الدورية والصحف اليومية،إضافة إلى المواقع الإلكترونية المختلفة التي يبث عبرها الإيرانيون المقيمون في الخارج برامجهم عليها. إذ هناك ما يزيد عن ١٠٠ موقع على شبكة الإنترنت. كما أن للإيرانيين المقيمين في الخارج قنوات تلفزيونية تبث برامجها على مدار ٢٤ ساعة للإيرانيين في الداخل والخارج، والتي يمكن التقاطها في كل أرجاء البلاد بواسطة أجهزة الاستقبال التلفزيونية البسيطة.

- تشير القضايا التي أثيرت في هذا التقرير إلى أن الحكومة تسير متأخرة كثيراً عن المواطنين في جانب النشر، لأن الطلب على نشر الصحف والنشرات يزيد عن التراخيص الممنوحة من جانب هيئة الإشراف على المطبوعات. وعموماً يبدو أن الحكومة لم تتحرك خلال العقدين الماضيين طبقاً للتحولات الكبيرة والمدهشة في الداخل والخارج، ولم تكيف نفسها مع هذه التحولات... وإذا ما استمر الوضع على هذه الوتيرة، فإنه سيمثل خطورةً كبيرة على الصعيد الثقافي.



أ.د. زهرا رَهْنَوَرْد*

الفن الإسلامي ومجالاته

لنحطّ الرحال في واحة حكمة الفنّ الإسلامي علّنا نستطيع أن نعثر في رياض اللوحات على معبر يؤدي إلى الملكوت. فهنا نجد الوادي المقدس الذي نبحث فيه جميع العناصر والمكونات الفنية المتعلّقة بالحقائق المتعالية، في مقدمها الحقيقة المطلقة (الله).

في البداية نقدّم تعريفاً للفن الإسلامي، نظراً إلى أن هذا البحث بجميع تفاصيله يعتبر نتيجة لجهد يروم الكشف عن أسراره الإلهية... الفن الإسلامي هو مكاشفة(١) صور الوجود المتنوّعة بهدف تجلّي هذه الصور بحقيقتها عبر كلام أو موسيقى أو تشكيل أو تجسيم أو عمارة أو مسرح أو غير ذلك، وأن تقدم عبر سيرورة هذه المكاشفة حياة الإنسان الفردية والاجتماعية بأفضل شكل ممكن في سبيل وضع خاتمة لغربة الإنسان وتعبيد الطريق لنيل القرب في حضرة ذاك الواحد الأقدس. إن اتصال الإنسان بالحقيقة الماورائية وحتى الحقيقة الماورائية المعقولة وذاك الواحد «الربّ الأعلى» يشكّلان جوهر الفن الإسلامي. وعليه فالفن الإسلامي مقدّس.

مجال الفن الإسلامي

إن أعظم الفوارق التي تميز الفن الإسلامي يكمن في كيفية التلقي والإدراك لمجال الفن، بمعنى هل أن المجال الفني المتطلّع إلى الحقيقة العليا هو - كما ذكر سابقاً - ذو خصائص واقعية أم مثالية؟ الفن التاوي رفض المدنيّة والمجتمع والحكومة والقوانين المنبثقة منها، ورأى في الطبيعة الفضاء المثالي الذي استطاع عبر السباحة فيه تقديم الإنسان الكامل الذي نال الخلاص، واتحد بالتاو في خطاب تشكيلي وتمثيلي.

---

* رئيسة جامعة الزهراء، مستشارة رئيس الجمهورية الإيرانية.

أما الفن الهندي، فقد اختار تجربة روحانية في فضاء الروح، لأن المجتمع لا يستطيع أن يكون فضاء روحانياً، لأنه، وبطبقاته المغلقة، أخرج نفسه تلقائياً من مجموع مصاديق دائرة الخلاص، فكان المجتمع، وبصورة استثنائية مع الروح بكل تشعباتها، المرآة النقية لتجلي وظهور الخلاص والسعادة الأبدية. على أن ما يميّز الفن الإسلامي عن هذين الفنّين هو الطريقة التي يتبعها كل منهما. فالفن التاوي ذو طريقة انتقائية ومثالية. إذ أنه، من بين جميع مظاهر الوجود التي من الممكن أن تكون وسيلة لنيل الخلاص، اختار الطبيعة واعتبرها بمفردها خير مشهد مثالي لشهود وتلقي الخلاص البشري. كذلك فإن الهندي يتمتع بخصوصية الانتقاء، إذ اختار من بين جميع ميادين الوجود المتعددة ميدان الكائنات والروح، فرفض المجتمع، واعتبر الروح ميداناً مثالياً وبحراً من الفضائل، لا بل جعل منها قمماً ومنخفضات وأعالي ومهاوٍ وخيرات وشرور، فكانت بذلك بمثابة الاتجاه الواقعي ليظهر عبر ذلك تعاقب الخير والشرّ، ويتجلّى الخلاص الروحاني في قالب تمثيلي تشكيلي. أما بالنسبة لفضاء الفن الإسلامي، فنجد أنه غير انتقائي ولا مثالي، وذلك يرجع إلى:

أولاً، يقدّم الفن الإسلامي للفنان فضاء واسعاً يمتدّ ما بين عالم ما قبل الولادة (عالم الذر) وعالم القيامة ليكون السبيل نحو الخلاص والعثور على الموضوعات الفنيّة. والفنان هنا حرّ في أن يختار الفضاء الذي يريده. فهناك العالم ابتداء يصبح الأزل حيث (قالوا بلى) وأقرّت جميع عناصر الوجود بوحدانية ذاك الباري الأحد، وصولاً إلى جميع المجتمعات مع كل ما فيها من علاقات اجتماعية متناقضة، وانتهاء بدائرة يشمل محيطها عالماً من القيم، كالشهادة والإيثار. كذلك هناك الموضوعات المتعلّقة بالخير والشر والطبيعة والبرزخ والمعاد. وبصورة عامة بيّن الفن الإسلامي فضاء ما بين الغيب والشهادة. وبناء على هذا نرى أن مجال الفن التاوي (الطبيعة) ومجال الفن الهندي (الروح وعالم الكارما) لا يشكلان سوى جانب من جوانب هذا المجال الواسع الممتد؛

ثانياً، هذا الميدان الواسع، مع كل ما فيه من تسنّم وترجّل، ومع كل ما يحتوي من واقعيّات، يقدم للفنان مواضيع فنيّة واقعية، مثل المفاسد والرذائل والظلم والاستبداد والكذب؛ وهذه جميعها قضايا واقعية، وليست مثالية. ولكن الوقوف في وجه هذه الأمور الواقعية ذو وجه مثالي. كما يطوي الفنّ الإسلامي طريقه نحو الخلاص سواء على صعيد الآفاق أم على صعيد الأنفس. والفنان حرّ في انتخاب موضوعاته ضمن هذا الفضاء الواسع؛

ثالثاً، إن تجربة الفن الديني الروحية[٥]، والتي تسعى إلى تمثيل وتصوير خلاص الإنسان ونجاته، تعتبر في الفن الإسلامي تجربة ذات اتجاهين: تجربة شهودية[٦] تضم بجاذبيتها أرقى وأرفع المستويات والدرجات المعنوية، كثيراً ما تتخطى التجربة الحسيّة[٧] التي تعتبر بحد ذاتها تجربة بالغة الأهمية ومقدّمة لتجربة أسمى.

قد تكون هذه التجربة هي مسير مواجهة الطبيعة ومحاولة مؤانستها وتحقيق الألفة معها، وقد تكون معبّرة عن حقبة تاريخية مليئة بالعبر والمثل، وقد تكون حالة اجتماعية أو حالة روحانية محضة. ففي الطبيعة، ومن خلال النظر إلى قوانينها وسننها من توالد وفناء، نستطيع أن نصل إلى تجربة روحانية تحكي لنا سيرورة الفناء والمعاد. وفي التاريخ، ومن خلال إمعان النظر في تشكّل وسقوط الحضارات وما قدّمت من قوانين وتشريعات، نستطيع أن ندرك سر ذاك التعالي السرمدي للمجتمعات في عهود المؤمنين والصالحين، وكيف انتقلت عبر ذلك تجربة «الخلاص» العليا وارتقت مرتبة الشهود؛ هذه الطريق العجيبة للتجربة الروحانية من المحسوس إلى المعقول إلى ما وراء المعقول تعتبر فضاءً عظيماً يصوّر ويمثل في الفن الإسلامي. فالعبادة الجماعية والاجتماعية في الحج هي محصلة جماعية تتصل بتجربة الخلاص الروحانية الفردية. كذلك فإن التكرار الأبدي للأذان في ساعات السحر لا بد سيكون خير مجال لإدراك معنى الفلاح[٨] أو الخلاص الإسلامي. فالخلاص الإسلامي عظيم في سعته وعظيم في معناه، وأوّل مجرّب لهذه الحالة الخاصة كانت الروح البشرية. والخلاص في نهاية الأمر هو تجربة روحانية، على الرغم من عبورها من معبر الطبيعة والمجتمع وما فيهما من أفراح ومصائب وتضاد بين الخير والشر والجمال والقبح.

هذه التجربة الروحانية مفعمة بالروح الدينية، وغايتها الوصول إلى الواحد المتعال. فالروح تنمو وترتقي حتى تنال القرب منه. وإن فلسفة عروج الروح والخلاص تتضمن نفي تعدّد الآلهة والإقرار بأحدية[٩] الباري «قولوا لا إله إلا الله تفلحوا»، هذا هو الشعار العظيم الذي كان يبشر الظامئين المتعطشين إلى الحقيقة عبر ثلاثة أعوام بجوهرة السعادة البشرية سراً وعلانية... كان ذلك في فضاء من الظلمة والتيه في شبه الجزيرة الواقعة بين أعظم دولتي ذاك الزمان: الروم والفرس، كل ذلك يتجلى في فضاء علوي قدسي يعبق فيه عطر الخلود فيثير الروح ويحثها على العروج.

في أي حال، إن فضاء الفن الإسلامي هو عالم الوجود العظيم؛ يبدأ بالغيب وينتهي بالشهادة، يبدأ بالروح وينتهي في الطبيعة، ومن هناك إلى المجتمع إلى المعاد إلى... وبما أن الفن الإسلامي المقدس تجريدي صرف، فإن كل ما طرح فيه يستعمل كنوافذ جمالية أو كعالم رمزي في الرقوش والعقد والتذهيب الذي يستعمل غالباً لأغراض دينية، سواء في المساجد أم في الأضرحة أم في رفوف الكتب وبقية الأمور الأخرى.

مفهوم الخلاص في الفن الإسلامي

الخلاص ثمرة خالدة[١٠]. وما أن تتذوق الروح طعم هذه الفاكهة الفردوسية، حتى تكون قد تحولت إلى جزء منها. ومن معاني الخلاص أيضاً نيل القرب في محضر القدرة المتعالية

(الله)... صحيح أن فضاء الفن الإسلامي غير مثالي. إلا أن الخلاص ذو معنى مثالي متعال، وتشترك في ذلك جميع الفنون الدينية. وهذا يعني أن التجربة الروحانية العظيمة غير مصحوبة بالخبث والفساد والظلم. وبما أن الفنون الدينية تسعى لتصوير الإنسان الكامل الذي حاز على الخلاص والسعادة الأبدية، فهي تقدمه عبر مسير ينتهي بخلق صورة متكاملة الجوانب عن الإنسان، وتؤدي بشكل تلقائي إلى تقديم صورة مثالية عن الخلاص.

في الفن الهندي يعتبر الإنسان الذي تحرر من دوامة الكارما والتحق بالنيرفانا أو عانق «كريشنا» إنساناً ناجياً نال الكمال. وهو بذلك قد تخلص من علائق «الأنا» الكاذبة ووصل إلى «أتمان» و «براهمن» و «كريشنا» حتى صار إنساناً كاملاً. إذاً، الإنسان الذي خاض التجربة البوذية في باطنه إنسان كامل. والإنسان الكامل الذي نال الخلاص في الفن التاوي هو الإنسان الذي اتحد بالتاو بعد عبوره لطريق الطبيعة الأزلي. وفي الإسلام انتخبت كلمة (الفلاح) للتعبير عن الخلاص والنجاة. ويعتبر انتخاب هذه الكلمة من الناحية اللغوية معجزة بحد ذاته: الفلاحة، الزراعة، الفلاح، المزارع، الفلاح، الخلاص، مائدة السحر، البقاء في الخير والفضيلة، فلح: حرث الأرض ليزرعها (أفلح فاز ونجا)[١١].

الإنسان ذو بذرة وجودية قد أودعت القدرة الإلهية الملهمة[١٢] فيها إمكانية الميل إلى الفسق والفجور أو إلى الإيمان والتقوى؛ وفي هذا (ضمن إطار معرفة الإنسان) يتميز الإسلام عن بقية الأديان حيث يرتقي مفهوم الفلاح الإسلامي من هذا المقام إلى مقام يختلف تماماً ضد بقية المعتقدات... وهنا إما أن يكون الإنسان فلاحاً مدبراً خبيراً ينمّي بذرة وجوده (نفسه) في أرض خصبة، ويتخذ من الليل والنهار مطيّة في سعيه ومجاهدته إلى أن يأتي فجر السعادة مبشراً بنمو هذا البذر وإيراقه وإثماره، فتطوف عندها ألوان الورود والثمار في ناظر ذاك الفلاح، ويعبق أريجها في مشامّه، فيقدم على أطباق من نور ثمرة يديه المهترئتين وجبهته السمراء وقامته الحانية التي أفسدتها سنون العمل والمجاهدة، ويضعها أمام نفسه وأمام من يحتاج إليها من الآخرين، وإما أن يكون فلاحاً غبياً ينكبّ على الاهتمام بجسمه أو لئيماً يعتبر البذرة (نفسه) شيئاً غريباً عنه فيخفيها بلا رحمة في صحراء قاحلة مجدبة، وينثر التراب فوقها حتى إذا ما أراد الرجوع إليها تكون الآفات قد نالت منها وأفسدتها.

«ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها»[١٣]؛ القسم هنا ببذرة الوجود وما ينظّمها وينميها وما يلهمها التقوى أو يلهمها الفجور... «قد أفلح من زكّاها»[١٤]، فمن أخلص لها ونمّاها وطهّرها لا شك أنّه من الناجين المفلحين... «وقد خاب من دساها»[١٥]، ومن أخفى نفسه لؤماً وخبثاً ومنعها من الرشد، فهو لا محالة من الخاسرين الذين ضلّ سعيهم.

هذا العروج القيم والثمين يتم حسب العقيدة الإسلامية في فضاء الوجود الشاسع. والقرآن يقول «ومن يوقَ شح نفسه فأولئك هم المفلحون»[١٦].

المبدأ الشخصي لخالق الأثر (الفنان)

يعتقد بوركهارت بعدم تأثير شخصية الفنان في أثره الفني. وإذا ما اعتقدنا بذلك التأثير، فسوف نجد قسماً من صفات وخصائص الأثر الفني تعود إلى شخصية الفنان. والسؤال هو: ما هي العوامل التي ساهمت في بناء هذه الشخصية؟ تختلف الإجابة عن هذا السؤال باختلاف أساليب العلوم الإنسانية، وخصوصاً علم الاجتماع وعلم النفس اللذان يعتبران من أساليب التحليل في الفن الإسلامي. فعلم الاجتماع يسعى لإظهار مكانة ورؤى الفنان الاجتماعيتين، والكشف كذلك عن الطبقة الاقتصادية التي ينتمي إليها، والظروف الاجتماعية والتاريخية التي يعيشها طوال حياته، فيصل ذلك إلى أساتذة الفن في الحقبة الزمنية المعينة، فيعرفونه ويحددون الظروف التي كانت أكثر تأثيراً في بناء شخصيته.

أما علم النفس فيهدف إلى تحليل مساحة اللاشعور عند الفنان ولا يحكم على شخصيته إلا بعد معرفة خصائص ومكونات نظامه النفسي والعودة عبر التحليل النفسي بنسيجه اللاشعوري إلى النماذج الأصلية (البدائية)، كما عبّر يونغ، أو إلى الغريزة الجنسية، كما رأى فرويد، أو إلى عقدة النقص (الصّغار)، كما رأى أدلر، وبعد ذلك يحلل الصور الذهنية الرمزية بما يطابق رأي كل واحد من هذه المذاهب. كما أنه من الواجب تحليل الماضي الشخصي للفنان حسب ما يقرّه كلا الاتجاهين، فيقع هذا الماضي وما يشمله (من فشل ونجاح وألم وعشق وذكريات...) في بوتقة التحليل والبحث، وعلى نطاق أوسع وأعمّ مما يراه علم الاجتماع أو علم النفس. ويرى علم الاجتماع أن تحليل رؤية الفنان الاجتماعية ينتهي إلى معرفة مدى تأثير هذه الرؤية في بناء شخصيته... ما الشريحة الاجتماعية التي يحترمها الفنان؟ وما مقدار حضور ذلك وانعكاسه في فنه؟ وما هي وجهة المثاليات التي ينشدها... أهي قوى التعالي أم هي القوى الثابتة، كالرأسمالية والإقطاعية وحكّام السياسة الجائرة والطبقة الغنية؟ إذا ما دخلت هاتان القوتان في غاياته وأهدافه، كأساس للتقييم، فهل تؤديان إلى جعله بأي شكل كان محباً للحق والشرف والسمو أم تقودانه إلى عبادة النقود والجاه والسلطة؟ لا بد في التحليل الواقعي لشخصية الفنان من مراعاة النقاط التالية:

ـ الشريحة الاقتصادية ومكانة الفنان الاجتماعية: لا شك في أن لكل شريحة أو طبقة وبناء على ما تحمله من مفاهيم ثقافية واقتصادية خصائص تربوية وروحية تؤثر في شخصية الفنان؛

ـ في ما يتعلق بالانتماء الاجتماعي الذي يعتبره علم الاجتماع أحد أنواع التصنيف الطبقي، ويبحث من خلاله عن الموضع الذي ظهر منه الفنان وتأثر به، وقد يكون المستوى الاجتماعي الذي ينتمي إليه الفنان عبارة عن فئة من الرؤساء أو المدراء أو نخبة سياسية أو اقتصادية أو

ثقافية أو قد يكون منتمياً إلى فئات اجتماعية متدنية الشأن؛

ـ في ما يتعلق بالانتماء الثقافي: لكل من الثقافة الدينية وغير الدينية تأثيرها الخاص في عملية صياغة شخصية الفنان، وكذلك الأمر بالنسبة للثقافة الوطنية. فانتماء الفنان إلى أي ثقافة كانت يؤثر قطعاً في تكوين شخصيته؛

ـ تاريخ حياة الفنان: تؤثر حياة الفنان بما فيها من آلام وأفراح ومخاطرات وهدوء في تكوين البناء الشخصي للفنان؛

ـ مما يؤثر أيضاً في تكوين شخصية الفنان نجد هناك التاريخ السياسي والاجتماعي، وكذلك الظروف المرحلية والأزمات السياسية والاقتصادية والثقافية والثورات والحروب؛

ـ إن لتراث المجتمع الثقافي والفني تأثيره الخاص في التكوين الذهني والنفسي للفنان. فشخصيات التاريخ وأبطال الوطن والعقيدة، وكذلك المثل الاجتماعية والثقافية تعتبر كلها من التراث الثقافي والفني.

ـ معارف الفنان الذاتية: إن معارف الفنان وما يملك من معلومات تتعلق بالشريحة التي ينتمي إليها ووطنه الذي يعيش فيه وما يحيط به من علم حول الوجود وعالم الإنسانية؛ كل ذلك يؤثر في بناء شخصيته وتكوينها. فمعلومات الفنان وإدراكاته، سواء أكانت ترتبط بالطبيعة أو الشريحة أو ترتبط بالشعب والثقافة والسنن الاجتماعية أو ترتبط بالإنسانية، لها دورها وتأثيرها في مختلف رؤى الفنان الفكرية والعملية. وما يراد هنا بالمعارف الذاتية هي تلك الرابطة المتينة الناتجة عن الحب والتعلق بكل واحد من المجالات المذكورة، والتي تُلزم الفنان العمل في حدودها، ومثال ذلك المعرفة الذاتية المتعلقة بعالم الإنسانية، إن دلّت على شيء، فإنما تدل على المذهب الإنساني الذي ينتمي إليه الفنان؛ هذا الفنان الذي يحب الإنسان دون النظر إلى الانتماء الطبقي والوطني والعرقي والديني، وأيضاً بصرف النظر عن المكانة الاجتماعية ونوع الدور الذي يشغله في النسيج السياسي الاجتماعي، مستكبراً كان أم مستضعفاً، ومؤمناً أم كافراً. ويجعل من نفسه خادماً له، وينظر إلى نفسه من خلال المعيار الذي ينظر عبره إلى الآخرين بتجرد عن العرق والوطن والطبقة؛

ـ النظام العقائدي: فمجرد كون الفنان مسلماً أو هندوسياً أو ماركسياً أو تاوياً أو بوذياً سيكون له تأثير خاص في التكوين الذاتي. فعلى أي حال يعبر هذا الفنان من مصفاته الشخصية التي صنعتها الخصائص المذكورة ليتلون بلونها ويكتسب طبيعتها. إلا أن حكمة الفن الإسلامي تنظر إلى شخصية الفنان بمنظار آخر، منظار مثالي وغائي معياره في التصنيف هو الحب والعشق الذي يعتبر مبدأ للفن والتفنن.

الحب والعشق

تجتاز شخصية الفنان المسلم مسير الواقعيات لتبلغ ذروة شخصية مثالية. ويتخطى هذا الفارس جميع المنازل، ويعبر تلك الخربات التي تخيف الروح وترعبها، ويتعدى موانع ومضائق المجتمع الحقيقية أو الوهمية، وقد يبطئ أحياناً خائفاً متردداً، ويسرع أخرى بقوة وشجاعة، وهكذا حتى يصل الوطن المقصود؛ هناك حيث موطن العشق الأبدي، وحيث القيم العليا السامية، وحيث الشرف والكرم والعدالة والإيثار والجمال والخير، وعلى قمة ذلك هناك محضر القدس الإلهي. وفي هذا المقام يحصل على معرفة تختلف عن المعرفة بالعقيدة الإسلامية. فهنا يحصل على معارف تختلف عن معارفه المتعلقة بالطبقة أو وضعه الاجتماعي والوضع الاجتماعي لبقية الناس. وهنا يتجرد الفنان عن ضميره وعالمه الروحي وعن معتقداته التاريخية وعلومه الثقافية فيدرك «ذاته»؛ الذات الحقيقية التي اكتسبت معناها من خلال علاقتها بالذات الأحدية[١٧]. وهنا يجد الفنان نفسه شريكاً لجميع مظاهر الوجود في عزف سمفونية العشق والوجد والهيام، يغني مع أوراق الشجر ومع الجبال أغنية الأبد، ويخوض مع السماء والأرض في رقص أثيري رائع، يسجد كما الحصى في الصحراء والأوراق على الشجر، يؤدي طقوس العبادة ركوعاً وسجوداً خضوعاً وخشوعاً مع سائر سكان الوجود اللامتناهي، وقد نرى سماعه ورقصه ووجده وترانيمه ونسمع نطقه في كل مظهر من مظاهر الخلق منذ ذاك الصبح الأزلي حيث استوى عرش سابحه الذي التحق برهط من سبقه من السالكين. ها هو قد تحرر الآن من أنياب الطموح النتنة المتعفنة الطامحة إلى المال والجاه والثروة والشهرة، والتي ترجع في أصولها إلى سلسلة من السنن والمعتقدات التي سنّها الظالمون على طول آلاف السنين، ولم يعد في نسيج تلك القيم المنحطة ليتخبط فيها كفريسة العنكبوت. فهو الآن اتصل بأشرف وأجمل وأطهر عشق لذاك المبدأ؛ مبدأ الفضيلة والجمال والحمد والعلم والجلال. فمعرفته تمثل ارتقاء المقولات المذكورة إلى مقام «أعلى»، وهي شهود الروح النقية للحقائق والوقائع وشهود لخالق الوجود ومعبوده، وهي عرفان ناشئ عن عشق عظيم وشريف قد انطوى فيه حب الناس أيضاً. فالعشق أساس معرفته؛ ذلك العشق الذي يضفي على العلم نوراً وضياء «والذين آمنوا أشد حباً لله»[١٨]. والآن بتنا ندرك أن العلوم العقلية والمعارف التاريخية والسياسية والاجتماعية تأخذ رونقها من هذه الحضرة العبقة بالمحبة والشهود. فهو ينظر إلى الآفاق والأنفس بمنظار آخر، ويبدع، فيكون إبداعه عين السجود والحمد والتسبيح والعبودية والإقرار بوحدانية الله. وفي هذا المقام يصبح فنه تمثالاً للعشق والعبودية، وقد يكون ذلك بصورة تجريبية أو يكون بشكل تجريدي.

الرؤى الأساسية في الفن الإسلامي

الرؤى الأساسية في الفن الإسلامي عبارة عن:

- الرؤية الآيوية؛

- الرؤية المسيحية؛

- العدل في المنظومة الكونية؛

- التصوير المثالي للجنة والعالم السرمدي؛

- المدينة الفاضلة (المجتمع ونظام القسط والعدل الإسلامي)؛

- الإنسان.

تمام السعي هنا من أجل وضع الأسس النظرية للفن الإسلامي التي تم تصويرها وتمثيلها في بوتقة البحث والتحليل. وفي البداية لا بد لنا من الالتفات إلى معرفة تاريخ الفن، نظراً لدوره كعنصر مهم في عملية التفسير. وكذلك يجب الاطلاع على أصول (المعتقد) أو الاتجاه الذي يتم بحثه وتحليله. ومن المهم أيضاً الاطلاع على التاريخ والثقافة والأساطير والأمثال الرائجة التي نشأ وترعرع في كنفها الأثر الفني. كما أن وجود معرفة إجمالية بعلم الاجتماع وعلم النفس يحوز على كثير من الأهمية في هذا الأمر. وفي ما يتعلق بالأفكار الإلهية والدينية، والفكر الإسلامي خصوصاً، فامتلاك الاطلاع المجمل حول ما يتعلق بالعرفان والآثار الفنية العرفانية يعتبر من العلوم المحورية بالنسبة للباحث، وذلك لأن العرفان يشكل الجانب الباطني للفن الإسلامي. كما أن الإحاطة بالفكر المعاصر وفروعه المختلفة في مرحلتي الحداثة وما بعد الحداثة يساهم إلى حد ما في إغناء معرفة الفنان الباحث في الفن الإسلامي أو الفنان المحترف في الفن، بما أن الفن الإسلامي يجيب عن هذا السؤال الذي طرحه جميع الفنانين والباحثين في الفن ورواد الفن، ويعطي تفسيراً لهذا الهاجس في عالم الفن المطروح بصورة: ما هو الفن؟ هل هو نتيجة الميل إلى اللعب؟ هل هو نتيجة الفراغ؟ هل هو نتيجة للغريزة الجنسية؟ هل هو ظهور لانفعالات الإنسان إلى الخارج في أصدق حالاتها للمتلقي؟ هل هو تقليد؟ هل هو جمال؟ هل هو مزيج من الأخلاق والجمال؟ هل هو جمال منفصل عن الأخلاق؟(١٩).

باعتباره فناً مقدساً، يجيب كالتالي: الفن مكاشفة لصور الوجود المتنوعة عبر سيرورة تجربة جمالية وعرفانية حتى يتسنى إخراج هذه الصور في قوالب الكلام أو الموسيقى أو عبر تصوير تشكيلي أو معماري يضعها في متناول الجميع. وهو مجاهدة عرفانية جمالية هدفها وصول الإنسان إلى الحقيقة الماورائية الفضلى؛ حقيقة ما وراء المعقول ذلك الواحد الأعلى (الرب الأعلى) حيث جوهر الفن الإسلامي، وفي هذا قول الشاعر الإيراني:

مراد ما ز تما شاى باغ عالم چيست

به دست مردم چشم ازرخ تو گل چيدن

بمعنى (ليست الغاية من التأمل في روض هذا الوجود وما فيه من بديع الجمال وبهاء الجلال سوى قطف باقة من أنوار قدسك وآيات صنعك وتقديمها رائعة في أبصار الناظرين من البشر). وعلى هذا، فإن التسليم بموضوعية الجمال الفني في الإسلام وقبوله فيه يرجع إلى أن الحقيقة هي عين الجمال وغاية الفن ومقصود كل مكاشفة فنية. ولهذا فالفن ذو بعد جمالي.

تشكل كل من الرؤية الآيوية والرؤية التسبيحية طريقتين للنظر في هذا الوجود، كما تشكلان في اجتماعهما معاً وحدة متكاملة تهيئ الظرف للفنان ليستطيع خلق الفضاء التشكيلي المقصود، وكذلك تنمية حالة (القرب) التي يعيشها في ذاته.

الرؤية الآيوية

هي تلك الرؤية الناظرة إلى كل جزء من أجزاء الوجود بمفرده، وكذلك هي نظرتها إلى الظواهر، فتبحث فيها بطريقة تعبر من خلالها إلى ما وراء الظاهرة، حيث تقبع حقيقتها؛ هذه الرؤية تتخطى معرفة الوجود وتتخطى معرفة الماهية لتصل إلى عالم المعاني لتدرك آنذاك معاني الظواهر وما تحمله من مداليل ورسائل. وكثيراً ما دعانا القرآن إلى مثل هذه الرؤية لتكون الظاهرة المعاينة نقطة انطلاق للسفر إلى أعماق المعاني، حيث يتجلى النور المشعشع (الله). فهو محور كل مجاهدة ونهاية كل سير وسلوك، وهو صاحب القدرة والخالق الأحد الذي يطمح الإنسان الفنان عبر سيرورة هذه الرؤية إلى الوصول إليه وإدراكه بالوجه الأمثل.

ما كيفية هذا النظر وما اتجاه النظر؟ «فانظر إلى آثار رحمة الله كيف يحيي الأرض بعد موتها..»[٢٠]؛ هذا الإحياء بكل ما فيه عظمة وهيبة وجمال، بعد الموت والذبول وبرود الأرض وهمودها، إنما يشكل جانباً من الطيف الكامن وراء هذه الرحمة. وتتجلى هذه الرحمة بجانبها الآخر في عملية التكرار المستمر للحياة بعد الموت الذي يعتبر تأكيداً للحياة السرمدية في العالم الآخر. فالحياة بعد الموت تعني بالنسبة لنا المعاد. على أن الإشارة التي هي أشد عمقاً هي إشارة (الرحمة) إلى الوجود والحضور الجمالي الدائم والسرمدي للواحد المتعال. فعندما يصور الفنان هذه الغاية وهذا الواقع من خلال هذه الرؤية، فإنه يخرج الواقع وما وراء الواقع بصورة تشكيلية. وتكون رؤيته ولقاؤه هذا عين المكاشفة وليست معبراً أو سلوكاً نحو الكشف والشهود.

هكذا هو الفن الإسلامي، مكاشفة تشكيلية للتعبير عن حقيقة ما وراء الواقع. وعلى هذا فالطبيعة تتمتع بقيمة خاصة باعتبار أنها تشكل ساحة للواقع والواقعيات التي تشكل نقطة انطلاق الفنان في سيرورته الفنية. إذ أنه لا يقف عنده ولا يستغرق فيها لأن الطبيعة وما فيها من الواقعيات لا يمكن أن تكون مبدأ للقيمة والحقيقة، لأن حقيقتها ومعناها مترشحان عن

مثالها الماورائي، والفنان يسعى كل السعي لإيجاد الوصل بيننا وبين ذاك الجوهر الماورائي المتعال المتربع على عرش الوجود، والتوجه بأبصارنا والارتقاء بأرواحنا نحو الماورائيات. إذاً، هذه الرؤية تعتبر السبب في تجنب تصوير الواقع أو الطبيعة إلا في ما يتعلق بمعانيها المترشحة عن مثالها الماورائي.

وعندما نقول إن الفنان المسلم ليس طبيعياً ولا واقعياً، فهذا لا يعني أنه لا ينظر إلى الواقع والطبيعة بصورة ذهنية أو لا يعيرها أية أهمية، بل على العكس، فهو يرى في الواقع والطبيعة إشارة إلى معناهما الماورائي، مما يجعل من أثره مجالاً للربط بين الواقع والطبيعة من جهة، ومعناهما من جهة أخرى، وذلك من خلال عمل تشكيلي فني، كما يقول شرايدر (الفن الإستعلائي المقدس) يتجنب كلاً من المذهب الواقعي، والرومانتيكي، والتعبيري التجريبي والطبيعي وصولاً إلى أعلى مستوى في رمزية الوجود وسريته[٢١].

وإذا ما أردنا أن نتحدث إجمالاً عن كيفية تعامل الفنان التشكيلي مع الواقعيات وعرضها، كفانا أن نقول إن القالب الآيوي يشير إلى السعي نحو المطابقة بين الواقع الوجودي الخارجي للشكل من جهة، ومعناها الماورائي من جهة أخرى، سواء أكان هذا التشكيل تخيلياً وتمثيلياً ورمزياً أو كان واقعياً طبيعياً. وعلى صعيد الإبداع والخلاقية الفنية في حالة الشهود، نجد أن هناك للتعبير لساناً آخر. فالفنان، وبغض النظر عن ثقافته ومستواه العلمي، وبغض النظر عن كونه قروياً حرفياً لا يملك أي معرفة بالفلسفة والعرفان والعلوم العقلية أو كونه عالماً أو عارفاً وهو في حالة الإبداع والخلق الفني، نجده ذا روح شفافة تنساب عذبة رقراقة من المخزون الديني والثقافي الإسلامي العظيم تتجلى بأبدع صورة وأروع تشكيل؛ هذه السيرورة الاستعلائية تصل إلى ذروتها في الفن التشكيلي الإسلامي في نقوش السجاد وبصورتيها التجريدية والواقعية، وتتجلى في النقوش و الرقوش الهندسية المرسومة على جدران المساجد وأماكن العبادة الدينية الأخرى.

إذا امتلك الفنان هذه الرؤية يدمج على وجه السجادة كلاً من الإنسان والطائر وشجرة السرو والماء، ويبدل كلاً منهم إلى الآخر بإبداع وجمال. فالآية التي تشير إليها هذه الكائنات والعناصر التصويرية التي يستخدمها الفنان لإخراجها بنظام الكائنات التي تظهر بطريقتين كلتاهما قائمتان على التوازن والمماثلة. فهو إما أن يعرض عناصره بجريان دائم ينساب كالنهر لا مركزية له بتصرف وتبدل منتظم ومتماثل يرافقه في ذلك لحن وإيقاع ثابت لا يتغير، وإما أن يعرض عناصره التشكيلية المتماثلة مجتمعة في حلقة دائرية تدور حول مركز الوجود متبدلة في حركة دائمة مستمرة. كذلك فالرقوش لها الفلسفة التشكيلية ذاتها، فترى الورقة التي تشير عبر انعطافها الذاتي إلى جهة ما ليست بورقة، فقد تراها طيراً، وقد تراها سرواً، وقد تراها دوحة. وفي كل الأحوال ترى توجهها نحو (القطب) حيث مبدأها ومعادها. فإذا لم

تقع هذه العناصر ضمن منظومة الكائنات المنكبة بمجموعها على الحمد والثناء والتسبيح، لا يمكن آنئذ النظر إليها على أنها تملك كامل فلسفتها التشكيلية. لكننا في الرؤية الآيوية لا نجد تفسيراً أفضل من تفسير القرآن الكريم الذي يضفي على أذهاننا المحدودة وأبصارنا التي اعتادت الواقع الخارجي نوعاً من التنوير والإشراق. فالقرآن وحده هو الذي يحث الإنسان في آيات مختلفة ومتعددة على النظر الآيوي. وضمن هذه الدعوة يقدم لنا الواقعيات كمرحلة من مراحل العروج ومقدمة لها. ومن هذه الواقعيات: الطبيعة والإنسان والمجتمع والمناظر الطبيعية وأوراق الأشجار والأشجار والسماء وإحدى مراحل حياة الإنسان والحادثة الاجتماعية، وكذلك تتّبع حدث في التاريخ؛ هذه الواقعيات تقود الإنسان من مكانتها الطبيعية إلى المعاني الماورائية الرفيعة والعظيمة، وبذلك، ومع مثل هذه الرؤية، لن يكون الفنان مقيداً بالطبيعة والواقع أبداً.

كثيراً ما ذكرنا طيف ما وراء الواقع، ولا بد لنا من تعريف ماهية هذا الطيف. فما الذي نشهده إذا انتقلنا من هذا (الواقع) الوضيع إلى حديقة المعاني البهيجة؟ وما هي المقامات التي سنعبرها أثناء هذا العروج بين النقطة المعنوية الأولى (الواقعيات) والنقطة العليا؟

طيف ما وراء الواقع

إن طيف ما وراء الواقع في الفن الإسلامي هو رموز وأسرار الوجود والنظام الكوني العجيب والمدهش، والسنن والقوانين الحاكمة عليه، والأسرار الرفيعة الشفافة للمشيئة والتقدير الإلهي، ونموذج من الحياة والبعث والنشور بعد الموت، وسيرورة الموت والحياة وحياة وموت العالم والمعاد والحياة الأبدية. ومهما يكن، فإن كل واحد من مقامات هذا الطيف نظّم بطريقة تجعله يشير إلى ذي الواحد، وينتهي إلى شهود مفعم بالعشق والهيام.

الرؤية التسبيحية

إذا كانت النظرة الآيوية تهدف إلى تحقيق التطابق التشكيلي بين الظواهر ومعانيها الماورائية في ما يتعلق بالواحد الذي لا شريك له، فإن الرؤية التسبيحية عبارة عن عرض تشكيلي تصور فيه جميع لحظات حياة الظواهر ومعتقداتها وسلوكها، وذلك من خلال الوجود المنتظم للكائنات في علاقتها مع الواحد المتفرد بالوحدانية. وفي الواقع، فإن كلتا الرؤيتين الآيوية والتسبيحية تشكلان وجهين لرؤية واحدة، فإما أن تكون نظرة الفنان المسلم إلى الوجود رؤية آيوية تحكي منهجية الرؤية، وإما أن تكون تسبيحية تحكي لنا النتيجة التي توصل إليها من خلال هذا المنهج.

في كل ظاهرة حياة وتأريخ حياة وموت، تنطق وتتحرك وتمضي في مسيرتها، فلا الحجر جامد ولا الجبل ولا الخشب ولا حصى البادية، ولكل حياته الخاصة مروراً بأكثر الأشياء

والظواهر صمتاً وسكوناً إلى أكثرها صراخاً وتحركاً وهيجاناً، ولو رؤيت حركتها وسمعت أصواتها لكان وراء هذه الأصوات أصوات أخرى، ووراء هذه الحركة حركات أخرى. قد تسمع بأذنك تغريد الطير، وخرير الماء، وشكوى المظلوم ونحيبه، لكنك تحتاج لكي تسمع هذه الأصوات في ما وراء هذه الأذن، ولكي ترى ما لا تراه هذه العين في ما وراء هذه العين إلى أذن وعين من نوع آخر، والحقيقة تقول «... فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور»(٢٢).

يجب أن تفتح عيون وآذان قلبك حتى تسمع وترى ما قاله مولوي (جلال الدين الرومي):

ذكر وتسبيحات أجزاى نهان غلغلى أفكَنْد اَنْدرَ آسمان

أي:

أجزاء العالم بتسبيحاتها وذكرها أثارت ضجة في السماوات

كان لهذه الرؤية ـ التي كثيراً ما أشار إليها القرآن الكريم، وذكرت بالمصطلح نفسه في أشعار مولوي ـ سابقة الحضور في النصوص الإلهية المذهبية والأشعار العرفانية والآثار التشكيلية العرفانية الإسلامية.

ما أن يتحقق الوصل بين المادة والمعنى والشهادة والغيب والملك والملكوت حتى ترى الإنسان الذي خطا في هذا الطريق يصرف النظر عن ظاهرة المادة، ويعود إلى الذات، ومن ثمّ ينشد بصره بعالم الغيب والمعنى حتى يتربع بعد عروجه قمة العالم مرة أخرى، فيسمع النداءات والمناجاة، ويدرك الحركات المأنوسة القديمة فيأنس لندمائه وجلسائه الأزليين القدامى... فما أروع أن يرى نفسه في (عالم الذر) حيث شهد وأقر مع جميع المخلوقات بوحدانية الخالق إذ (قالوا بلى) وحيث قال الله مخاطباً السماوات والأرض «إتيا طوعاً أو كرهاً» فتجيبا بكل عشقٍ وهيام ورقة وتسليم «قالتا أتينا طائعين»(٢٣)... فيرى بعين قلبه كيف تصلي جميع الموجودات لله. فالورقة تسجد له وتسلم كل ذرات وجودك إذعاناً بربوبيته، وترى الطير ليس في كل صباح فحسب، بل في كل لحظة من عمره تراه قد اعتكف للعبادة في مسجد هذا العالم، وترى الماء مرنماً أذكاره، وكذلك «والنجم والشجر يسجدان»(٢٤)، وترى كيف تمرّغت وجوهها المندهشة في تراب التسليم. وكما قال مولوي: ضوضاء وضجيج حتى السماء.

كذلك أخرج مولوي هذه الرؤية التسبيحية بصورة فكرية ومنطقية منظمة، إذ قال:

«جملة أجزا در تحرك در سكون ناطقان كأنا إليه راجعون»

أي أن جميع أجزاء الوجود متحركة كانت أم ساكنة تنطق بالعود إليه سبحانه. وكذلك كما

عبّر القرآن الكريم: «وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم»[٢٥]. فجميع موجودات هذا العالم مشغولة بالعبادة والتسبيح، وأنتم لا تدركون هذا التسبيح، ولقد عبّر عن هذا التسبيح آية الله جوادي آملي بأنه:

أولاً، مظهر من مظاهر الإدراك والشعور بجميع أجزاء الوجود؛

ثانياً، إن جميع الموجودات ناقصة في وجودها فترى الله في تسبيحها منزهاً من كل عيب ونقص وتدرك نقصها، وهذا ما يجعلها تعتمد وتتوكل على وجود لا نقص فيه[٢٦].

هذا التسبيح خطاب وعبادة وسجود وتسليم وفوران ونطق وتكلم وضجيج. والفنان في هذه الحركة التسبيحية، باعتباره موجوداً عاقلاً إلى جانب موجودات هذا العالم، تراه أيضاً مشغولاً بالرقص والسماع ليشكل بذلك بيتاً في قصيدة الغزل والعشق في هذه المنظومة الكونية، حيث تتجلى كل العظمة والرفعة في تلك اللحظة التي يكتشف فيها مكانة بين هذه الموجودات، فيكشف نفسه مسبحاً مع هذه الموجودات، ومستجيباً للنداء الإلهي الأعظم (سبح اسم ربك).

تظهر النماذج التشكيلية المتعلقة بهذه الرؤية التسبيحية بصورة تجريدية أحياناً، وبصورة واقعية أحياناً أخرى، على نقوش السجاد وفي الرسوم المذهبة على جدران المساجد برقوش هندسية ونباتية توريقية ومذهبات خطية متصلة تعبر عن الحركة الكونية الإلهية المتعلقة بجميع ظواهر هذا العالم، فترى كيف أن هذه الخطوط والألوان والإيقاعات والألحان قد خلقت وحدة منتظمة أدت إلى تشكيل ورسم مثل هذه الحركة. ولا بد في هذا التشكيل الفني من تكرار إحدى الصور والأشكال. وقد تكون تلك الورقة أو يكون ذاك الطائر أو قد يكون الإنسان. فكل ورقة أو طائر في السرم الرقشية أو أي شكل أو جزء في الرسومات الهندسية يستطيع أن يكون واحداً من موجودات هذا العالم، حيث لا هوية له ولا عنوان، وإنما هو موجود ضمن ظاهر وباد وضمن نظام تسبيحي عام، وما هو في الحقيقة إلا كذلك. ومن الأمور التي لا شك فيها أن لكل زمان أسلوبه ومضامينه التابعة لإلهاماته الخاصة، وكثيراً ما يحتاج إلى إنسان أو لغة جديدة، والعثور على هذه اللغة يحتاج إلى العناية بهاتين المسألتين:

أولاً، إن الأسس التي تقوم عليها الرؤيتان الآيوية والتسبيحية هي أسس قرآنية ذات حضور متواصل في الآثار الأوبية والعرفانية للفن الإسلامي؛

ثانياً، إن اللغة العصرية للفن وتعبيريته الحالية تحيط بها الشروط الوطنية والدولية المعاصرة. ونحن نسعى جاهدين للحصول على موضوعات جديدة خاصة نستطيع إخراجها بصورة فنية تشكيلية تناسب العصر، وذلك مع الحفاظ على تسلسلها التاريخي الفني والفكري، والتي ستكون بلا شك ذات انسجام خلاق وبنّاء.

العدل في المنظومة الكونية

يمكننا القول إن العالم الذي يحسه الفنان ويدركه، ومن ثم يخلقه، يرتبط في تجزئته بثلاثة جوانب إدراكية:

أولاً، إدراك الفنان للعالم (الوجودية)؛

ثانياً، إدراك الفنان للنظام التخيلي (اليوتوبيا)؛

ثالثاً، الموقع الذي يشغله الفنان بين المجالين.

في عملية التحليل العميق لمحتوى أي عمل فني، يظهر دون شك فهم الفنان للكون والوجود بشكل من الأشكال: هل يرى الوجود ذا مبدأ ومعنى واتجاه وهدف ومجموعة من الظواهر المتعادلة والمتناسبة، حيث أخذ كل جزء فيها مكانه ضمن نظام منطقي هادف، أم أنه ينظر إليه كمجموعة من الأشياء المبعثرة والمضطربة التي لا غاية لها؟! أضف إلى ذلك: كيف يكون إدراكه للجهة والمعنى والتوازن الكوني في حال ظهور هذه المقولات بوضوح؟

تظهر جميع هذه الرؤى، وبشكل معقد، في الأثر الفني، على الرغم من أن التلقي (الإدراك) والخلق أمران يرجعان في النهاية إلى الشهود، والفنان المسلم يرى العالم بحكم معتقداته الدينية المتعلقة بالوجود مجموعة منتظمة هادفة لها غاية ونهاية. فإذا ما وجد نقص في مكان ما لا بد أن يقابله زيادة في مكان آخر، ونهاية كل حادثة في زمان ما لا بد وأن تقابلها حادثة تنتهي أيضاً في زمان آخر، أي إن هناك لوناً من التضاد، فإما تقارن أو تكامل، والجميع قائم على أساس التوازن الحاكم في جميع أطراف الكون. وهذا يشير إلى فلسفة الوجود الدالة على تدبير كامل لبداية ونهاية هذا العالم المدهش. وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا التوازن بقسميه: الباطني الضمني والظاهري الصوري بقوله تعالى «وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلاً لا مبدّل لكلماته وهو السميع العليم»(٢٧). كذلك من الآيات الدالة على هذا التوازن شكلاً ومضموناً قوله تعالى «والسماء رفعها ووضع الميزان ألا تطغوا في الميزان»(٢٨).

تتجلى هذه الرؤية التسبيحية من خلال رحلة في تاريخ الفن الإسلامي لنرى الرقوش والرسوم التجريدية الموجودة في المساجد، وكذلك في العمارة وفضاءاتها، وخصوصاً في العمارة المتعلقة بالبقع الدينية (المذهبية)(٢٩). وإن ذكر مصداق عيني تصويري أو تشكيلي من تاريخ الفن الإسلامي ليس لضرورة التكرار في الأشكال نفسها، وإنما تعود أهميته إلى حفظ التسلسل الموضوعي لمثل هذه الآثار التشكيلية.

فلو وُجد ياباني، على سبيل المثال، وبدأ برسومه من زاوية الصفحة، وتابع يرسمها بشكل امتدادي إلى الجهة الأخرى من الصفحة، فستكون هذه الطريقة المكانية للرسم وليدة إدراكه للعالم. وإذا قام فنان في الفن الإسلامي برسم اللون والنور والأشكال بصورة حركة دورانية

منتظمة حول مركز معين أو بصورة تيار يجري ضمن مسير معين وفي اتجاه محدد، على أن يخلق حالة من التوازن في روح الناظر، فسيكون هذا ناشئاً أيضاً عن ماهية إدراك الفنان ورؤيته الكونية. فالمعتقدات لا تنفذ إلى أعمال الآثار الفنية بشكل إرادي قصدي، بل بصورة غير إرادية. إذ أن مرور الأيام يكون قد أخرجها في تناغم جماعي وثقافة اعتقادية. وفي نهاية الأمر، وبعد العبور من السطوح والمراتب النفسية للفنان، تخرج ثمرة روحية جمالية في قالبٍ تصويري تشكيلي.

التصوير المثالي للجنة والعالم السرمدي

لا شك أن كل معتقد ديني يقدم صورة هيكلية تعبر عن نظام العالم السرمدي، عالم اللافناء والعالم الذي يحصل فيه البشر على القرار والسكينة. ومن الطبيعي أن لا يخلو أي أثر فني نشأ وترعرع في مثل هذه الأجواء من التأثر بها على الصعيد التصويري والتشكيلي. إن أعلى مراتب الصفاء الإيحائي المتعلقة بالعالم السرمدي، والتي تتجلى وتظهر في الفن الإسلامي، يمكن رؤيتها أيضاً في الفن البوذي. فهناك، وبعد أن تخطى الإنسان الألم والشقاء، يتحد مع (النيرفانا) ليصل دار القرار والسكينة، وهذا ما تعبر عنه المنحوتات البوذية والرسوم التشكيلية التصويرية. وكذلك الأمر في الفن التاوي حيث ترى الإنسان الفاني في الطبيعة والمتناغم معها بكل حركاته وتقاسيم وجهه ولباسه وهيكله كنموذج معبر عن الاتصال بجوهر الطبيعة ورمزها.

أما في الفن المسيحي فيتجلى ذلك في الصور المعبرة عن مريم (ع) وهي تحتضن عيسى (ع) وتضمه بكل حب وحنان بعد كل ما لاقته من ألم وتشاؤم لتضع قلبها على وليدها. وكذلك يتجلى في تلك اللوحة المعبرة عن المصلوب عيسى - حسب اعتقادهم - والتي تدل على قبوله وتحمله برحابة وعشق لكل أنواع الألم والتعذيب في سبيل إثبات صدق دعواه وحقانيتها.

كما يعبر القرآن الكريم من خلال رسم لوحات عن هذا العالم بعباراتٍ مثل «دار الخلود» و«دار السلام»، والفردوس التي لا لغو فيها ولا تأثيم، ولا شمس فيها ولا زمهرير، حيث ألقت أشجارها بظلالها على المؤمنين، فكانت ملجأ لهم ومأوى؛ هذه الأشجار التي تجري من تحتها أنهارُ اللبن والعسل، فترى هناك كيف تسكن قوافل الناجين المخلصين في هذه الدار لتكون من سكان الملكوت السرمدي الذين تعبّر وجوههم عن نضرة النعيم وما وعد به الرحمن الكريم.

كذلك يقدم القرآن الكريم لوحات فنية أخرى في غاية الجمال والعمق كتلك التي تبحث في الطمأنينة (الأمان)، والتي تحتاج من الناحية الفنية إلى بحث خاص بمفردها. وعلى كل حال، فإن هذا النوع من الاعتقاد والإيمان بالطمأنينة والأمان يؤدي بمرور الأيام إلى خلق عادة إدراكية لمسألة الطمأنينة في ذهن الفنان تتقولب لتتجلى في النهاية، وبعد عبورها من المجالات

والسطوح الذهنية، في لوحات تصويرية وتشكيلية. فالعالم السرمدي يمكن رؤيته في ذاك الفضاء الاستعلائي المدهش للمسجد، وفي رسوم جدران المراقد والأماكن الدينية، وفي نقوش السجاد، وكذلك يمكن رؤية ما يعقب ذلك العالم من أمان وسلام متجلياً ومتمثلاً أمام الإنسان ليلقي إليه نوعاً من الهدوء والسكينة الفردوسية. وهنا يمكننا الرجوع إلى الفن الإسلامي للعثور على مصاديق حقيقية تمثل وتصو ر ذلك، وليس بغرض التكرار الفني التشكيلي لها.. لأن العالم المعاصر والحاجة الملحة إلى التنمية الثقافية تتطلب الحفاظ على المضمون بصورة عصرية متجددة حتى يتم عبر ذلك تقديم ورقة جديدة إلى خزانة الفن والتشكيل لم يسبق لها نظير.

المدينة الفاضلة (المجتمع المثالي ونظام القسط والعدل الإسلامي)

لو اعتبرنا أن ما يشكل جميع العناصر الذهنية التشكيلية للفنان هو الإدراك المعرفي للوجود، بما في ذلك العالم السرمدي وما يكتنفه من التوازن والسكينة الخاصة، وكذلك الرؤية الآيوية والرؤية التسبيحية لجميع الظواهر وعلاقتها بالواحد الأحد، فمن الممكن أن نضطر إلى القول بعدم الحضور المعرفي والتاريخي والسياسي في الآثار الفنية المقدسة. وعلى الرغم من أننا حتى الآن ما فتئنا نراجع تاريخ الفن الإسلامي لتقديم المصاديق التشكيلية والتصويرية الأكمل والأجمل، فلم نوفّق في الحصول على أثر تشكيلي ذي مضمون تاريخي وسياسي لمجتمع العدل الإسلامي إلا بالطريقة التجريدية. وبالنظر إلى هذه الخصوصية التي يتمتع بها هذا التاريخ، يجب علينا أن نأخذ الآثار التشكيلية التمثيلية *(Figurations)* على أنها الأكثر تعبيراً عن مثل هذا الموضوع. وبما أنه يخلو من هذه اللوحات أو من التجربة في هذا النوع من الفن، فسيكون من المستطاع عندئذ أن ننظر إلى موضوع العدل في الفن الإسلامي بعين التجريد فقط. فالتعبير التشكيلي لنظام العدل وفي العالم والمجتمع الإسلامي بصورة تجريدية يقدم لنا وجهاً مشتركاً ومتطابقاً مع القرآن من حيث إرجاعه لجميع أشكال العدل المثالية إلى أساس ومبدأ فطري. فالتوازن هناك يقوم بين الأنظمة الاجتماعية من جهة، وباطن المنظومة الكونية من جهة أخرى «السماء رفعها ووضع الميزان»... وهذه هي الصبغة الحاكمة على العالم بأكمله: «ألا تطغوا في الميزان»... وهذا يعتبر قانوناً طبيعياً واجتماعياً لإظهار الجذور الأزلية لنظام وجودي واجتماعي. وبعبارة أخرى، يمكننا القول إن هناك توازناً بين عالمي (الخلق) و (الأمر). وحسب المعرفة الوجودية هناك أصل مشترك لكل ما هو كائن وما يجب أن يكون. وعلى هذا، فإن اللوحات التشكيلية التي يقدمها تاريخ الفن الإسلامي تصور وبكل سهولة التطابق والتوازن بين نظام العدل الاجتماعي ونظام العدل والتوازن الكوني، إضافة إلى أن هذا التوازن المتحقق في نظام العدل الاجتماعي بذروته يقدم وجهاً للطمأنينة والسكينة الوقورة التي تسود المدينة الفاضلة الإسلامية.

ولا ضير في أن نذكر هنا أن الظروف السياسية والاجتماعية ووجود حكام الجور وما خلّف ذلك من ضغط وتوتر في الجو العام، وكذلك وجود بعض الفنانين أو العاملين في هذا المضمار من الحكام وأولي السلطة والنفوذ قد أدت بكل ذلك إلى محق ومحو أي لوحة تشكيلية تعبّر عن نظام العدل الإسلامي، وهذا ما حدا أيضاً بالفنان، وبشكل تلقائي، إلى إيجاد نوع من الرقابة الذاتية على إمكاناته الذهنية والروحية والفنية، والتي في الواقع لا يمكن أن تكون ناشئة فقط عن منع الرسم والتصوير التمثيلي الواقعي(٢٩).

على كل حال، إن لكل اتجاه أو مذهب تعبيره الخاص عن المدينة الفاضلة، ويتجلّى ذلك فنياً في ذهن الفنان وآثاره. ففي الفن الواقعي الاشتراكي نجد أن هناك في أذهان الفنانين تصويراً كلياً عن النظام الغائي المثالي الشيوعي، ويتجلى ذلك في الآداب والفنون بصور مختلفة منظومية واجتماعية؛ هذه المدينة الفاضلة تظهر في بعض دورات الفن اليوناني من خلال تكريم وتقديس الآلهة والأبطال والعظماء، وفي بعض دوراته نجدها متجلية على وجوه العقلاء والحكماء الذين يمثلون أسطورة الدولة العقلانية. وهذا ما عبرت عنه المقصورات من الدور والتماثيل واللوحات الفنية. وهذا العنصر المثالي الغائي يظهر في تاريخ الفن الإسلامي وعلى الدوام عبر المعرفة الذهنية والروحية للمصور (الفنان). ولكن التعبير عنه كان يتم بصورة تجريدية.

النقطة المهمة هنا تكمن في أنه إذا كان التصوير الكلي للنظام الوجودي المتعالي والمتوازن، بما في ذلك الإنسان الموجود في منظومة منتظمة متوازنة عابداً وساجداً مسبحاً للباري الأحد - كل ذلك يعتبر من العناصر التي تبعث السكينة والأمان للروح في الثقافة الجمالية الرسلامية - فإن نظام العدل التخيلي (الطوباوي) الإسلامي يعتبر كذلك عنصراً من عناصر الطمأنينة والسكينة للجسم والروح عن طريق نظامه السياسي والاقتصادي والاجتماعي. وهذان العنصران يتطابقان في الفن التجريدي ويتجليان في المساجد والكتيبات والحدائق ونقوش السجاد وباقي المظاهر الفنية الأخرى.

الإنسان

في كل عقيدة هناك تعريف للإنسان تعبر عنه وتقدمه بما يتناسب معها. ويعتبر هذا الإنسان من جهة مخاطباً للفن، وأحد موضوعاته من جهة أخرى، كما ويتجلى عبر التحليل كيفية تعبير هذه العقيدة عن الإنسان في قالب تشكيلي. وفي فضاء حكمة الفن الإسلامي ينظر إلى الفن الديني على أنه مكاشفة تشكيلية فنية تتعلق بالعالم والمجتمع والتاريخ والحياة السرمدية والمدينة الفاضل لتنقل الجوهر القدسي المتعال القابع في مكنون وجود الإنسان إلى حقيقة ما وراء المعقول (الله). فالإنسان في الفن الإسلامي يعتبر مزيجاً من الروح والطين. كما تعتبر الإنسانية ذات جوهر متعال «نفخت فيه من روحي». والذي يجمع صورة هذا

الإنسان هو الحركة؛ حركة تنقله من القطيعة إلى الوصل ومن الغربة إلى القرب.

يمكننا القول إن جوهر التعريف الإسلامي للإنسان يُكتسب عبر تضمنه لموضوعي الغربة والقرب. ومن الممكن بتعبير آخر أن تكون هذه المسألة موضوع الفن الأساسي، لأننا نجد ذلك في المعتقدات المختلفة وتعاريفها المتنوعة والمتقاربة لكل من الإنسان والعالم والمجتمع... فالمذهب الوجودي يعبّر عنه بالغرب، ومولوي الشاعر والعارف الإسلامي الكبير يعبر عنه بالفراق، والقرآن الكريم يعبر عنه بكلمات مثل «فإني قريب»[٣٠] و «نحن أقرب إليه من حبل الوريد»[٣١]. فهنا يُنظر إلى الفراق والغربة، وفي الحقيقة، إلى (المسافة) بمنظار اغترابي، كما يقرب المسافة من خلال القرب الذي يذكره مراراً، فيجعل بذلك الوصل أمراً ممكناً. والمسألة التي تضاد هذا الأمر هي (النسيان)، مع التأكيد على أن نسيان الله يؤدي إلى نسيان النفس (الذات). فالإنسان الذي يقاوم الظلم ويتعبد ويتزوج ويحيى ويموت يشكل حركة نحو القرب والوصال. وكذلك الإنسان عندما يصير عاشقاً، فإنه يعشق المثال الأعلى، فيعشق الحقيقة، وبالتالي فإنه يشكل حركة بدون انقطاع نحو القرب والوصال. وقد تكون هذه الحركة أحياناً عن قصد وإرادة، كحركة السالكين لطريق الحق من الأحرار والعرفاء، وأحياناً تكون بشكل لاإرادي كبقية الحركات في الحياة العادية للبشر. والإنسان الذي لا يحمل في طيات وجوده هذه الجوهرة المتعالية ما هو في الحقيقة إلا صاد يطلب رياً، كالسمكة التي وقعت في اليابسة وتطلب العودة إلى موطنها. وهو مع هذه الجوهرة السماوية العليا التي عبّر عنها العارفون من الشعراء ببلبل بحبوحة الملكوت وطائر عالم الجبروت الذي يسعى دائماً للرجوع إلى أصله القدسي المتعالي. والقصدية هنا أو عدمها يكون تأثيرها فقط في معننة السلوك وليس في أصل وجوده. وعلى هذا، فالفن الديني يملك جوهراً، وهذا الجوهر هو الذي يخلق هذا المصير؛ مصير الوصل واللقاء، ومصير التخلص من الغربة وتحقيق القرب. ولا يخلو هذا المصير - الذي تم تقديره في السير ضمن سلسلة من الحوادث المعترضة والمانعة للوصول إلى القرب - من حضور ذاك العنصر التقديري الآخر، والذي يعتبر رمزاً للشر (الشيطان). وإذا ما أشار هذا الشيطان - الموجود بقدر ومشيئة إلهية في وجود الإنسان - إلى شيء، فإنه يشير إلى التعقيد والتشابك والتشعب في النسيج الوجودي لهذا الإنسان. وإن البحث في هذا العنصر النفسي لا يتم إلا بصورة نفسية ذهنية صرفة، ذلك حسب ما توصلت إليه البحوث النفسية.

إن كل المدارس التي ترى أن الصراع بين علم الاجتماع وعلم النفس قائم فقط في ميدان العلوم الإنسانية، وعلى الخصوص في مجال الفن والأدب، كالسريالية (فوق الواقعية) التي ترجع القدرة إلى علماء النفس، والواقعية الاجتماعية (الاشتراكية) التي تحيل النفوذ والسيطرة في هذا المجال إلى علماء الاجتماع؛ كلها تعلم مدى تأثير ذلك في التأسيس الواقعي لنظريات العلوم الإنسانية وتأثيره، وكذلك في التجلي الفني في جميع اتجاهاته الشعرية

والمسرحية والتشكيلية والنحتية. كما يظهر الشيطان، باعتباره عنصراً مؤثراً وفاعلاً من الناحية النفسية والروحية، في الشؤون والميادين السياسية والاجتماعية، وذلك بقليل من الغموض والعمق.

إن موضوع الإنسان في الفن الإسلامي المقدس، وخصوصاً في ما يتعلق بالفنون التشكيلية، يرتبط بشكل رئيسي بمصير مجتمع العدل الطوباوي الذي تم تصويره بشكل مثالي محض لا يمت إلى الواقعية بصلة. ويقدم هذا الفن الإنسان بصورة انتزاعية يشبه عبرها الورقة المستخلصة الرقيقة المنحنية كهامة شجرة السرو، مشيرة بذلك إلى الخلود، ودالة على الحركة العشقية نحو الله دون أي مانع أو رادع. ومثال ذلك نراه في الرسوم التجريدية الهندسية والرقوش النباتية التوريقية المرسومة على جدران أو قباب المساجد أو دفوف الكتب.

وفي الظروف المعاصرة المحلية والدولية يحتاج تصوير التناقض بين الإنسان والشيطان، مع ما يحتويه من جمال وقبح وملاحة ومرارة، إلى طرح فني تشكيلي جديد، لأنه لم يعد باستطاعة الصورة التجريدية المحضة مواجهة هذه الظروف، على الرغم من أن الإنسان المجرد في الفن الديني الإسلامي المقدس يمثل عين الجمال والقرب الذي لا غربة فيه ولا فراق. وما يؤيد هذه النظرية التصوير القرآني الذي قدم لنا حضور التضاد الموجود في الشخصيات المختلفة مراراً وتكراراً. وفي الواقع، فإن السعي في إظهار الشخصيات (الملامح) والوجوه يهدف في سيرورته إلى المطابقة بين هيئة هذه الشخصيات ومعناها الماورائي الذي يدل على السير النزولي (الهبوطي) للغربة أو على السير الصعودي (القرب إلى الله).

إن إيجابية الوجوه أو سلبيتها تتشكل بناء على المعنى الذي يستهدفه أصحاب هذه الوجوه (الفنانون). فالمجرمون يُعرفون بسيماهم الدالة حكماً على ما اقترفته أيديهم، والمؤمنون يُعرفون بما تحمله تقاسيم وجوههم وما تبطنه من تطلع نحو الله والقيم الإلهية والسعادة والطمأنينة الناتجة من إيمانهم بهذه القيم «يُعرف المجرمون بسيماهم»[٣٢].

«سيماهم في وجوههم من أثر السجود»[٣٣].

«تعرف في وجوههم نضرة النعيم»[٣٤].

«وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة»[٣٥].

فالقرآن عبّر عن هذه الوجوه في مواضع كثيرة بالتفصيل. ولدراسة ذلك والبحث فيه يحتاج إلى إفراد فصل خاص أوسع وأشمل، حتى نستطيع من خلال ذلك الاهتمام أكثر بعملية رسم الصورة الإنسانية وما يتعلق بالوجوه الإيجابية والسلبية.

يحتاج الفن الإسلامي إلى تجربة جديدة في الفنون التشكيلية، لأن كثيراً من التحريمات السياسية والدينية قد زالت عن النشاطات الواقعية، ووضحت استعمال التشكيل إلى حد كبير.

المصادر:

(١) الشاكتي: نوع من عبادة الآلهة المؤنثة... هذه الآلهة تتم عبادتها بطريقتين، فهي إما أن تأخذ شكل الإله الأم التي حازت على كثير من التقدير والاحترام عند العظماء والمفكرين في الهند من أمثال الشاعر (طاغور) أو أن تكون معبرة عن طقوس وشعائر خفية وغير أخلاقية.

(٢) Hürlimann, Martin, India, P.14.

(٣) Intuitive insight.

(٤) **سورة فصلت**، ٥٣.

(٥) Spiritual experience.

(٦) Intuitive experience.

(٧) Sensible experience.

(٨) كلمة الفلاح في القرآن الكريم ذات معان عدة، منها البذر والنمو، كما أنها تتضمن المعنى الرمزي للزراعة.

(٩) Oneness

(١٠) Immortality.

(١١) **الشمس**، ٩.

(١٢) Divine Inspiration

(١٣) **سورة الشمس**، ٧-٨.

(١٤) **سورة الشمس**، ٩.

(١٥) **سورة الشمس**، ١٠.

(١٦) **الحشر**، ٩. **التغابن**، ١٦.

(١٧) يقول صدر المتألهين الشيرازي: قوام «النفس» بأمرين هما: العبودية لله وربوبيته، ومع معرفة كهذه تتكون «النفس» أو «الذات».

(١٨) **البقرة**، ١٦٥.

(١٩) تولستوي، ليون: **هنرچيست** (ما الفن)، ص ١١٠-١١٧.

(٢٠) **الروم**، ٥٠.

(٢١) سبك استعلائي، **در هنر سينما** (الأسلوب الاستعلائي في فن السينما)، ص ١٢.

(٢٢) **الحج**، ٤٦.

(٢٣) **فصلت**، ١١.

(٢٤) **الرحمن**، ٦.

(٢٥) **الإسراء**، ٤٤.

(٢٦) جوادي آملي، عبدالله، **تفسير موضوعي قرآن مجيد**، ص ٢٧٣-٢٨٥.

(٢٧) **الأنعام**، ١١٥.

(٢٨) **الرحمن**، ٧-٨.

(٢٩) يعتقد المفكر اللبناني سمير الصايغ بالاختلاف بين فن التوحيد وفن التجريد، ولا يعتقد بتساوي التجريد والتوحيد، انظر كتاب: **الفن الإسلامي**، هامش فن التوحيد، ص ١٢٦.

المصادر:

(٣٠) الجدير بالذكر أن منع رسم الحيوانات بصورة واقعية يشكل أحد أسباب التجريد في الفن الإسلامي.

(٣١) **البقرة**، ١٨٦.

(٣٢) **ق**، ١٦.

(٣٣) **الرحمن**، ٤١ .

(٣٤) **الفتح**، ٢٩.

(٣٥) **المطففين**. ٢٤.

(٣٦) **القيامة**، ٢٢.



د. يوسف بكّار*

رباعيات الخيّام بعين مصطفى وهبي التل

أول ترجمة عربية جَسور عن الفارسية

ليس بخافٍ أن عمر الخيام والرباعيات المرفوعة إليه كانا في رأس اهتمامات مصطفى وهبي التلّ الأدبيّة والفكرية. وكان اهتمامه، في بداياته، مغموساً بالحماسة والاندفاع والتخيّل وقبول كل شيء مرفوع إلى الخيّام وبلعه دون ماءٍ. لكن ما أن جعلت رؤيته للخيام والرباعيات تتضح وادركه لهما يتعمق حتى أخذت آراؤه تتدرج نحو آفاق علمية أرحب في التعرّف على الرجل وفكره من خلال رؤى جديدة شرعت تتكشف له في الرباعيات، ومن خلال آثار أخرى بدأ يطلع عليها، وخاصة بعض «جوابات الخيّام الفلسفية» إلى من سأله عن أمور تتصل بالخلق والخالق والكون والتكليف، هي التي هشّ لها حين اهتدى إليها بمساعدة صديقه محيي الدين صبري الكردي[1]، فراح يتباهى بأنه اكتشفها، ثم زفّ إلى الناس خبرها، وقرأ لهم فقراً منها في محاضرته «عمر الخيام وموسى بن ميمون» التي ألقاها في «الندوة الأدبية» بعمّان والتي ما زالت مخطوطة؛ ومن خلال ما تفتحت عليه عيناه من أخبار ذات دلالات مغايرة عن الخيام في بعض أقدم المصادر التي أوصلتها إلينا، مثل **نزهة الأرواح** للشهرزوري. وما قرأه في بعض شعره العربي الذي يوحي في مجمله، فيما أزعم، برؤية للخيام غير تلك التي تقولها الدلالات الظاهرية المشحون بها عدد كبير من رباعيات لم يستطع أحد، إلى الآن، أن يستصفي منها رباعيات الخيام الحقيقية الأصيلة.

هذه الترجمة، التي ظلّت متروكة ما يزيد عن ستين عاماً، أثر آخر من آثار شاعرنا النثرية الإبداعية، وهي أول محاولة أردنية[2] لارتياد آفاق الخيّام التي كانت وما زالت محفوفة بالأخطار والصعاب جرّاء الفهم القشري الظاهري الذي جرّته على الخيام رباعيات قد يكون بريئاً من عدد غفير منها. وهي أيضاً ثامن ترجمة عربية تلت المختارات التي ترجمها كل من أحمد حافظ عوض (١٩٠١)، وعيسى اسكندر المعلوم (١٩١٢)، ووديع البستاني (١٩١٢)،

* أستاذ النقد الأدبي بجامعة اليرموك، إربد، الأردن؛ نائب رئيس الجامعة سابقاً.

وعبد اللطيف النشّار (١٩١٧)، ومحمد السباعي (١٩٢٢).

والترجمة، إلى جانب أهميتها وترتيبها التاريخي هذا، بغض النظر عن مدى ما أصابه المترجم من توفيق «ترجمي» و «فني»، هي أول تجربة عربية جسور يترجم صاحبها «مختارات» مما يسمى «رباعيات الخيام» عن لغتها الأم، في حين كانت ترجمات الذين سبقوه عن ترجمات إنكليزية، أبرزها منظومة فيتزجيرالد المشهورة، وفي حين أن أكثر من ثلثي الترجمات والمنظومات العربية الستين[٣] للرباعيات عن غير «اللسان» الذي نظمت به.

إنّ ريادة التلّ المبكرة ودلالاتها التاريخية والفنية والعلميّة، بالنسبة لزمانه هو، هي التي قوّت من عزمي على التصدي لأثره هذا وتحقيقه، لأتيح لترجمته أن تأخذ مكانها بين الترجمات العربية الأخرى، وهذا هو الهدف الأبعد الذي رمى إليه الدكتور سعيد التل حين أعطى عيسى الناعوري أصول ترجمة والده المخطوطة التي لم تبرح حمى «مكتبة الجامعة الأردنية» بعمّان و «مجموعاتها الخاصة» بالتحديد. وقد يكون من حقّي أن أبوح، بعيداً عن أيّ منٍّ أو مباهاة، بأنني، وأنا الذي أعرف لغة الرباعيات معرفة تختلف عن معرفة المترجم لها، أنني بذلت غير يسير من الجهد في سبيل هذه الترجمة وفي غير ناحية.

أولاً، المترجم ـ معالم عامّة

هو «مصطفى وهبي» بن صالح بن مصطفى التل. لقبه «عرار»[٤]، وكنيته «أبو وصفي»[٥]. شاعر أردني من أسرة معروفة، ولد بمدينة «إربد» بشمال الأردن في ٢٥ أيار / مايو ١٨٩٩[٦]، وتوفي فيها في ٢٤ أيار/ مايو ١٩٤٩. أنهى تعليمه الابتدائي في إربد، وغادرها عام ١٩١٢ إلى دمشق ليواصل تعليمه الثانوي، فالتحق بمدرسة «عنبر»، غير أنه نفي إلى «المكتب السلطاني» ببيروت، ثم أُعيد إلى دمشق، لكنه طرد، مع عدد من زملائه، في السنة الأخيرة إلى حلب، حيث أنهى دراسته في «المدرسة التجهيزية» عام ١٩٢٠. وتُعْزى أسباب نفيه وطرده إلى مشاركاته الطلابيّة السياسية ضد الأتراك. وقد تخلّل هذه المدة فترات انقطاع عن المدرسة، إذ عاد إلى إربد صيف عام ١٩١٦، فأجبره والده على العمل في مدرسة خاصة كانت له، ثم وافق على عودته، فغادر إربد مع صديقه صبحي أبو غنيمة في ١٩١٧/٦/٢٠ إلى استانبول هذه المرة، لكنه لم يوفق، فاتجه إلى عربكير في العراق، حيث كان عمه علي نيازي قائم مقام فيها. وعمل في التعليم شهوراً وتزوج زوجه الأولى[٧] منيفة بنت ابراهيم بن بابان أخت زوج عمّه. وهناك ولد ابنه البكر وصفي[٨]، لكنه ترك عربكير وعاد إلى إربد في ١٩١٩/٤/٧. ثم تركها إلى دمشق فحلب لإتمام دراسته الثانوية. ودرس، وهو في خضم الحياة والعمل، «الحقوق» ونال إجازة المحاماة عام ١٩٣٠.

قضى عرار نحو عشرين سنة من عمره موظف دولة، إذ عمل معلماً في مناطق متفرقة من

وطنه، أبرزها إربد والكرك، وعمل مفتّشاً[٩] لفترة قصيرة، ثم حاكماً إدارياً (مدير ناحية) لثلاث نواحٍ في الأردن: وادي السير (بالقرب من عمّان)، والزرقاء، والشوبك، ومتصرفاً للواء البلقاء (محافظة البلقاء اليوم ومركزها السلط)، وعمل فترات في القضاء مأمور إجراء في إربد وعمان، ورئيس كتّاب محكمة الاستئناف، ومدعي عام (وكيل نيابة) السلط، ومساعد النائب العام بعمان، وعمل، كذلك، «رئيس تشريفات» في «الديوان العالي» آنذاك. وأعدّ البدوي الملثم قائمة طويلة بكلّ الوظائف التي شغلها الشاعر وتواريخها[١٠].

اقترنت هذه الفترة من حياته، كذلك، بنوبات من العزل والطرد والسجن والنفي (في الداخل والخارج) لأسباب شتّى. ووصف محمود المطلق هذه المرحلة، فقال[١١]: «لقد كانت حياة مصطفى سلسلة من المفاجآت والتقلبات. فمن الوظيفة إلى السجن ومنه إلى المحاماة ثم إلى الوظيفة ثانية، ومنها إلى المحاماة أو السجن. وهكذا قضى حياته القصيرة في حركة دائبة لا تعرف الهدوء أو الاستقرار». وقال هو نفسه[١٢]:

فمن سجن إلى منفى	ومن منفى إلى غُرْبهْ
ومــن كــرّ إلــى فــرّ	ومن بلوى إلى رهبه
فبي من كلّ معركة	أثرتُ عجاجها نُدْبه

وظل، منذ عام ١٩٤٢ حتى وفاته، يمارس المحاماة في عمان. وقد شارك صديقه محمود المطلق، لفترة، في مكتب واحد.

كان مصطفى، فضلاً عن تحصيله الرسمي المدرسي الثانوي وإجازته في الحقوق، يعرف الفارسية والتركية معرفة قال هو عنها: «فأنا قبل كلّ شيء لست متضلعاً من الفارسية لدرجة تجعلني أسلم من العثار في النقل. فمعرفتي لغة الرباعيات تنحصر في اتقاني قواعدها الصرفية والنحوية فقط، واقتنائي معجم فارسي (كذا) أستعين به أكثر من عشرين مرّة في ترجمة كلّ رباعيّة. لذا لا تراني أُحسن الإنشاء ولا المكالمة بالفارسيّة، كما لا أستطيع فهم أيّ كتاب أقرأه بها - خلا رباعيات الخيام - إلاّ بصعوبة زائدة... إني أتقن اللغة التركية اتقاناً لا بأس به. واللغة التركية، كما لا يخفى على من عرفها، تتألف من ثلاثة أثلاث أحدها فارسي، كما تتألف الفارسية من ثلاثة أحدها عربي...».

ولقد حاول، مع هذا، قرزمة النظم بالفارسية[١٣]، وترجم عنها، واهتمّ بشعراء فرس آخرين غير الخيّام[١٤]. أما التركية، فترجم عنها بعض الشعر[١٥] والقصص، وكان ينوي ترجمة بعض كتب القانون[١٦]. وثمة إشارات مقرونة بالتحفظ والحذر إلى معرفة ما له بالفرنسية والقليل الذي ترجمه عنها.

أمّا ثقافته العامة واطلاعه المعرفي، فإن لمحمود المطلق والبدوي الملثم، وقد كانا أكثر

أصدقائه قرباً منه ومعرفة به، فيها رأيين مختلفين. ففي حين يرى الأول أنه لم يكن «واسع الثقافة والاطلاع والمعرفة، وإنما كانت معارفه بسيطة وثقافته محدودة... ولم يحاول في ما بعد أن يوسّع ثقافته كثيراً وأن يطلع على المذاهب الفكرية الحديثة في العلوم والفنون والآداب. ولهذا كان مستوى ثقافته أقلّ كثيراً من مستوى ذكائه الفطري...»[17]، يقول الآخر:[18] «وعلى مدى معرفتي الطويلة بعرار أُقرّر للتاريخ أمراً لا بدّ من تقريره والتنويه به، وهو أنه كان على جانب عظيم من سعة الاطلاع والأُفق، وكثيراً ما كانت تدور بيننا مساجلات حادّة في نظريات داروين وسبنسر وتعاليم تولوستي ولينين والتطور الاجتماعي، وأصل الحياة والكون وأمواج النور والظواهر الجوّية... والجنة والنار، فكان مصطفى الفارس المجلي، يدلك على هضم النظريات الحديثة مكتبة حافلة بأمهات الكتب الصفراء والبيضاء يوم كان شرقَ الأردن في قحط من الكتب والمجلات حتى الصحف السيّارة...». أمّا من درسوا الشاعر وكتبوا عنه، بعد ذلك، فمنهم من تابع المطلق[19]، ومنهم من أيّد العودات[20]، ولكلّ أدلته وحججه.

ليس ببعيد أنه كان لعدم صفو الحياة الأسرية بين والديّ الشاعر وفشلها بآخرة وانبجاس ذلك عن علاقة غير طبيعية مع والده، دخْل كبير في شخصيته وما اتصف به وفي مذهبه العام وسلوكه في الحياة. يقول صديقه المرحوم الدكتور صبحي أبو غنيمة:[21] «... وإن الإثارة التي جعلت عراراً ينهزم في معركة الحياة فينتحر انتحاره البطيء بالخمرة، والشذوذ في سلوكه وحبّه وكرهه هو طلاق أمه وزواج أبيه من امرأة جديدة...».

ويتلخص الإطار العام لما شبّ عليه وشاب من فكر وفلسفة حياة بأكثر ما في قوله هو[22]: «... وقد فاتني أن أُخبركم أني رجل طروب، وأني في حياتي الطروبة أفلاطوني الطريقة، أبيقوري المذهب، خيّامي المشرب، ديوجني المسلك؛ وأنّ لي فلسفة خاصة هي مزيج من هذه المذاهب الفلسفية الأربعة... فأنا أكيّف حياتي وفقاً لمقتضيات هذه الفلسفة التي ابتدعتها لنفسي بنفسي غير حاسب لأحد، غير الله، حساباً وضارباً بكل الاعتبارات القشريّة التي تواضع عليها الناس عبر الحائط، ليقيني أن معظمهم يضمرون غير ما يظهرون، وأن لا صلة بين حقيقتهم الراهنة وبين (كذا) ما عرفهم الناس عليه من أوضاع:

فلله عندي جانب لا أُضيعه ... وللّهو منّي والصبابة جانب

قلت: «الصبابة» ولم أقل «الخلاعة» لا لأحمل المستمعين على اعتباري من أولياء الله الصالحين، بل لأقرّر الحقيقة فحسب. فأنا طرّاد هوى يفتنني الجمال أينما كان. فالحسن، بنظري، هو مصدر كل خير؛ والخير، عندي، هو أصل كل لذّة»[23].

خلّف مصطفى، غير ترجمة الرباعيات، ديوان شعر، وعدداً من الآثار النثرية المتنوعة مطبوعة ومخطوطة ومفقودة: ديوان شعره الوحيد **عشيّات وادي اليابس**[24] معروف. وقد

طبع - إلى الآن - ثلاث طبعات مختلفات: الأولى طبعة صديقه المحامي محمود المطلق (١٩٥٤)؛ والثانية طبعة الدكتور محمود السّمرة (عمّان ١٩٧٣)، وهي تحتوي على ٣٣ قصيدة ومقطعة جديدة، وإن تكن خمس منها ليست للشاعر[٢٥]. أما الأخيرة، فطبعة زياد الزعبي (١٩٨٢)، وهي - حتى الآن - أكمل طبعات الديوان وأغناها، لاعتماد محققها على أوراق ومخلّفات جديدة للشاعر.

الجانبان الذاتي والغيري بارزان ومتداخلان في شعر التل الذي رسم، بموضوعاته المختلفة، صورة صادقة لنفسه وأفكاره وأطواره والواقع الذي عاشه سياسياً ووطنياً واجتماعياً، وعبّر عن أصالة انتمائه لوطنه وحبّه إيّاه[٢٦]. ومن السمات البارزة، فنيّاً، في شعره المسحة الشعبية في الألفاظ والتعابير والأمثال، ومصطلحات «الوظيفة» المتعددة وألفاظها. ومن أبرز آثاره النثرية المطبوعة في كتب أو كتيبات: بالرفاه[٢٧] والبنين - طلال (عمّان ١٩٣٤ - بالاشتراك مع خليل نصر صاحب جريدة الأردن آنذاك)؛ والأئمة من قريش (عمّان ١٩٣٨)؛ وأصدقائي النّور (رسالة منشورة في كتاب: **عرار شاعر الأردن**، ص ١٢٥ - ١٣٧)؛ و**أوراق عرار السياسيّة**. ويضمّ هذا الكتاب عدداً كبيراً[٢٨] من المقالات السياسيّة التي كتبها الشاعر في جريدة **الكرمل** التي كانت تصدر في مدينة حيفا بفلسطين المحتلة. وقد جمعها وقدّم لها محمد كعوش[٢٩].

وثمة مقالات وقصص مؤلفة ومترجمة في موضوعات شتّى نشرها الشاعر في مجلات زمانه وجرائده، وذكرها زياد الزعبي وأشار إلى محتوى كلّ منها وفكرته[٣٠]. وثمة عدد كبير من الآثار المخطوطة مقالات ودراسات وقصصاً ورسائل (أو مسودات رسائل) مما عثر عليه زياد الزعبي، فضلاً عن مجموعة من آثاره المفقودة[٣١]. ومن بين الآثار المخطوطة ثلاثة مقالات تتصل بالخيام «الخيام: توطئة»؛ و«عمر الخيام وابن ميمون» و «الروح الشعرية». وقد زوّدني الزميل الدكتور زياد الزعبي، مشكوراً، بصور عنها. ولا يخلو بعضها من فائدة عن الخيام والرباعيات إذا ما روعيت الحقبة الزمنية التي كتبت فيها. فأما الأول، فيتحدث عن العوامل التي يتأثر بها الأدباء والمفكرون عموماً، وعن جغرافية البلاد التي أنجبت الخيام. ويبدو أن مصطفى كان ينوي أن تكون هذه الصفحات «توطئة» لكتاب كان يعدّه عن الخيام، لأنه يقول «ولما كان موضوع كتابنا هذا (عمر الخيام)... لم نرَ بداً، قبل البدء بسرد سيرته وبحث شاعريته وما نحاه في فلسفته التي ضمّنها رباعياته من المناحي، من وضع صورة موجزة نصب أعين القراء للمحيط المادي والمعنوي والوراثي الذي أثّر في نفس الخيام، لاعتقادنا أن هذه الصور ستكون خير عوْن للقارئ على فهم مسالك الخيّام الفلسفيّة...». على أن السبب الذي دفعه إلى تأليف هذا الكتاب، الذي لا يعرف من أمره شيء، هو أن الخيام «أحد النوابغ الذين قضى إهمال المؤرخين في الشرق، وأخذهم بقشور الأخبار دون لبابها من غير تمحيص

أو تدقيق، وما لحق بالكتب الشرقية من الضياع والعفاء، قضى بأن تحوم حول شخصيته الشكوك والشبهات، وأن تكون سيرته مسرحاً لمتضارب الأقوال، وعقيدته موضعاً لمتباين الآراء...».

أمّا الثاني، الذي كان محاضرة في «الندوة الأدبية» بعمّان، فأبرز ما فيه أن صاحبه أفاد مما جاء في كتاب **نزهة الأرواح** للشهرزوري عن الخيام ومن بعض شعره العربي، ليطعن في أقوال شانئ الرجل فيه من خلال الرباعيات فقط بأنه كان «سكيراً عربيداً وابن حانٍ ونضو ألحان» لينتهي إلى أن الخيام كان «حرّ التفكير، وكانت حرية فكره على الطريقة التي جعلته نظيراً لابن سينا وابن ميمون». وأمّا الأخير، الذي يبدو أنه كان محاضرة كذلك، فحاول أن يتكئ فيه على «صورة» في ترجمة محمد السباعي للرباعيات ليكشف من خلالها عن لبّ المقصود بالروح الشعرية.

ثانياً، الترجمة

جذور الفكرة ومحركاتها

نشأ المترجم الشاعر في بيت كانت تهبّ عليه نفحات شرقية إسلامية غير عربية. فوالده اشتهر بـ «رطانة بعض العبارات التركية والفارسية»[٣٢]، واسمه «أُضيفت إليه كلمة (وهبي) على الطريقة السائدة بين العائلات التركية، وهي إضافة اسم إلى اسم الوليد الأصلي»[٣٣]، وزوجه الأولى «أم وصفي» كانت عراقية كردية، وكان، في ما وصف هو نفسه «خيّامي المشرب». وينسب إليه أنه كان يرسل شَعْره على كتفيه «تأسيّاً بعمر الخيام»[٣٤] في ما كان يقدّر ويُذكر أن عينه وقعت، أول مرة، على ترجمة «رباعيات الخيام» لوديع البستاني عند صاحب «حانوت»[٣٥] في إربد كان يتردد عليه قبل أن يلتحق بمدرسه عنبر بدمشق، وتمكن من قراءتها في الحانوت لأن الرجل لم يسمح له بالكتاب؛ تلك كانت بداية تعرّفه على الخيام والرباعيات وما فيها من خواطر وأفكار راقت له وأعجبته. ويقال إنه نظم، بعد أيام من قراءة ترجمة البستاني[٣٦]، قصيدة في «مخمّسات» تأسّى فيها بالخيام وتأثر بالرباعيات[٣٧]، وحاول، عبثاً، أن يضع يده على الترجمة، لأن صاحب الحانوت لم يمكنه من ذلك، وظلّ يتطلع إلى اقتنائها حتى تحقق مراده في دمشق، بعد أن بارح إربد إلى مدرسة عنبر، حيث عثر، بعد بحث مضْن، على نسخة بمكتبة في «سوق المسكيّة». لكن الورّاق رفض أن يبيعه إيّاها، وإن وافق، بعد إلحاح، على أن يعيرها له مقابل «كفالة خطيّة»! فأخذ عرار النسخة وأعطاها زميله وصديقه سامح حجازي الذي نقلها «بخطّه الجميل ودفعها مجلّدة إلى عرار، ومن توّه أخذ يحفظها عن ظهر قلب»[٣٨].

واعترف عرار، من بعد، بالأثر الخيّامي فيه من خلال ترجمة البستاني بخاصة، فقال:

«سبق لرباعيات الخيّام أن استهوتني عندما اطلعت، قبل سنوات، على ترجمتها الشعرية والأولى في بابها بالعربية بقلم الأديب وديع البستاني لدرجة جعلتني أُعنى بصورة خاصة بلغة قوم الخيام عناية متعتني بقراءة الرباعيات بلغتها الأصلية، وزادتني رغبة في العكوف على تلاوة كلّ ما كتب عن الخيام ورباعياته في اللغات الثلاث التي أفهمها! وهي العربية والتركية والفارسيّة، حتى كان لي من درسي وبحثي هذا رأي خاص ببحث الخيام ومذاهبه ونواحيه الفلسفية التي اعتنقتها حيناً من الدهر، وبتعريب رباعياته تعريباً سوياً يختلف عن غيره من الترجمات المأخوذة عن نقول إفرنجية، ويمتاز عليها بكونه مستمداً من لغة الخيام الأصلية...»[٣٩].

وجعلت روح الخيام وأفكاره تترك آثارها في الرجل في مسلكه وإبداعاته الفنيّة شعراً ونثراً غير مدرك - في المراحل الأولى بخاصة - لقضية الشك في صحة نسبة كلّ ما وصل إلينا من رباعيات مرفوعة إلى الخيام. وانتقلت عدوى شغفه بالخيام والرباعيات إلى خلاّنه وندمانه وثلّة «كوخ الندامى» بعمّان حيث كانوا يسمرون ويترنمون بالرباعيات[٤٠].

البداية والامتداد

تطوّر عشق مصطفى وهبي التل للخيام وتأثره به إلى ترجمة مختارات من الرباعيات يعود تاريخها إلى عام ١٩٢٢، إذ ترجم مئة وخمساً وخمسين (١٥٥) رباعيّة اشتمل عليها المخطوط الذي أحققه. ويقول البدوي الملثم: «وبعد أن دفعت فصول هذا الكتاب[٤١] إلى صفّاف الحروف، وافاني الأستاذ معن التل ابن شقيقة شاعرنا بدفتر قديم تضمن ترجمة ثانية[٤٢] لرباعيات الخيام بقلم عرار نقلها في عام ١٩٢٢[٤٣] عن كتاب بالتركية مطبوع في الأستانة بعنوان (رباعيات الخيام) بقلم الأديبيّن العالمين حسين دانش[٤٤] (أستاذ الأدب الفارسي في دار الفنون بالأستانة سابقاً) والفيلسوف العثماني المعروف الدكتور رضا توفيق[٤٥]...»[٤٦].
ويقول عيسى الناعوري: «... لم يقدر لهذه الرباعيات أن تجمع في كتاب حتى جاء الصديق الدكتور سعيد التل نجل الشاعر... ينفض عنها غبار الإهمال الطويل... لقد كانت هذه الرباعيات مخطوطة في دفتر قديم، والكثير منها مكتوب بخطّ عسير على الحلّ لكثرة التصحيح والتبديل والحذف والزيادة...»[٤٧].

لكن هل «الدفتر القديم» الذي يتحدث عنه العودات والناعوري هو هو لم يتغير، وإن ثبت عدد الرباعيات عند مئة وخمس وخمسين؟! قد يكون أحدهما نسخة منقحة عن الآخر، لأن ثمة اختلافات، بل تهذيبات بين ما في المخطوط، وما هُذّب منه ونشر في مجلة **مينرفا**[٤٨] عام ١٩٢٥. وقد مثّل البدوي الملثم لشيء منه بالرباعية التالية؛ فهي في الدفتر الذي أعطاه إيّاه معن التل: «أبصرت في برج قلعة (طوس) طيراً هائلاً ينظر إلى جمجمة الملك (كيكاوس)، وهي بين

مخالبه، ويقول: أين رنين الأجراس، والمعازف التي كانت تصدح أمام بابك أيّها الملك في كلّ يوم؟!». وهي، منشورة في **مينرفا**[٤٩] (١٩٢٥): «أبصرت عملاقاً من الطير فوق برج القلعة الخربة في مدينة (طوس)، آخذاً بمخلبيه جمجمة الملك (كيكاوس) يسائلها، ويقول: يا آسفاه، أين تلاشى رنين الأجراس، وأين مضى أنين المعازف التي سمعناها تصرخ في باب قصرك؟!». وهي في مخطوطة نشرتنا هذه[٢٧]: «لقد أبصرت في برج قلعة طوس طيراً هائلاً، ينظر لجمجمة الملك (كيكاوس)، وهي بين مخالبه، ويقول: أين ذهب رنين الأجراس؟ وأين اختفى صوت المعازف، التي كانت تصدح أمام بابك أيّها الملك كلّ يوم؟!»

الفروق، إذاً، فروق تنقيحيّة عارضة، لأن الشاعر المترجم لم يكن يأبه للتنقيح[٥٠]، وإن يكن من شرائع الفن الذي لا مندوحة للفنان فيه من مراجعة إبداعه ومعاودة النظر فيه قبل أن يظهره للناس ويضعه بين أيدهم فيخرج من حوزته هو إلى حظائر الآراء والنقود المختلفة وفاقاً لاختلافات ميول أصحابها ومساربهم النقدية.

ظلّت الترجمة المخطوطة مركونة عند صاحبها حتّى عام ١٩٢٥، إذ طلع الشاعر اللبناني المعروف أمين نخلة[٥١] (١٩٠١-١٩٧٦) بترجمة نثرية لاثنتي عشرة رباعية تولّت **منيرفا** نشرها[٥٢]، وقدّمت لها بهذه المقدمة: «يقبل الكتّاب في الشرق اليوم على ترجمة آثار عمر الخيام الشاعر الفارسي الفلكي إقبالاً دلّ على أن آثار العواطف في الأدب عامة، والشعر خاصة، أدعى للخلود وأدلى به، وإن مرّ عليها وعلى صاحبها الزمن. وقد عرفنا من كبار الأدباء الذين تصدوا لترجمة رباعيات الخيام: البستاني، فأحمد رامي[٥٣]، فمحمد السّباعي[٥٤]. إلاّ أن هؤلاء قد ترجموها من الشعر إلى الشعر، وهي طريقة في الترجمة لا نراها تحتفظ بروح المؤلف كلّ الاحتفاظ لما يحول من الإعنات في القوافي والأوزان بين المؤلّف والمعرّف. ورأى ذلك الأديب المعروف أمين نخلة شاعر الشباب، فعُني بتعريب الرباعيات إلى النثر في كتاب لا يزال خطيّاً[٥٥]، فجاء وافياً بالغاية المذكورة، ملافياً ذلك النقص. وسوف يكون، بالطبع، لترجمته الجديدة من المكانة ما هو خليق بشهرة الواضع وبراعة المعرّب. وقد أتحفنا صديق المجلة بهذه المقتطفات[٥٦] البليغة من ترجمته فنزفّها إلى القرّاء الذين سيقدرونها قدرها العالي». ووقع عدد **منيرفا** هذا بيد عرار، ففوجئ بمختارات أمين نخلة ولم تعجبه، فكتب من إربد نقداً لها ولمقدمة المجلة، كذلك، مشفوعاً بترجمة لما ظنّه أصولاً للذي ترجم أمين نخلة. ولمّا لم يكن مطمئناً إلى أصل واحد بعينه لكلّ رباعيّة مما ترجم نخلة، فقد لجأ إلى «التخمين» وترجم لبعضها غير رباعية واحدة من الأصول الفارسية، واتكأ في نقده على ترجمة وديع البستاني التي حفظها وخبرها جيداً. ومما قاله:[٥٧]. «قرأت ما نشرته مجلة (منيرفا) الغرّاء... تحت عنوان (ترجمة الخيام الجديدة) لشاعر الشباب أمين بك نخلة والمقدمة التي قدّمتها «إلهة الحكمة»[٥٨] لهذه الترجمة الجديدة...». «إن ترجمة الأستاذ أمين بك نخلة

للرباعيات ليست في المرتبة التي توهمتها منيرفا من حيث الاحتفاظ بروح المؤلف احتفاظاً وفّي بالغاية التي لم تفِ بها الترجمات الشعرية، بل الأمر بالعكس... وأظن أن أحسن برهان أُقيمه على صحة زعمي هذا هو إيراد ترجمة شبه حرفيّة للرباعيات التي ترجم عنها الأستاذ أمين نخلة أو خيّل إليّ أنه ترجم عنها...». وهذا ما فعله حقاً. فقد عاد إلى ترجمته المتروكة وحاورها واستلّ منها أكثر ما يحقق له هدفه وأعاد، في ما يبدو من موازنة ما نشر بما في المخطوط، النظر فيه فهذّب وشذّب إلى أن تيسّرت له أربع وعشرون(٢٤) رباعية هي الأصول «التي خيّل إليه» ـ كما يقول ـ أن أمين نخلة ترجم عنها، ثم نشرها في **منيرفا**[٥٩].

ويُفْضي إنعام النظر في هذه الرباعيات إلى أن مصطفى وهبي وُفّق إلى أن يعرف أصل بعض رباعيات نخلة أول مرة، وإلى أن يعرف بعضها من خلال حدْسه وترجمته رباعيتين أو أكثر. بيد أنه لم يوفق إلى معرفة أصل الرباعيّة التاسعة(٩). ويفضي، كذلك، إلى أنّه لم يترجم سوى أصول، أو ما خيّل إليه أنه أصول تسع رباعيّات فقط مما ترجم أمين نخلة، إذ ترك الرباعيات الثلاث (١ و ١٠ و ١١). وأحسب أن السبب في عدم اهتدائه إلى أصول رباعيات نخلة رأساً، وفي لجوئه إلى تخيّل بعضها وتركه ما لم يترجمه منها، لا يعود، كما يقول، إلى أن ترجمة نخلة «تبتعد أحياناً عن الأصل» أو أن «الرباعيات المتحدة معنىً والمختلفة أسلوباً وأداء والمكرّرة... هي كثيرة لدرجة يصعب معها تمييز بعضها عن بعض حتى في الترجمات الحرفيّة البحتة»... إن السبب يرجع، عندي، إلى أمرين مهمين: معرفته المتواضعة «الضئيلة» بالفارسية على النحو الذي وصفه هو ونقلته كاملاً آنفاً؛ والأصل الذي ترجم عنه أمين نخلة مختاراته، فهو، في زعمي، ترجمة فيتزجيرالد الإنكليزية بطبعتها الثانية (لندن ١٨٦٨م). وليت عراراً لم «يتورط» لهذا في موازنة ترجمته بترجمة أمين نخلة!

لم يقف مصطفى عند نشر رباعيات «الرد على نخلة» فحسب، وإنما مضى في إعداد رباعيات أخرى نشرها في المجلة نفسها. فقد نشر عشراً (١٠) في (العدد السابع من السنة الثالثة: ١٥ تشرين الأول/اكتوبر ١٩٢٥، ص ٣٥٥ ـ ٣٥٦)، ونشر في العدد التالي (السنة الثالثة ـ العدد الثامن: ١٥ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٢٥، ص ٤٢١ ـ ٤٢٤) ثماني عشرة (١٨) رباعية أخرى.

وقمين بالإشارة أن البدوي الملثم ضمّن كتابه **عرار شاعر الأردن** (ص ٨٧ ـ ٩٢) كلّ ما نشره التل من رباعيات في **مينرفا**، وأجاز لنفسه أن يتدخل، أحياناً، في شيء من الحذف والزيادة والتغيير تحسيناً لبعض الرباعيات. وقد فعل شيئاً من هذا، كذلك، في مقالي المترجم عن ترجمة أمين نخلة وردّه عليه. ولقد أشرت إلى هذه الأمور جميعاً في مواطنها، مما يغني عن ضرب الأمثلة هنا.

بعد نشر عرار الثماني والعشرين رباعية تلك[٦٠]، ثارت ثائرة الشاعر أمين نخلة واستشاط

غضباً، فبعث إلى صاحبة **مينرفا** رسالة نشرتها في «غربال» المجلة. ومما جاء فيها: «يؤسفني جداً أنني لا أعرف الفارسية لأتمكن من إيجاد خطيئة للسيد مصطفى في ترجمته، ولكن الذي فهمته هو أن الأديب لم ينسب إلى ترجمته الصحة، إلاّ لأنه يترجم بعض تلك الرباعيات حرفياً ترجمة جعلتنا نتساءل: أعربية نحن نقرأ أم فارسية؟!».

ولمّا اطّلع عرار على هذا الكلام ردّ عليه بمقال يبين فيه حدود معرفته اللغة الفارسية والتركية، ويؤكد، وهذا رأيه، أن ترجمته «أقرب الترجمات المعروفة للأصل الفارسي، وأحفظها لأسلوب الخيام»، ويشرح أسباب هذا. وبعد أن قرأ أمين نخلة ردّ «صاحبه»! توقف عن نشر رباعيات أخرى من ترجمته، واكتفى عرار بما نشر كذلك، وتوقفت المساجلة بينهما عند هذا الحد.

الترجمة الحاضرة

منذ توقف مصطفى عن نشر رباعيات ترجمته ظل «الدفتر القديم» / المخطوط، حتى بعد وفاته، مطوياً منسياً لا شأن لأحد به إلى عام ١٩٥٨ عام صدور الطبعة الأولى من كتاب **عرار شاعر الأردن** ليعقوب العودات (البدوي الملثم) الذي فاجأه معن التل، كما مرّ، بالدفتر/المخطوط الذي يضم (١٥٥) رباعيّة. حتى المحامي محمود المطلق رفيق الشاعر وأول من نسّق ديوانه **عشيّات وادي اليابس** ونشره عام ١٩٥٤ بعد أن جمع له مريود التل ابن الشاعر الأشعار من الصحف ومخلفات والده، يبدو أنه لم يكن يعلم بأمر «الدفتر» / المخطوط، لأن كلّ ما يذكره عن ترجمة الرباعيات لا يزيد عن الإشارة إلى ما نشر منها فحسب. يقول: «وقد ترجم مصطفى، وهو في الشوبك، قسماً من رباعيات الخيّام عن الفارسية، ونشر الترجمة - وهي ترجمة نثرية - في مجلة مينرفا اللبنانية»[٦١]. ومرّت السنون، والترجمة/المخطوط على حالها، إلى أن أعطى الدكتور سعيد التل في أواخر عقد الثمانينات من هذا القرن[٦٢] عيسى الناعوري، كما سلف، «الدفتر القديم»، ليتدبر أمره ويخرج الترجمة «إلى النور، لتأخذ مكانها بين الترجمات العديدة الأخرى في المكتبة العربية»[٦٣]. وتولى الناعوري مهمة إخراجها وتحريرها لتأخذ مكانها في مكتبة «الجامعة الأردنية»، وهما الآن فيها برقم (٥٥١١ و ٨٩١م.خ.).

نسخة الناعوري

تضمّ النسخة التي أعدها الناعوري رباعيات الدفتر المئة والخمس والخمسين فقط، نقلها كما هي: كلّ رباعيّة في أربعة سطور وفق الترتيب الذي سار عليه المترجم نفسه. إذ كان يضع خطاً مائلاً(/) بعدما كان يخيّل إليه أنه نهاية الشطر في الرباعيات الأصل، وإن لم يوفق فيه في الرباعيات كافة. وكان من البديهي ألاّ يفطن الناعوري إلى هذا الأمر، لأنه لم يكن يعرف

الفارسيّة. غير أنه تدخل، كالبدوي الملثم من قبل، ولكن في مواطن قليلة أيضاً، في تغيير بعض الألفاظ في عدد من الرباعيات لأمور تتصل بالنحو والمعنى وغيرهما. وقد أشرت إلى هذه الأمور وإلى اختلاف القراءة - أحياناً - في هوامش الرباعيات التي وقعت فيها[٦٤]. وليت الناعوري والبدوي الملثم لم يلجآ إلى هذا الصنيع، واكتفيا بالتنبيه إلى ما تدخلا فيه.

وصف المخطوطة

صورة المخطوطة، كما مضى، محفوظة بمكتبة الجامعة الأردنية. وهي تضم ترجمة نثرية لمئة وخمس وخمسين رباعية مكتوبة بخط المترجم نفسه. كلّ رباعية في صفحة واحدة، وثمة خطوط مائلة في نهاية كل سطر أو ما خيّل للمترجم أنه كذلك. ولا تخلو الترجمة من شطب وتغيير بعض الألفاظ. وواضح أن المترجم كان ينوي أن يشرح «المفردات» في نهاية كل رباعيّة؛ وقد فعل هذا حتى الرباعية العاشرة، فأبقى بعضها وحذف بعضها، لكنه عدل عن هذه الطريقة بدءاً من الرباعية الحادية عشرة.

منهج التحقيق والعمل

استقرّ عندي أن لمصطفى ترجمة لأربع عشرة (١٤) رباعية أخرى غير التي في المخطوط فاهتبلتها فرصة لإخراجها مع رباعياته. وبيان هذه الرباعيات كالتالي:

- أولاً، عشر (١٠) مما ترجم في الشوبك عام ١٩٢٥.
- ثانياً، ثلاث مما ردّ بها على أمين نخلة.
- وأخيراً، رباعية واحدة وردت في **عرار شاعر الأردن** (ص ٨٤).

وحرصت، لعدم وجود ديوان أو مجموع موثوق موثّق متفق عليه لما يعرف بـ«رباعيات الخيام»، على أن أُخرج هذه الترجمة مع أصولها الفارسيّة. وطفقت أبحث عن الأصل الذي ترجم عنه التل، وهو - كما يذكر البدوي الملثم وعيسى الناعوري بخاصة، الترجمة التركية «رباعيات عمر خيام» لحسين دانش ورضا توفيق، فلم أستطع أن أصل إليه، بل ظفرت ببديله «رباعيات عمر خيام» لحسين دانش وحده، وهو مطبوع باستانبول عام ١٩٢٧، أي بعد خمس سنوات من الطبعة المشتركة[٦٥] (استانبول ١٩٢٢).

الترجمة التركية تضم (٣٩٧) رباعية[٦٦]، لكن مصطفى لم يترجمها جميعاً، بل ترجم (١٦٩) رباعية فقط، أي نحو ٤٣ في المئة. والرباعيات التي ترجمها، وفقاً لترتيب ترجمته في هذا الكتاب، هي الرباعيات ذوات الأرقام التالية على التوالي من ترجمة حسين دانش[٦٧]: (١-٢٤)، (٢٦-٣٨)، (٤٠-٤٤)، (٤٦-٧٤)، (٧٦-١٠٦)، (١٠٨-١٦٠)، ١٩٢، ٢٠٣، ٢٢٦، ١٧٨، ١٧٤، ٢٢١، ٢٢٣، ١٨٦، ١٨٥، ٢٢٢، ٢٥، ٢١٨، ٢١١، ٣٥٣.

وأثبتُّ أصلَ كلِّ رباعية بعد ترجمتها أو ترجمَتيْها إن تكن مما نقّح في حومة الردّ على أمين نخلة أو في «الشوبك»، ونشر في **مينرفا**. ومن هنا حملت بعض الرباعيات ثلاثة أرقام في حين حمل أكثرها رقمين اثنين فقط. وعلى أية حال، فالرقم الأول في الرباعيات المئة والخمسين الأولى هو رقم الرَباعية في المخطوط/الدفتر. أما الرباعيات ذوات الرقمين فقط، فالأول هو رقم الرباعية في المخطوط، والآخر رقم الرباعية الأصل في كتاب حسين دانش. ففي الرباعية (٤/٤) مثلاً، يشير الرقم (٤) الأول إلى رقمها في المخطوط، ويشير الرقم (٤) الآخر إلى رقم الرباعية الأصل في الكتاب المذكور.

أما الرباعيات الثلاثيّة الرقم التي وضع الرمز (م) إلى جانب الرقم الثاني فيها كالرباعيّة (١/١٣م/١)، مثلاً، فيشير الرقم (١) الأول إلى رقمها في المخطوط، والثاني (١٣م) إلى رقمها في **مينرفا** التي رمزت إليها بالحرف (م) فقط لتعني أنها ليست من رباعيات «الردّ على أمين نخلة». ويشير الرقم الأخير (١) إلى رقم رباعية الأصل.

وأمّا الرباعيات الثلاثية الرقم التي أضفت الحرف (ن) إلى الرقم الثاني فيها كما في الرباعية (٢/(٥ن/٢)/٢)، مثلاً، فالرقم الأول (٢) يشير إلى رقمها في المخطوط، والرقم (٥) الأصل في الرقم الثاني كلّه الذي وضع بين قوسين ( ) يشير إلى رقم الرباعيّة في رباعيات «الرد على نخلة» التي رمزت إليها بالحرف (ن) والتي نشرت في **مينرفا** كذلك، في حين أن الرقم الآخر (٢) يشير إلى رقم محاولة المترجم، لأنه لم يستطع، كما تقدّم، أن يكتشف أول مرة أصل كلّ رباعية من رباعيات نخلة، فحاول أن يلتمسه في غير رباعيّة مما خيّل إليه أنه الأصل. ويعني الرقم الأخير (٢) رقم رباعية الأصل. وإذا ما خلا رقم رباعية من رباعيات هذا الضرب من رقم فرعي آخر كالرباعية (٣٥/٣م/٣٦)، فإن (٣ن) تعني أنها من رباعيات الرد على نخلة التي تيقن المترجم من أصلها ولم يطلبها في غيرها. ومهما يكن أمر هذه الأرقام جميعاً، فإن «رباعيات المخطوط» في الرباعيات الثلاثية الأرقام بضربيها ليست الأولى، بل الأخيرة، لأنني رأيت أن أقدّم ما نشر على ما ظلّ مخطوطاً، واكتفيت بوضع هذه العلامة (*) بين الترجمة وأصلها، وبين الترجمة والترجمة الأخرى والأصل.

كلمات أخيرة

عوّلت كثيراً حين درست ما ترجم عرار من رباعيات في كتابي **الترجمات العربية لرباعيات الخيام: دراسة نقدية** على ما نشره منها في **مينرفا**، وهو ما يقترب من ثلث عدد ترجمته كلها، لسببين: الأول أنها نشرت مهذّباً جلّها عما في المخطوط، والآخر أن سبيل الاطلاع عليها أسهل وأيسر.

إن ما قلته ثمة[٦٨] يظل يصدق على رباعيات هذه الترجمة كافة صدقاً يغني عن الإعادة

والتفصيل هنا، ويوجب الإلماع فحسب للانصراف إلى ما لم يقل.

الترجمة حرفية أو «شبه حرفية» كما وصفها صاحبها، بل هي حرفيّة «معجميّة» لا تتخطّى ـ في الغالب ـ المقابلات اللفظية للمفردات الفارسية، وإن لم تضمن الحرفية للمترجم الظفر بالدقة التي سعى إليها وحارب أمين نخلة من أجلها، أو «الجمال الفني»، أو الالتزام بالأصول التي أثقل بعضها حَيْفُ الزيادة والنقص والتفسير. ومُثلُ هذه الأمور ليست قليلة. ولا مندوحة، هنا، من بعض الأمثلة شواهد عليها. فمن الرباعيات الدقيقة شبه الحرفية، مثلاً، الرباعية[٦٩] (٥٥):

لو قضيت عمرك وحبيبةَ قلبك كما تحبّ وتشاء،

وتمتّعت وإيّاها بكلّ ملاذّ الحياة،

فلا مناص لك عن الرحيل من هنا،

ولسوف تعلم، آنئذ، أن حياتك كلها لم تكن إلا أضغاث أحلام!

والرباعية (١٢٧):

هاك يوماً آخر من أيّام عمرنا،

يمرّ مرّ الماء في الأنهار، والريح في القفار،

إنّي وحقّك لن أحمل، ما حييت، هموم يومين:

يوم مضى، وآخر لم يأتِ.

والرباعية (١٤٦):

تعال يا صديقي نهجر هموم الغد،

ونعدّ هذا اليوم غُنْما،

وثق أنه لا يعود فَرْقٌ البتة، بعد رحيلنا عن هذا الدير الخرب،

بيننا وبين من تقدّمنا بسبعة آلاف عام!

أما مناحي تعرض المترجم للزّلل، حسب تعبيره هو، فلعل الأمثلة التالية تكون نماذج دالة على أظهرها حسب. فالرباعية (٢٣)، وهي من رباعيات الرد على أمين نخلة كذلك:

لقد أبصرنا على شُرْفةِ قصرٍ ناطحت ذراه السحاب،

قمريّة تهتف وتقول:

أين تلك الأيام؟ والهفي على تلك الأيام!

وأصلها:

آن قصر كه برچرخ همى زد پهلو

بردرگه او شهان نهادندى رو

ديديم كه بر كنگره اش فاخته اى

بنشسته همى گفت: كو كو كو كو؟

ناقصة في المخطوط وفي الرد على أمين نخلة، لأن مصطفى ترك أو نسي أو أغفل الشطر الثاني عصب الرباعية ومحورها وبؤرتها المركزية، فكسر مفصل الرباعية ونقض وحدتها وهدم ركنها الأهم الذي لا مغزى لها دونه. وليس العبرة في أن يناطح القصر السحاب بقدر ما هي في «القصر الذي عَنَت للوكه رقاب الملوك» ترجمة الشطر الثاني. وهنا يكون لنواح الطائر: «أين، أين، أين، أين؟» معنى ومغزى وغاية. أي: أين هم أولئك، وليس: أين تلك الأيام؟

والرباعية (٥٤):

أنعم النظر فيما ربحته من الحياة تجده لا شيء،

وفيما أحببته من خيرات هذا العمر تجده لا شيء! أليسَ الظَفَر مصيرك؟

لنقلْ إنّك شعلة لَهْو وطرب، أليس الحلم غايتك؟

ولنقل إنك الكأس التي يشرب بها جمشيد، فأنت لا شيء!

وأصلها:

بنگر زجهان چه طرف بربستم، هيچ

وزحا صل عمر چيست در دستم، هيچ

شمع طربم، ولى چوبنشستم، هيچ

من جام جمم، ولى چوبشكستم، هيچ

وترجمتها الدقيقة:

أنعم النظر تر أنني خرجت من الدنيا صفر اليدين،

ولم أجنِ، طوال عمري، شيئاً.

هب أنني شمعة مجالس الطرب، فما جدواي حين أهمد؟

وأنني «جام جم»، فما فائدتي حين أنكسر؟!

أخطأ المترجم في ترجمة الشطرين الأخيرين بعد أن «مطّ» الشطر الثاني. ويرجع الخطأ، وخاصة في الأخير وفي حالات مماثلة كما في الرباعية(٥١)، فضلاً عن ضآلة بضاعة المترجم في الفارسية كما قال هو، إلى نقص في الإطار المعرفي في حقل العمل المترجم، وإن قال «لا أترجم الرباعية الواحدة إلا بعد أن أدرس كلّ ما يمكنني درسه من المواضيع الفلسفية والتصوفية التي أرجح أن الخيام استوحاها معنى رباعياته».

والإطار المعرفي من الركائز التي يلح عليها منظرو الترجمة كثيراً وينادون به شرطاً لازباً من شروط المترجم جنباً إلى جنب مع التمكن من لغتي «المصدر» و «الهدف».

لقد فهم معنى «جام جم» في الأصل بمعناها اللفظي الظاهر، وهو «جام جمشيد» أو «كأس جمشيد»، لكنّ ما يقصد به في لغة المصدر معناه الاصطلاحي، وهو «المرآة» أو «المنظار» الذي كان يرى به جمشيد العالم في ما تروي حكايات «الشاهنامه». ويعرف ب «جام جم» أو «جام جمشيد»، ويقال له «جام كيخسرو» كذلك[٧٠]. ويتردد ذكره في غير موضع من الشاهنامه[٧١] وفي شعر بعض شعراء الفرس الآخرين كحافظ الشيرازي. وهو مذكور كذلك في الرباعية التالية المرفوعة إلى الخيام[٧٢]:

قد ذرعنا الكون. بحثاً دائباً عن «جام جم»

ما قعدنا في نهار أو غفونا في ظُلَم

وسمعنا صفة «الجام» من الأستاذ يوما

فإذا نحن هو «الجام» به الكون ارتسم

وثمة عدد لا يستهان به من الرباعيات تخوّنها النقص، وعدد أطال في رباعياته زيادة وتفسيراً. وخير مثال يجمع بين الظاهرتين الرباعية التالية (٥٣):

لنفرض أنك تَلَوْت سِفْر الحياة من ألفه إلى يائه،

وأنك عُمِّرت مئة عام كما تحب وتشتهي،

ولنفرض أنك عُمّرت مئة عام أخرى كما تهوى وتشاء، فما عسى تكون خاتمة ذلك؟

وأصلها:

دنيا به مراد رانده گير، آخرچه؟

وين نامه عمر خوانده گير، آخرچه؟

گيرم كه بكام دل بما ندى صدسال

صدسال دگر بمانده گير، آخرچه؟

فقد أغفل المترجم ترجمة الشطر الأول كاملاً، وأطال ترجمة الشطور الثلاثة الأخرى إطالة من جنسها. وأحسب أن الترجمة الدقيقة التالية للرباعية تنبئ عن صحة هذا الزعم:

هبك نلت في الدنيا مرادك،

وقرأت صحيفة عمرك كلها

وعُمِّرت، كما تهوى، مئة عام،

ومئة غيرها، فماذا بعد؟!

إن السبب في كل هذا واضح، ومردّه «طبيعة» معرفته اللغة الفارسية واللغة التركية كذلك، إذ لم تتحقق له فيهما، بأية حال، شروط القدماء والمحدثين كالجاحظ، وأتين دوليه Etienne Dolet، ودريدان Dryden، ويوجين نيدا Eugene Nida وبيتر نيو مارك Peter New Mark. وحسبنا أن مصطفى نفسه حدّد مدى هذه المعرفة بصدق، فقال[٧٣]: «... فأنا قبل كل شيء لست متضلعاً من الفارسية لدرجة تجعلني أسلم من العثار في النقل، فمعرفتي لغة الرباعيات تنحصر في اتقاني قواعدها الصرفية والنحوية فقط، واقتنائي معجم فارسي (كذا) أستعين به أكثر من عشرين مرة في ترجمة كل رباعية. ولذا تراني لا أحسن الإنشاء ولا المكالمة الفارسية، كما لا أستطيع فهم أي كتاب أقرأه بها - خلا رباعيات الخيام - إلا بصعوبة زائدة... إني أتقن التركية اتقاناً لا بأس به. واللغة التركية، كما لا يخفى على من عرفها تتألف من ثلاثة أثلاث أحدها فارسي، كما تتألف اللغة الفارسية من ثلاثة أحدها عربي. فمن انضمام معلوماتي الفارسية المستقاة من علمي باللغتين التركية والعربية إلى معلوماتي الخاصة الضئيلة بالفارسية أصرّ على كون ترجمتي أقرب الترجمات المعروفة للأصل الفارسي...». بيد أنه مما يشفع لمصطفى، كذلك، أن ترجمته تنتسب، تقريباً، إلى فترة بواكيره الإبداعية الشعرية التي يكاد الدارسون[٧٤] يحصرونها بين عام ١٩١٢ وعام ١٩٢٠، وهي الفترة التي يستند مخزونه العلمي والثقافي فيها إلى ماجناه أيام الطلب الأولى في مراحل التعليم المبكر، وناهيك عما يرافق حال التكوين والريادة من مزالق وزلاّت في الفهم والتعبير وأدواته اللغوية والنحوية. وكما قال شعراً[٧٥].

فقد بكى وهبي، ما الذي أبكاه　　　وأسال الدموع من (عيناه)؟

فقد استعمل، في الترجمة «ما زال» مكان «ما دام» (١٨، ٦٢، ٨٢، ١٤٢)، وأحلّ «ربّ» محلّ «كم الخبرية» (٤٨، ١٠٩، ١٣١، ١٣٨)، وجاء بـ «أبداً» بدلاً من «قطّ» في نفي الماضي (٨٠، ٨٨)، وقال «هو ذا نحن» عوض «هؤلاء نحن» (٨١)، وأتى بلفظة «يتطلعون» ليعبر بها عن «يطّلعون» إذ قال في الرباعية (٦١): «أيهذا التراب ليتهم ينحرونك (ويتطلعون) إلى ما يكنه صدرك».

وضع مصطفى في الترجمة وبواكيره الشعرية، كذلك «نطفة» الاستعمال الشعبي ذي الدلالة الخاصة، والذي أضحى أظهر سمات معجمه الشعري بخاصة، وكتاباته عموماً، فكما قال(٧٦):

سرقتمو احنطتنا ويلٌ لكم قوم خَوَنْ

لا شكّ أن طينكم بميّة الغدر انعجن

واستعمل لفظة «أرازل» (بالزاي) في القصيدة التي منها البيتان، فقد وظف في الترجمة بعض الألفاظ الشعبية من مثل: مخاليق، والطفر، ويبصق، والكلام الفارغ في الشطور التالية من رباعيات مختلفة:

- «مخاليق لا تملّ التوالد والتكاثر»(٤٣).
- «أنعم النظر فيما ربحته من الحياة تجده لا شيء،
وفيما أحببته من خيرات هذا العمر تجده لا شيء! أليس الطفر مصيرك؟»(٥٤).
- «فهل بوسع المطّلع على أعمالك هذه أن لا يبصق بوجهك أيها الفلك؟»(٥٧).
- «وواصل الشرب ما حييتَ محاذراً ضياع عمرك في مجاهل الكلام الفارغ»(١٢٥).

المصادر:

(١) نشر محيي الدين صبري الكردي ثلاث رسائل فلسفية للخيام هي التي سئل عن محتوياتها في كتابه **جامع البدائه** الذي طبع أول مرّة عام ١٩١٧ بمطبعة السعادة بالقاهرة. والرسائل هي: «حكمة الخالق في خلق العالم» و «ثلاث مسائل اعتقادية» و «العلم الكلي وتحقيق جملة من مباحثه وأحكامه». وأعاد أحمد حامد الصرّاف نشرها في كتابه **عمر الخيام الحكيم الرياضي الفلكي النيسابوري** (مطبعة المعارف - بغداد. ط ٣: ١٩٦١، ص ١٩٠-٢٠٨). ونشرها عن الكردي، أيضاً، بوريس روزتفيلد وترجمها إلى الروسية في كتاب عنوانه **عمر خيام: رسائل** صدر عن معهد الشعوب الآسيوية بموسكو عام ١٩٦٢.

(٢) ثمة مختارات أردنية لكل من عيسى الناعوري، ونويل عبد الأحد، وتيسير سبول مترجمة - على التوالي - عن الإيطالية والإنكليزية. الترجمتان الأولى والثانية نثريتان، والأخيرة شعرية من شعر «التفعيلة» (راجع تفصيلات منفردة عنها في كتابي **الترجمات العربية لرباعيات لخيام**، ص ٣٠٥-٣١٢ و ٢٤١-٢٤٥ على التوالي).

(٣) لقد تعهدتها بالدرس والنقد في كتابي **الترجمات العربية لرباعيات الخيام: دراسة نقدية**.

(*) راجع تفصيلات عنه في: محمود المطلق: **عشيات وادي اليابس** - المقدمة؛ والبدوي الملثم: **عرار شاعر الأردن**؛ وناصر الدين الأسد: **الشعر الحديث في فلسطين والأردن**؛ وأحمد أبو مطر: **عرار الشاعر اللامنتمي**؛ وكمال الفحماوي: **الشاعر مصطفى وهبي التل: حياته وشعره**؛ وزياد الزعبي: **عشيّات وادي اليابس** - التقديم.

(٤) اختار الشاعر هذا اللقب من قول الشاعر عمرو بن شأس الأسدي في ابنه «عرار»، الذي كان من أمة سوداء، وكانت زوجه الجديدة تؤذيه:

أرادت عراراً بالهوان ومَنْ يُرِدْ   عراراً، لعمري بالهوان فقد ظلم

(٥) هو وصفي التل (١٩١٩ - ١٩٧١) أحد رؤساء الوزارات السابقين في الأردن. راجع سيرته كاملة في: سليمان موسى، **أعلام من الأردن**، ص ٩٧ وما بعدها.

(٦) كان محمود المطلق أول من أثبت هذا التاريخ على نشرته من ديوان الشاعر: وأكده زياد الزعبي نقلاً عن مذكرات خاصة لوالد الشاعر وأخرى لنجله «مريود»، في حين ظلّ بعض دارسي الشاعر يتناقلونه على أنه «٢٥ أيار ١٨٩٧» (**عشيات وادي اليابس**، ص ١٧)، وهو ما يميل إليه أحمد أبو مطر الذي يأخذ، فيه، جانب البدوي الملثم وبعض من تابعوه (**عرار الشاعر اللامنتمي**، ص ٤٥).

(٧) من أبنائها كذلك: معين ومريود وسعيد وعبدالله. وتزوج مصطفى ثلاثاً غيرها: الأولى «شوما حرب الدحيّات» تزوجها عام ١٩٢٥، حين كان حاكماً في الشوبك، لليلة واحدة فقط وطلقها؛ والثانية «عوفاء بنت ملوص الجبر» بدوية من عشيرة «السرحان»، تزوجها عام ١٩٢٣، إذ كان مأمور إجراء في إربد، وولدت له صايلاً وطه وصفيّة وعلية. والأخيرة «عدوية بنت محمد الأعرج» شركسية تزوجها عام ١٩٤٣ ثم طلّقها. (كمال الفحماوي: **الشاعر مصطفى وهبي التل**، ص ٢٤ من مقابلة شخصيّة مع سلطي التل).

(٨) **سليمان موسى، أعلام من الأردن**، ص ٩٨.

(٩) **غيّرت هذه الوظيفة إلى «موجّه تربوي»**.

(١٠) صحّح زياد الزعبي، اعتماداً على وثائق اطّلع عليها، ما عند البدوي الملثم وبعض من عُنوا بعرار

المصادر:

من أخطاء قليلة في تواريخ بعض وظائف الشاعر (**عشيّات وادي اليابس**: التقديم، ص ١٨ـ ٢٢).

(١١) عشيات وادي اليابس، ص ١٤.

(١٢) **عشيات وادي اليابس**، ص ١٢٥ (نشرة زياد الزعبي).

(١٣) **عرار شاعر الأردن**، ص ٣٧.

(١٤) يذكر زياد الزعبي أن في أوراق الشاعر مقالاً عنوانه «أمالي عرار» مؤرخاً في ١٩٤٧/٧/٢٢ جعله لشعراء الفرس من مثل: سعدي الشيرازي، وجلال الدين الرومي، وحافظ الشيرازي (المصدر السابق، ص ٢٨).

(١٥) أحمد أبو مطر، المصدر السابق، ص ٦٥.

(١٦) زياد الزعبي، المصدر السابق، ص ٢٨.

(١٧) **عشيات وادي اليابس**ـ المقدمة. ص ٤٢.

(١٨) **عرار شاعر الأردن**، ص ٣٩.

(١٩) أحمد أبو مطر، المصدر السابق، ص ٦٧ـ ٦٩.

(٢٠) ناصر الدين الأسد، **الشعر الحديث في فلسطين والأردن**، ص ١١٠؛ وزياد الزعبي، المصدر السابق، ص ٢٧ـ ٢٩.

(٢١) البدوي الملثم، المصدر السابق، ص ١٧.

(٢٢) المصدر نفسه، ص ١٢٩ـ ١٣٠.

(٢٣) بين أحمد أبو مطر، بالتفصيل، المقصود بكلّ مذهب من المذاهب الأربعة وجوانبها عند الشاعر (**عرار الشاعر اللامنتمي**، ص ٧١ـ ٧٩).

(٢٤) الشائع المعروف أنه سمّى ديوانه باسم قصيدة عنوانها «عشيات وادي اليابس» نظمها في «جميلة» النورية، وقال:

يا أخت وادٍ قد دعوتك باسمه   وله نسبتُ، تبركاً ديواني

ووادي اليابس منطقة زراعية خصبة في غور الأردن الشمالي.

بيد أن الأستاذ روكس العزيزي يروي عن صيقه «زعل القسوس» أن «عشيات» ليست جمع «عشيّة»، بل فتاة اسمها «عشيات» عرفها الراوي من كثب، لأنه كان يذهب مع الشاعر إلى هذا الوادي حيث مضارب النور. (ثلاث حقائق يجب أن تجلى، **الرأي الثقافي**ـ الجمعة ١٣/٦/١٩٨٦).

(٢٥) زياد الزعبي، المصدر السابق،و ص ٦٩.

(٢٦) راجع في موضوعات شعره واتجاهاته ونقده، أحمد أبو مطر، المصدر السابق، ص ١٢٨ وما بعدها.

(٢٧) الصحيح، بالرفاء (بالهمزة).

(٢٨) أثبت زياد الزعبي أن الكتاب لا يضم كل المقالات التي نشرت في «الكرمل»، ودلّ على عدد آخر من هذا الضرب من المقالات (**عشيات وادي اليابس**، ص ٣٠ـ ٣٥).

(٢٩) صدر الكتاب بعمّان عام ١٩٨٠.

(٣٠) **عشيات وادي اليابس**، ص ٣٠ـ ٣٥.

(٣١) المصدر نفسه، ص ٣٦ـ ٤٢.

المصادر:

(٣٢) البدوي الملثم: **عرار شاعر الأردن**، ص ٢٢.

(٣٣) المصدر نفسه، ص ٢٣.

(٣٤) المصدر نفسه، ص ٢٠.

(٣٥) اسمه «محمد ذو الغنى»، كان مغرماً بالأدب، وكان يضع دواوين الشعر والقصص الخيالية مع السكاكر والمعلبات على «رفوف حانوته» (المصدر نفسه، ص ٢٨).

(٣٦) صدرت الطبعة الأولى من ترجمة البستاني عام ١٩١٢ عن دار المعارف بالقاهرة (راجع عنها وعن صاحبها كتابي، **الترجمات العربية لرباعيات الخيام** ص ٤٥ ـ ٥٧).

(٣٧) البدوي الملثم، المصدر السابق، ص ٢٩.

(٣٨) المصدر نفسه، ص ٣٠.

(٣٩) مصطفى وهبي التل، الخيام ورباعياته، **مينرفا**، السنة الثالثة، الجزء الرابع ١٥ تموز ١٩٢٥، ص ١٧٣ ـ ١٧٥. والمقال كلّه من ملحقات هذا الكتاب.

(٤٠) البدوي الملثم، المصدر السابق، ص ١٨١.

(٤١) يقصد عرار شاعر الأردن.

(٤٢) يقصد «ترجمة أخرى» هي الترجمة الأولى.

(٤٣) فات زياداً الزعبي أن يذكر التاريخ الدقيق لهذه الترجمة إذ قال «وهي ترجمة نثرية... ترجمها الشاعر عام ١٩٢٥، ونشر بعضها في مجلة (مينرفا)» (عشيات وادي اليابس، ص ٣٦).

(٤٤) عالم وشاعر إيراني. ولد بأصفهان عام ١٢٨٦ وتوفي عام ١٣٦٢هـ في أنقرة. ذهب في عنفوان شبابه إلى استانبول حيث أكمل دراسته، ثم قرّر الإقامة فيها، فاشتغل بتدريس الآداب في المعاهد العليا. له تواليف كثيرة معظمها بالتركية. ترجم لأكثر من خمسة عشر شاعراً من شعراء الفرس الكبار إلى التركية مع مختارات من أشعارهم، فضلاً عن ترجمته (٢٩٧) رباعية مما ينسب إلى الخيام؛ وترجم خمس عشرة قصة من قصص لافونتين إلى التركية.

(محمد معين، فرهنگ فارسى ٥:٤٠٥؛ واسماعيل يكاني: نادره أيام، ص ٩٢).

(٤٥) ولد الدكتور رضا توفيق عام ١٨٦٩ وتوفي عام ١٩٤٩م. كان معروفاً بعلمه وحكمته، وكان أستاذاً ضليعاً في آداب اللغات الثلاث: التركية والفارسية والعربية». (اسماعيل يكاني، نادره أيام، ص ٩٣).

(٤٦) البدوي الملثم، المصدر السابق، ص ٩٤.

(٤٧) مقدمته على النسخة التي حرّرها من الترجمة المخطوطة، ص ١٧.

(٤٨) مجلة أدبية علمية شهرية، كانت تصدرها ببيروت ماري ينّي عطالله. صدر أول عدد منها في ١٥/٤/١٩٢٣. توجد مجموعاتها في دار الكتب اللبنانية، ومكتبة الجامعة الأمريكية ببيروت. (يوسف أسعد داغر: **قاموس الصحافة اللبنانية**، ص ٢٨١ ـ المادة ١٧٤٣). وتوجد أعداد منها في مكتبة كلية الآداب بجامعة بغداد بالعراق، ومركز الوثائق التاريخية التابع للمديرية العامة للآثار والمتاحف بدمشق.

(٤٩) هكذا أثبتها البدوي الملثم (ص ٩٤). بيد أن فيها اختلافات عمّا نشر في مينرفا وهي ثمّة:

«لقد أبصرت عملاقاً من الطير واقفاً فوق برج القلعة الخربة في مدينة طوس آخذاً بيده جمجمة

الملك (كيكاوس) يسائلها، ويقول: يا أسفاه يا أسفاه، أين تلاشى رنين الأجراس، وأين مضى أنين المعازف التي سمعناها في باب قصرك؟!».

وغير بعيد، قياساً على بعض الفروق بين ما نشر في مينرفا من رباعيات وأعاد البدوي الملثم نشره وعلى ما حذفه من ألفاظ وجمل في مقالي عرار في مينرفا كذلك، أن تكون يد العودات هي التي أعملت فيها ما نراه من تغيير وحذف لصالح صاحبه عرار. وهذا، إن ثبت، محظور نقدياً.

(٥٠) أحمد أبو مطر، المصدر السابق، ص ٢٤٣.

(٥١) راجع موجز سيرته وبعض مصادرها ونقد ترجمته في كتابي: **الترجمات العربية لرباعيات الخيام**، ص ٢٨٥ ـ ٢٨٩.

(٥٢) العدد الثاني ـ السنة الثالثة: ١٥ أيار/مايو ١٩٢٥، ص ١٠١ ـ ١٠٤.

(٥٣) صدرت الطبعة الأولى من ترجمة أحمد رامي (١٨٩٢ ـ ١٩٨١) عن دار المعارف بالقاهرة عام ١٩٢٤.

(٥٤) أصدر محمد السباعي (١٨٨١ ـ ١٩٣١) ترجمته **رباعيات عمر الخيام** عام ١٩٢٢ ونشرتها المكتبة التجارية بالقاهرة.

(٥٥) لم أعثر، إلى الآن، على شيء آخر مطبوع من ترجمته في أيّ من آثاره المطبوعة منفردة أو في الجزئين اللذين صدرا، حتى الآن، من أعماله الكاملة عن المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر ببيروت عام ١٩٨٢.

(٥٦) راجعها في ملاحق كتابي.

(٥٧) **مينرفا** ـ السنة الثالثة ـ الجزء الرابع ١٥ تموز ١٩٢٥، ص ١٧٣ ـ ١٧٥.

(٥٨) يقصد بإلهة الحكمة مينرفا Minerve وهي إلهة رومانية كانت إلهة للعقل والعلم والحكمة والأدب والفن، ثم أصبحت إلهة للحرب والطب. لها عيدها الخاص في ١٩ آذار/مارس من كلّ عام. وقد امتزجت مع الإلهة اليونانية «أثينا» حتى صار من الصعب التفريق بينهما في الأساطير والآثار الفنيّة. (سهيل عثمان وعبد الرزاق الأصفر: **معجم الأساطير اليونانية والرومانية**، ص ٤١٤ و ٣٠ كذلك).

(٥٩) الجزآن الخامس والسادس ـ السنة الثالثة ١٥ آب/اغسطس و ١٥ أيلول/سبتمبر ١٩٢٥، ص ٢٣٧ ـ ٢٤٠.

(٦٠) يقول أحمد أبو مطر «وقد استمر ينشر هذه الترجمات في (مينرفا) شهرياً حتى بلغ ما ترجمه ونشره قرابة الثماني والعشرين رباعية». (**عرار الشاعر اللامنتمي**، ص ٦٧).

وهذا ليس دقيقاً. لأن ما نشره الشاعر في «مينرفا» ثنتان وخمسون (٥٢) رباعية. أربع وعشرون (٢٤) كانت رداً على رباعيات أمين نخلة، وثمانٍ وعشرون (٢٨) غيرها كما أوضحت سابقاً.

(٦١) **عشيات وادي اليابس**، ص ٨.

(٦٢) أقول هذا، دون تحديد سنة ما، لأن الناعوري لم يؤرخ النسخة التي أعدّها، أو مقدمته عليها.

(٦٣) مقدمته على النسخة التي أعدها، ص ١٧.

(٦٤) انظر، مثلاً، الرباعيات: ٦٨، ٧٣، ٨٣، ١٠٦ و ١٤١ في كتابي.

(٦٥) يحتوي الكتاب المشترك على مقدمة مهمة من قسمين وترجمة (٣٩٧) رباعية. الترجمة والقسم

الأول من المقدمة لحسين دانش، أمّا القسم الآخر من المقدمة فلرضا توفيق. ويبحث القسم الذي كتبه دانش حياة الخيام بالتفصيل وشعره وشاعريته والرباعيات وما يتصل بها من حكايات حول نسبتها إلى الخيام وغيره، وترجماتها - في ذلك الوقت - في اللغات الأخرى، وآراء الباحثين فيها في الشرق والغرب. أمّا القسم الذي كتبه رضا توفيق فيقتصر على بحث عميق واسع في فكر الخيام وآرائه الفلسفية. لكن حسين دانش حذف القسم الذي كتبه رضا توفيق وأجرى تعديلات على الكتاب، ثم نشره باسمه وحده عام ١٣٤٦هـ/١٩٢٧م، وطبعته مطبعة إقبال باستانبول التي كانت قد طبعت الكتاب المشترك. (يكاني: نادره أيام، ص ٩٣-٩٦).

(٦٦) ذكر محمد معين أنها (٣٩٦)، وذكر اسماعيل يكاني أنها (٣٩٥). وقد يعود هذا إلى الخطأ الذي دلف إلى أرقام الرباعيات في الطبع، إذ كرر الرقم (٤٥) مرتين، وكرر الرقم (٦٣) مرتين كذلك، ونُسي الرقم (٦٤).

(٦٧) أعدت أرقام رباعيات ترجمته إلى وضعها الصحيح ابتداء من الأرقام المكررة.

(٦٨) راجع، **الترجمات العربية لرباعيات الخيام**، ص ٢٦٥-٢٧٩.

(٦٩) الأرقام الموضوعة بين قوسين في المتن تشير إلى رقم الرباعية في هذا الكتاب.

(٧٠) انظر زهراى خانلري، **فرهنگ أدبيات فارسي** ١٥٤، ومحمد معين: **فرهنگ فارسي** ٥ : ٤٢٢.

(٧١) **الشاهنامة** ١، ٢٤٤-٢٤٦ و ٢٧٢ (الترجمة العربية).

(٧٢) عبد الحق فاضل، **ثورة الخيام** ٢٤٧ (الرباعية ١٠٥).

(٧٣) «الحيام ورباعياته»، **مينرفا**. السنة ٢ - العدد ١٠ (كانون الثاني ١٩٢٥، ص ٥١٩-٥٢٠.

(٧٤) زياد الزعبي، **عشيات وادي اليابس**، ص ٥٢٩.

(٧٥) المصدر نفسه، ص ٥٦١.

(٧٦) **عرار شاعر الأردن**، ص ٣٥، وانظر ص ٣٤ كذلك.

أ.د. جواد حديدي*

موجز تاريخي لترجمة معاني القرآن الكريم بالفرنسية

كانت ترجمة (معاني) القرآن في فرنسا مثل بقية الأقطار الأوروبية مرتبطة بالتطورات الاجتماعية وتقدم الاستشراق في تلك البلاد. لذلك يمكن توزيع هذه الحركة على مراحل منفصلة، تشمل الأولى الفترة التي كان الفرنجة خاضعين فيها لروح التعصب المذهبي في القرون الوسطى، والثانية مرحلة نهضة الاستشراق، تليها المرحلة الحاضرة.

إن صاحب الدراسة، بعد أن يعدد ٢٢ ترجمة كاملة لـ «معاني القرآن» في المراحل المختلفة، يعمد إلى دراسة اثنتين منها بالنقد والتحقيق، وهما لبلاشير وشوراقي.

ارتبط تاريخ ترجمة (معاني) القرآن في فرنسا ـ كما في سائر البلاد الأوروبية ـ بالتطورات الاجتماعية والمراحل المختلفة لظهور علم الاستشراق ونموّه في تلك الأقطار. وعليه، يمكن تقسيم مراحل هذا التاريخ إلى ثلاث مراحل متمايزة.

تمتد المرحلة الأولى مدة قرن كامل، ابتداء من أواسط القرن السابع عشر الميلادي. وفي هذه المرحلة كانت الأحكام المسبقة لا تزال متحكمة في الأذهان. فكان العوام من الناس، بسبب الدعاية الكنسية المعادية، يعتبرون القرآن الكريم عبارة عن مجموعة روايات وقصص أطفال، ويعتقدون أن النبي محمداً (ص) كان رجلاً مريضاً مصاباً بداء الصرع، وكان في البداية كاردينالاً رومياً، وبما أن بقية الكاردينالات لم يختاروه لمقام البابوية، ارتد عن المسيحية وابتدع ديناً جديداً؛ هذا النوع من التفكير ظل رائجاً إلى أواسط القرن الثامن عشر. ثم نظراً لتقدم معرفة الفرنسيين بالإسلام، تغير الأمر وانتهى إلى ترجمة جديدة للقرآن. وهنا جاء دور الاستشراق. فشرع الفرنسيون في تأسيس مراكز علمية لتدريس لغات العالم الإسلامي،

* أستاذ الأدب الفرنسي في جامعة الفردوسي بمشهد وسواها، وإداريّ ومحرّر مجلات علميّة.

وترجمة المتون المختلفة في الأدب والفلسفة والمذاهب الإسلامية. ومن هذا الطريق أصبحت ترجمة القرآن أكثر دقة و (موضوعية). أما المرحلة الثالثة فتبدأ ببداية القرن العشرين عندما نهض بعض المسلمين إلى جانب المستشرقين، فأخذوا بكل جد يترجمون «معاني» القرآن، ونشر المعرفة الصحيحة عن الإسلام بين الفرنسيين. وإننا في ما يلي سنحاول مطالعة ما جرى في هذه المراحل الثلاث، ونعرّف بالترجمات التي أنجزت فيها، وسنعمد إلى فحص ودراسة بعضها دراسة نقدية.

إن معظم الأساطير الرائجة ضد الإسلام بين المسيحيين (في أوروبا) نابعة من الترجمات اللاتينية للقرآن الكريم، والتي لا تطابق متن النص القرآني، ذلك أن القساوسة الذين قاموا بهذا العمل كانوا يردون على ما كانوا يترجمونه. وأول هؤلاء بيار دوكلوني[١]، رئيس صومعة في شرق فرنسا، وكان يُطلق عليه اسم بيار المحترم. وهو كان قد سافر إلى إسبانيا عام ١١٤١م، وشاهد فيها أحوال المسلمين مع النصارى، فقرر أن ينقل القرآن إلى اللغة اللاتينية التي هي لغة العلم والدين في أوروبا في تلك الأيام. ومن أجل أن ينقض القرآن من طريق الآيات المتشابهة، كلف أحد المستعربين الإسبان من أهالي طليطلة[٢]، واسمه بيار دو تولد، ويتقن اللاتينية كما هو متضلع بالعربية، للقيام بهذه المهمة. كما أنه استخدم بعض القساوسة الإسبان، من بينهم روبرت دو كتون[٣] كي يعيدوا سبك ترجمة بيار دو تولد حتى تصبح فصيحة. فقام أولئك بالمهمة خير قيام، وملأوا تلك الترجمة بالعبارات الطنانة. وهكذا أنجزت الترجمة الأولى باللغة اللاتينية. حينئذ استطاع بيار دو كلوني أن يطلع على معاني القرآن من طريق الترجمة اللاتينية، فأنشأ مقدمة لها. ومع أنه كذّب بعض الأساطير التي لا تجوز على الأطفال، مما كان روّجه بعض المتعصبين منذ عهد قديم حول نبي الإسلام والمسلمين، فإنه سعى جهده في إبطال القرآن. ولكونه جاهلاً باللغة العربية، فإنه خَبَطَ خبْطَ عشواء[٣]. وظلت هذه الترجمة اللاتينية (في طليطلة) مدة تقرب من أربعة قرون المصدر الوحيد للفرنسيين عن القرآن. وقد نقلت هذه الترجمة إلى لغات أوروبية عدة: ترجمت عام ١٥٤٧ إلى اللغة الإيطالية، وفي ١٦١٦ إلى اللغة الألمانية، وفي ١٦٤١ إلى اللغة الهولندية[٤]. واستمرت الحال على هذا المنوال إلى أن جاء أندريه[٥] دورير، وترجم القرآن الكريم عام ١٦٤٧ رأساً من العربية، مع الاستفادة من الترجمة الفرنسية عن اللاتينية. وهكذا بدأ الفرنسيون أكثر فأكثر يتعرفون إلى أصول العقائد الإسلامية.

ولد دورير عام ١٥٨٠ في مارسيني[٦]. أنهى دراسته الابتدائية في بلده، ثم ارتحل إلى بلاد الدولة العثمانية، حيث اشتغل بدرس اللغات الفارسية والتركية والعربية. ثم انتقل من هناك إلى مصر بصفته قنصل فرنسا. ونحن لا نعلم بدقة متى ذهب أو كم من الوقت أمضى في أداء هذه المهمة الموكولة إليه. إلا أننا على يقين بأنه قام بأول ترجمة فرنسية لكتاب گلستان

سعدي وأصدره عام ١٦٣٤. وفي هذا التاريخ عاد إلى فرنسا، كما يفهم من المقدمة التي كتبها للكتاب المشار إليه. وتلك هي المرة الأولى التي يترجم فيها كتاب الإسلام الديني إلى إحدى اللغات الأوروبية التي يتكلم بها عامة الناس، وليس إلى اللغة اللاتينية الأثرية المحصور علمها بالقساوسة فقط. كما أن الذي قام بالترجمة هو رجل سياسي، وليس قساً متعصباً كما هو شائع في تلك الفترة. وكان هذا الأمر بمثابة خطوة في الطريق الصحيح لمعرفة الإسلام معرفة صحيحة. ومع ذلك لم يستطع دورير أن يتخلص تماماً من عقد وأوهام القرون الوسطى. لذا، فإنه كذّب في مقدمة ترجمته المختصرة بنبوة محمد (ص) ،كما أنه أشار للمسلمين باحتقار. وهنا يجب الانتباه إلى أنه في النصف الأول من القرن السابع عشر كانت المشاعر والعصبيات الدينية قد بلغت أعلى الدرجات لدى الكاثوليك... ولم يكن مضى وقت كثير على الحروب الدامية المذهبية بين الكاثوليك والبروتستانت، وكانت نتيجتها انتصار الكاثوليك على البروتستانت وتحجيمهم. وإذا كان دورير لم يتأثر بالعصبيات المذهبية، فلا أقل من أن يحتاط ويحافظ على المشاعر العامة. والسؤال هو: ما هي المصادر التي استند إليها؟ لم يشر لا في بداية الكتاب ولا في خاتمته إلى المصادر التي عاد إليها في ترجمته، وإن كان في الحقيقة قد استفاد من الترجمة اللاتينية (كتون ـ تولد). ومع هذا، فإنه أشار في الحواشي ـ حسب العادة الشائعة في تلك الأيام ـ وهكذا أيضاً في بداية الترجمة لبعض السور، أشار إلى بعض الإيضاحات التي تفيد القارئ. فمثلاً، أحال في كثير من الحالات إلى كتاب: وتقرأ «كتابل تنوار» (Ketabel Tenoir). لكن يبدو (هنا تجب الإشارة إلى أن شخصاً فرنسي الثقافة لا يستطيع أن يلفظ الكلمات العربية بشكل صحيح كالعرب) أن مراده هو كتاب **تنوير المقباس من تفسير ابن عباس** ـ تأليف مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت ٨١٧هـ). وفي أماكن أخرى منها (حاشية ص ٧٤) توجد كلمة (Le Bedaoi)، وتلفظ اليوم: لوبداواء، ومراده منها: عبدالله بن عمر البيضاوي (ت ٦٨١هـ) وهو صاحب التفسير المشهور **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**. وأما الكتاب الأهم الذي استفاد منه أكثر من غيره فهو **الدر المنثور** تأليف جلال الدين السيوطي الذي كان يشير إليه فقط بعنوان (Galadin) (جلال دين). وفي بعض الأحيان حينما يود ذكر أسباب تسمية بعض السور، يذكر (اكتري). فمثلاً، في ما يخص سورة الزخرف، يقول هكذا: أيها المطالع، اعلم وانتبه، فإن اكتري (Ekteri) قد سمى هذه السورة سورة الذهب (Le chapitre de l'or). فمن هو أكتري؟ وما هو اسم كتابه؟ يحتمل جداً أن تكون هذه الكلمة محرفة عن «عكبري» صاحب كتاب **التبيان في إيضاح القرآن**، وله عناوين أخرى مثل: **إملاء ما منّ به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن**. وقد طبع هذا الكتاب في مصر مراراً. وثمة عنوان آخر يصعب مغرفته، وهو اسم كتابه الذي جاء في الصفحة ٢٦٧ بهذا الشكل: (Voy Tasfir anf Giavhoir) أنظر: (تسفير أنف جيا وهوارا). فظاهراً أن كلمة تسفير هي تحريف لكلمة: تفسير. وكذلك كلمة: أنف هي ألف.

وجياو وهوار هي جواهر. وبناء على هذا، فيلزم أن يكون المعنى: تفسير ألف جواهر. وحينئذ يبقى لدينا مشكل التركيب النحوي للجملة. فعادة: المعدود بعد الألف يكون مفرداً لا جمعاً. ويقال بالعربية: ألف جوهرة وليس ألف جواهر، وذلك مثل الآية الكريمة: ليلة القدر خير من ألف شهر، أو ألف ليلة وليلة، ألف خرفة، ألف نهار... إلى غير ذلك. وفي إحالة أخرى تتضح المسألة. ففي ص: ٤١٢ حيث يشير دورير إلى أن الكتاب المحال عليه هو تفسير للقرآن باللغة التركية.

وبناء على ما ذكر، لا ينبغي أن يُتوقع أن تكون ترجمة ما خالية من النقص، إذ أنها الخطوة الأولى نحو ترجمة معاني القرآن الكريم إلى الفرنسية؛ والخطوة الأولى عادة ما تكون مصحوبة بالأخطاء والضعف... وأحد مظاهر الضعف في هذه الترجمة هو أن دورير اعتبر السورة القرآنية قصة واحدة، ولم يفك الارتباط المختلف بين الآيات، بحيث أصبح استخلاص الآيات في مجموع الكتاب البالغ ٦٤٨ صفحة أمراً بالغ الصعوبة، ويحتاج إلى صبر وعناء كبيرين.

والنكتة الثانية هي عدم انتباه دورير إلى زمان الأفعال في اللسان العربي، وهذه مشكلة لم ينج منها حتى بعض المترجمين المعاصرين. إذ أن الفعل في اللغة الفرنسية له ستة أوجه مختلفة، ولكل وجه أزمنة عدة متفاوتة. فمثلاً: الوجه الشرطي له ثلاثة أزمنة: مضارع وماضٍ أول وماضٍ ثانٍ، والوجه الإلتزامي (الشكي) له أربعة أزمنة: مضارع ماض صرف، ماض بعيد، وماض استمراري (مكرر). وكل واحد من هذه الأزمنة مستقل عن الآخر، وله شكل وقالب خاص به، بحيث تلزم مراعاته عند الكتابة، بحيث يبلغ عددها جميعاً ٢٢ زماناً ووجهاً[٧]. ومن هذه الوجهة يصعب على الإنسان الناطق بالفرنسية أن يطابق بين الأزمنة في اللغة العربية على الأزمنة المتداولة في اللغة الفرنسية. فمثل هذا الشخص لا يستطيع بسهولة أن يدرك استعمال الزمن الماضي أن يكون تعبيراً عن فعل مضى وانقضى، أو فعل ما زال مستمراً أثره في الزمن الحاضر؛ هذه الخصائص النحوية والصرفية جعلت دورير يقف محتاراً في بعض الأحيان، وعاجزاً عن تصريف الفعل بما يناسبه في اللغة الفرنسية. وهو أخذ بظاهر الحال كما فعل في تفسيره لسورة المسد:

Abou Lahab a perdu la main, Dieu l'a châtié, ses richesses ne le sauveront pas. Il brulera dans les flammes éternelles avec sa femme qui porte le bois sur son collier d'une corde de palmier.

والمعنى:

فقد أبو لهب يديه، ونال جزاءه من الله، لن تغني عنه أمواله، وسيصلى ناراً مخلداً فيها، وأيضاً زوجته التي تحمل الحطب على عاتقها وعلى عنقها عقد من ليف النخيل.

لم ينتبه دورير إلى أن فعل «تبّت» هو في الآية الأولى، وإن جاء في الزمن الماضي، إلا أنه يحمل معنى الدعاء بالشر واللعن؛ هذا النوع من الخطأ أدى إلى أخطاء أخرى، بحيث غيّر المعنى. فمتن السورة هو هكذا:

«تبت يدا أبي لهب وتب ما أغنى عنه ماله وما كسب سيصلى ناراً ذات لهب وامرأته حمالة الحطب في جيدها حبل من مسد».

ويمكن ترجمتها إلى الفرنسية كما يلي:

Que les deux mains d'abu lahab soient coupées et qu'il périsse!
Sa fortune est ce qu'il a obtenu ne lui serviront à rien. Il rejoindra bientôt un feu plein de fammes.
Ainsi que sa femme, porteuse de bois
Alors qu'elle a une corde de fibres au cou.

فلتقطع يدا أبي لهب والموت له.

وكل ما يملك وما حصل عليه بيده فلن ينفعه.

عما قريب سيدخل النار الملتهبة.

وأيضاً زوجته، حال كونها تحمل الحطب في جهنم.

وحول عنقها حبل من ليف النخيل.

والخلاف بين معنى السورة المباركة وبين ترجمة دورير واضح. ومع هذا، فقد كان استقبال الناس لترجمته عظيماً. وهكذا، وبعد مرور سنتين فقط، جددت طباعتها، ثم ترجمت في العام نفسه إلى الإنكليزية، ثم إلى اللغات الهولندية والألمانية والروسية. ومنذ تاريخ طبعتها الأولى ولغاية سنة ١٧٨٥ جدد طبعها ٢٤ مرة[٨]. ومثل هذا الإقبال في تلك الأيام على كتاب ديني غير مسيحي أمر لا نظير له. والسر في ذلك الإقبال هو أن الحاجة كانت ماسة في تلك الأيام نظراً لأن القساوسة قد حصروا المعلومات في ما بينهم، وحذروا أتباعهم المؤمنين من التطلع إلى معرفة عقائد الآخرين. ولكن الأمر اختلف بعد قيام النهضة، وبعد افتتاح الطرق البحرية، وسفر جماعات المستكشفين والرحّالة للبلاد البعيدة، ثم عودة هؤلاء مزودين بالآثار والنتائج العلمية الثمينة، فغدا الناس متعطشين للمعرفة الحقة. ومن ثمّ فإن ترجمة دورير البعيدة عن أغراض الدعاية والسياسة،سهلت السبيل لهم، وفتحت العيون على كل العقائد الإسلامية، مما عجّل بظهور عصر التنوير. كما ظهرت جماعة من الكتّاب من أتباع العقلانية «مذهب ديكارت» شرعوا بالبحث والتنقيب في تاريخ الإسلام، فاكتشفوا أن كل ما كان يقوله دعاة المسيحية عن المسلمين ويروجونه ليس إلا كذباً محضاً؛ هذه المجموعة من الكتّاب لم يكونوا يعتقدون بثلاثية الأقانيم، وكانوا يؤمنون بنوع من التوحيد أطلقوا عليه اسم «دين الفطرة»[٩]. وكان إمامهم ومقتداهم فولتير الذي كان في أول الأمر متأثراً في شبابه بدعاية

القساوسة المغرضة ضد الإسلام، فعادى الإسلام، ثم حين اطلع على تاريخ الإسلام، تبين له أن القساوسة ليسوا سوى جهلة «وقد خدعونا». فمحمد (ص) لم يكن أبداً رجلاً مصاباً بداء الصرع، كما لا يمكن تسمية كتابه أسطورة أو مجموعة قصص للأطفال. فالقرآن في الواقع مجموعة نصائح أخلاقية، فيه التضرع والالتجاء إلى الله، وترغيب وتحذير للناس، وفيه أخبار الأنبياء السابقين كما هي رائجة عند العرب. فهل يمكن متابعة ذلك الأحمق الجاهل (نيدهام) أحد القساوسة الذين حاولوا مهاجمة القرآن، والقول بأن القرآن هو مجموعة أساطير؟(١٠). وفي مثل هذا الجو أصدر سافاري الترجمة الثانية للقرآن باللغة الفرنسية في مجلدين اثنين(١١).

ولد كلود إتيان سفاري عام ١٦٨٥ في ويترة، إحدى المدن في شمال غرب فرنسا. وكان في شبابه ميالاً للسفر والترحال، ولديه استعداد خاص لتعلم الألسنة الغريبة. وفي عام ١٧٧٦ سافر إلى مصر، حيث اشتغل بتعليم اللغة العربية، ثم أخذ يترجم القرآن الكريم بمعاونة بعض العرب المسلمين (حسب ما ورد في مقدمة كتابه)، فلقي استقبالاً كبيراً، حتى أنه جعل الترجمة السابقة لدورير والترجمة اللاتينية في عالم الإهمال والنسيان. وكان سافاري من أتباع الفيلسوف فولتير، وأحد الموحدين في القرن الثامن عشر، ومن المؤمنين بالدين الفطري. وقد أصدر عدداً من المؤلفات، إضافة لترجمة معاني القرآن، من أهمها: **رسائل حول مصر** ١٧٨٨ (Lettre sur L'egypte) و**رسائل حول اليونان** ١٧٨٨ (Lettres sur la Grèce) وحكاية غرام أنس الوجود ووردي Les amours d'Anas-Eloujoud et Ouardi, 1789 (Posthume) و**قواعد نحو اللغة العربية العامية والأدبية**: Grammaire de la langue arabe vulgaire et littéraire.

وقد طبع هذا الكتاب (التفسير) بمساعي المستشرق المشهور لويس لانجلز في عام ١٨١٣ بعد وفاة ٢٥ عاماً على سافاري الفجائية. وفي ما يلي نموذج من الترجمة المذكورة ص ٥٢٧ للآية الرابعة من سورة المنافقون:

Ils ont la beauté en partage. Ils parlent avec grâce, leur taille est droite et majestueuse, mais ils frissonnent au moindre bruit. Le Tout-puissant combattra contre eux parcequ'ils ont abondonné la foi.

أولئك رجال منظرهم جذاب، ويتكلمون بأسلوب ظريف، وقاماتهم طويلة جميلة، ولكنهم يرتجفون إذا سمعوا صيحة ما. والله القادر سوف يهلكهم لأنهم غير مؤمنين.

وأما متن الآية الكريمة فهو كالتالي:

«وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وإن يقولوا تسمع لقولهم كأنهم خشب مسنّدة يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو فاحذرهم قاتلهم الله أنّى يؤفكون».

أخطأ سافاري في ترجمته لهذه الآية أكثر من مرة:

أولاً، ربما لم يدرك الرابط بين قوله: وإذا رأيتهم، وإن يقولوا، وكأنهم خشب مسندة وبين العبارات الأخرى فتجاهلها؛

ثانياً، الجملة الدعائية في أخر الآية «قاتلهم الله أنى يؤفكون» التي هي في باب اللعن، ظن أنها جملة خبرية، ولم يراع لذلك زمان الفعل (قاتل) (وهذا العيب نفسه موجود في ترجمة دورير)؛

ثالثاً، أضاف إلى نص القرآن عبارة (لتركهم الإيمان). وهو في الواقع غير تابع للنص القرآني، وإنما هو مستخلص من المعنى، ومن هذا القبيل يوجد كثير من التجاوزات في ترجمته.

على أن سافاري يمتاز عمن سبقوه في الترجمة في موقفه من ردودهم على القرآن. فهو في كثير من الأحيان انتقد الترجمة اللاتينية لماراجي، ورد عليه في انتقاداته للقرآن. وماراجي هو قس إيطالي ترجم القرآن إلى اللاتينية عام ١٦٩٨ في مجلدين، وكتب مقدمة مفصلة لها(١٢). وكان أسلوبه يعتمد ترجمة السورة، ثم يعمد إلى تكذيب القرآن والنبي، معتمداً على بعض الآيات في السورة نفسها. فكان سافاري يفند استدلاله ويظهر ضعفه. فمثلاً، ينقل ماراجي في رده على ترجمة الآية ٤٤ من سورة هود (وفي المصحف ٤٢) قولاً لبعض الرواة من المسلمين: أن سفينة نوح يبلغ ارتفاعها ألف ومائتي ذراع وعرضها ستمائة ذراع، ثم يصيح قائلاً: انظروا إلى قلة عقل المسلمين؟ كيف يمكن أن توجد سفينة بهذا الارتفاع وهذا العرض؟ وينقل سافاري هذا القول نفسه وينسبه إلى قائله (الحسن) على هذا النحو:

"Cal Elhacen can toul elsafinat elf draa ou meatan draa ou ardeha set meat draa".

(قال الحسن: وكان طول السفينة ألف ذراع ومئتا ذراع وعرضها ستمائة ذراع).

وهنا يحمل سافاري على ماراجي حين ظن أن المقصود هو « ارتفاع» وليس «طول» السفينة، وعلى أساس هذا الخطأ استهزأ بالمسلمين، بينما هو يستحق التكذيب[١٣]. وهكذا أيضاً يناقشه في فهمه للآية الكريمة رقم ٨٣ (٨١ في المصحف) من سورة النحل حيث رود قوله تعالى: «**وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر**»، إذ أخذ يكذب النبي (ص) فقال: اللباس إنما يلبس للوقاية من البرد لا من الحر. فيقول سافاري «إن اللباس بمقدار ما هو ضروري لحفظ البدن من البرد في المناطق الباردة، كذلك فهو ضروري لحفظ البدن من الحر في البلاد الحارة. وإنما ذهب ماراجي إلى ما ذهب إليه لأنه لم ير أسلوب العيش في المناطق الحارة، ولم يدر أن العرب في أيام الحر يلبسون قباء ساتراً كل بدنهم ليحفظ عليهم بدنهم من حرارة الشمس المحرقة في الصحراء، وعليه فإن انتقاده وليد جهله[١٤].

المرحلة الثانية

تعرّف الفرنسيون في هذه المرحلة إلى القرآن ابتداء من أواخر القرن الثامن عشر وأوائل التاسع عشر. ففيها برزت مؤسسات عدة قامت بالبحث والتحقيق في الثقافة الإسلامية واللغات التي يتكلم بها المسلمون في البلاد الإسلامية، ومنها مدرسة الألسن الشرقية. ففي سنة ١٧٩٠ تقدم لويس لانجلز بلائحة إلى مجلس الثورة الفرنسية، وطالب بإنشاء مدرسة لتدريس اللغات العربية والتركية والفارسية وبعض اللغات الأخرى الشرقية، فوافق المجلس على تلك اللائحة، وبدأ الإعداد لوضعها موضع التنفيذ لغاية عام ١٧٩٥. وافتتحت تلك المدرسة رسمياً في آذار/ مارس من تلك السنة. ثم بعد مرور سنة عيّن لانجلز رئيساً لتلك المؤسسة التي كان هو من وضع أسسها ولبنتها الأولى، واستمر قائماً بواجباته إلى حين وفاته عام ١٨٢٣. ثم بعد مدة قصيرة تحولت المدرسة إلى مركز ثقافي أوروبي، بحيث اتجه للالتحاق بها كثير من الراغبين بمعرفة أحوال البلاد الإسلامية من مختلف أنحاء أوروبا. وقد برز من بينهم في ما بعد كثيرون ممن قاموا بترجمة القرآن.

وفي عام ١٨٢٢ تأسست اللجنة الآسيوية ـ الفرنسية. وابتداء من ١٨٢٣ تولى رئاستها سيلفستر دوساسي[١٥] الذي وجّه كل إمكاناته ومساعيه في موضوع الاستشراق، وتجمع حوله المحققون والكتّاب، وأصدر المجلة الآسيوية[١٦] وجريدة اللجنة أيضاً ابتداء من تلك السنة (١٨٢٣)، واشتملت على نتائج أبحاث المستشرقين حول الإسلام. كذلك قامت المؤسسة بنشر عدد مهم من المخطوطات العربية المهمة في الآداب والثقافة الإسلامية بعد تحقيقها ونقدها على نحو فائق الترتيب، كما افتتحت عدداً من الصالونات الأدبية تثار فيها مسائل مختلفة تتعلق بالأدب العربي والآداب الشرقية، أبرزها صالون «كووى يه» الذي يعد مركزاً للمستشرقين. وثمة صالون آخر له طابع دولي، ويسمى «كلارك»، وأعضاؤه من بلاد مختلفة[١٧].

إثر هذه النهضة اتجه بعض المستشرقين ممن يتقنون لغات شرقية عدة لترجمة القرآن الكريم، وكان أولهم رينو، وهو أحد المولعين بجمع المخطوطات العربية والفارسية، فقام في ١٨٢٨ باختيار بعض القرآن وترجمه للفرنسية[١٨]. وقام آخر هو گارين دو تاسي فترجم كتاب **منطق الطير** للعطار عام ١٨٤٠، وجمع أبحاثاً بعنوان **الشريعة والفريضة في الإسلام** وطبعها، كما ضمّنها بعض آيات القرآن أيضاً، فترجمها إلى الفرنسية. إلا أن أياً من هذه الترجمات لم تكن موفقة، إلى أن جاء دور كازيميرسكي في العام نفسه (١٨٤٠) فقدم ترجمته وطبعها.

ولد ألبن دو كازيميرسكي بيبر شتاينر[١٩] في العشرين من تشرين الثاني/ نوفمبر ١٨٠٨ في كارشو من بلاد بولندا، ثم هاجر إلى فرنسا، والتحق بمدرسة الألسنة الشرقية، ثم صار ضليعاً بالعربية والفارسية. وفي عام ١٨٣٩ رافق الكونت دوسرسه أول وزير مختار لفرنسا

بصفته ملحقاً ثقافياً حينما جاء إلى إيران، وتعرف إلى الأدباء الإيرانيين حينذاك، واستعان ببعضهم لحل مشكلات لبعض أبيات الشاهنامة المترجمة إلى الفرنسية بواسطة جول مل، بناء على توصيته[٢٠]. وبعد عودته إلى فرنسا أخذ في ترجمة ديوان المنوچهري، ثم وافته المنية بعد مرور عام واحد (أي ١٨٧٧) على طبع الكتاب. وكان للمستشرق كازيميرسكي استعداد عجيب لتعلم اللغات الأجنبية. وعلى الرغم من أنه بولندي الأصل، فقد كان يتقن الفرنسية ويكتب بها جيداً، وقام بترجمة بعض قصص ألف ليلة وليلة، وألّف قواميس عدّة: فرنسي - بولندي - فارسي - فرنسي - وعربي، إضافة إلى ما ذكر سابقاً. وما زال قاموسه العربي - الفرنسي محتفظاً بقيمته حتى اليوم، ويعتبر من المصادر المهمة التي يعتمد عليها أهل التحقيق. وهكذا، فإن ترجمة كازيميرسكي للقرآن، بما له من أهلية وذوق، تعتبر أسلسها وأبلغها. وتعتبر إيضاحاته التي أضافها في الطبعة الثانية معينة للقارئ في حل المشكلات التي يمكن أن يواجهها. ومن العجيب أن اهتمامه بفصاحة اللفظ وجماله كان سبباً في الإخلال نسبياً بمتن القرآن. ولا يجب أن ننسى هنا أنه رجل مسيحي لا ينظر إلى القرآن ككتاب سماوي، بل ككتاب فصيح وبليغ حين ترجمته له، ومن الطبيعي أن لا يبالي بالجزئيات التي قد تهم القارئ المسلم، لذلك صرف جهده في جمال العبارة وزينتها، مما جعل المترجمين، الذين جاءوا بعده، يقلدونه، وكانت سبباً في رواج ترجمته التي طبعت بين ١٨٤٠ - ١٩٨٠ أكثر من ٣١ مرة، ثم عشرة مرات بعد عام ١٩٨١ لغاية عام ١٩٩٦ (ربما بسبب تأثير الثورة الإسلامية في إيران) بحيث بلغ مجموع الطبعات ٤١ طبعة، أي بمعدل طبعة واحدة كل ٣ سنوات، وفي هذا توفيق ما زال مستمراً. وثمة نكتة يمكن أن تؤخذ على ترجمة كازيميرسكي وبعض التراجمة الآخرين من المستشرقين، هي تعبيرهم عن كلمة رسول بـ *"Apôtre"*، وهذا يعد تجاوزاً واضحاً ربما نشأ عن أصل عقيدتهم. ففي القواميس اللغوية الفرنسية المعتبرة مثل ***Robert, Littré***، تأتي كلمة ***"Apôtre"*** بمعنى حواري، وليس بمعنى رسول. ففي قاموس ***Littre*** وردت الكلمة بهذا الشكل:

Apôtre:... nom donné aux douze disciples que Jésus-christ chargea de prêcher l'Evangile".

وترجمتها: Apôtre ... اسم أطلق على اثني عشر رجلاً من أتباع المسيح (عليه السلام) المكلّفين بالتبشير بالإنجيل. وقد وردت هذه العبارة في القواميس الأخرى باختلاف بسيط.

صحيح أن لفظة "apôtre" من أصل يوناني، وتعني: المرسَل، ولكنها تدريجاً فقدت معناها الأصلي، وصار لها معنى اصطلاحي، واليوم ليس معناها المجازي الموسع يعادل كلمة رسول في العربية وفي اصطلاح القرآن. ولهذا فإن المترجمين من المسلمين لمعاني القرآن، ما عدا حمزة بوبكر، وهم متعمقون في الثقافة الإسلامية، يستعملون كلمة envoyé أو messager في

ترجمة كلمة رسول، وربما كان سبب الاختلاف كون التراجمة من الفرنسيين يعتقدون أن المسيح هو ابن الله. لذا، فإن من الطبيعي أن يعتبروا الحواريين رسلاً لعيسى.. ولكن مثل هذا التعبير مغاير في حق نبي الإسلام ومع روح التعاليم الإسلامية.

بعد مرور ٢١ سنة على ظهور ترجمة كازيميرسكي (أي عام ١٨٦١) ظهرت طبعة جديدة لترجمة القرآن في العاصمة البرتغالية ليشبونة، ونقش عليها اسم فاطمة وزيد[٢١]. وهي عبارة عن مؤلف جامع للترجمة والتفسير والأخبار والأحاديث معاً. ومن هنا لم تحظَ بالإقبال، وبقي عمل كازيميرسكي محل ثقة الجمهور واستمرت الحال على هذا المنوال إلى أن ظهرت ترجمة جديدة لادوار مونته في جنيف وباريس عام ١٩٢٩. وهي تعد أكثر انطباقاً على المتن العربي من سائر الترجمات القبلية، وهي المحاولة الأولى لترجمة القرآن بدقة.

ولد إدوار مونته عام ١٨٥٦ في مدينة ليون، وهي إحدى المدن المهمة في وسط فرنسا. تابع دراسته العليا في الإلهيات، ونال شهادة الدكتوراه، ثم انتقل إلى جنيف، فعمل مدرساً للألسنة الشرقية في جامعتها. وبعد فترة، اختير رئيساً لكلية الإلهيات، ومن ثم رئيساً للجامعة نفسها. ثم وبعد خمس سنوات من ترجمته للقرآن الكريم، وافته المنية عام ١٩٣٤. ترك مونته آثاراً عدة متنوعة، من تدوين رحلة ومذكر ات، إلى تصحيح وتأليف متون علمية وقصصية، وتحقيقات في تاريخ المذاهب والأديان واللغات من عبرية وعربية وآرامية ويونانية وغيرها. وهذا موجز لأهم تلك الآثار:

- كتابة القصص في الشرق الإسلامي

Le conte dans l'Orient musulman, (Paris - Genève: 1930).

- مختارات من الأمثال والعبارات من جوامع الكلم والنصائح والأفكار لدى المسلمين

Choix de proverbes, dictons, maximes et pensées de l'islam, (Maison-neuve: 1933).

- تاريخ التوراة

Histoire de la bible, (Payot: 1924).

- تاريخ شعب إسرائيل، من البداية إلى سنة ٧٠ ميلادية

Histoire du peuple d'israël depuis les origines jusqu'à l'an 70 après Jésus-Christ, (Payot: 1926).

إلا أن أهم آثاره الباعث على شهرته كان ترجمته للقرآن التي أضاف إليها مقدمة في تاريخ القرآن والسيرة النبوية ،إلى جانب إيضاحات في الحواشي، ثم طبعت مجدداً ست مرات في الأعوام ١٩٤٩و ١٩٥٤و ١٩٥٨و ١٩٦٣و ١٩٦٨و ١٩٩٨. وتعتبر ترجمة إدوار مونته، من حيث مطابقتها للنص العربي، أقرب من سواها، إلا أنها لا تخلو في بعض الأماكن من آثار

عقيدته. ولما كان من حيث الفصاحة وأسلوب البيان دون مستوى كازيميرسكي، ظلت ترجمته غير منافسة له.

إلى هذا الوقت لم يتدخل المسلمون في ترجمة معاني القرآن للفرنسية، وإنما كان الفرنسيون هم الذين تولوا هذه المهمة، سواء من أجل معرفة الإسلام بصورة أفضل، أو من أجل أهداف استعمارية، والحالة الاستثنائية هي ترجمة فاطمة وزيد في لشبونة، ولكنها غير ذات شأن لكونها مملوءة بالأخبار والأحاديث الضعيفة، مخلوطة بالمضامين القرآنية، مما جعل التعرف إليها صعباً. ولكن منذ مطلع القرن العشرين الميلادي، شيئاً فشيئاً بدأ بعض المسلمين ممن أتقنوا الفرنسية نسبياً، يتطلعون إلى إنجاز هذه المهمة، وإن تكن ترجماتهم لا ترقى من حيث المستوى اللغوي والسلاسة البيانية إلى مستوى ترجمات الفرنسيين، إلا أنها من حيث جودة الفهم لمعاني القرآن تمتاز عن تلك الترجمات. على أن من أوائل من ندبوا أنفسهم للقيام بهذا الأمر جزائريين، هما أحمد لائيمش وابن داود، اللذين ترجما معاني القرآن عام ١٩٣١ وطبعوها في مدينة وهران. ثم تصدّى أحمد التيجاني بمعاونة أكتاوپل، فأصدرا ترجمة أخرى عام ١٩٤٦... أحمد التيجاني صوفي من أتباع الطريقة التيجانية المشهورة والرائجة جداً في إفريقيا الغربية، وكان تصوفه من النوع المتعلق برموز الأرقام وخواص كل رقم. وكان رفيقه أكتاوپل متخصصاً بالفقه المالكي المنتشر بين سكان المغرب عموماً، وله عدد من المؤلفات في هذا الموضوع، أهمها:

- **الإرث في الفقه المالكي** Exposé pratique des succesions dans le rite malikite (Casablanca: 1940).

- **المرأة في الفقه المالكي وآداب وعادات المسلمين**
La femme musulmane dans le droit, la religion et les moeurs, (Rabat: 1946).

- **القضاء وأصول المحاكمات والاستدلال في الفقه المالكي**
La judicature, la procédure, les preuves dans l'islam malikite, (CasaBlanca: 1942).

تعد ترجمة التيجاني وأكتاوپل المشتركة الترجمة السادسة الكاملة للقرآن الكريم باللغة الفرنسية. وبناء على هذا، غدا أمر الترجمة شيئاً فشيئاً يصبح سهلاً. وبدأ التراجمة الجدد يستفيدون من أعمال وجهود السابقين. ثم ظهرت ترجمة فرنسية جديدة عام ١٩٤٩ و ١٩٥١ صارت في ما بعد بمثابة مذهب في التفسير (يقتدى به)، تلك هي ترجمة المستشرق المعروف رزيس بلاشير، أستاذ اللغة العربية في جامع السوربون[٢٢] الذي يعدّه بعضهم من أكبر المستشرقين المطلعين على الإسلام في القرن العشرين في فرنسا[٢٣].

ولد بلاشير عام ١٩٠٠ في أطراف باريس، ثم صحب عائلته إلى مراكش (التي كانت

محمية فرنسية آنذاك) وأنهى دراسته الثانوية في الدار البيضاء (كازابلانكا) المدينة الساحلية على شاطئ الأطلسي في بلاد المغرب، ثم اتجه إلى الجزائر، وأخذ في تعلم اللغة والأدب العربي في كلية الآداب بجامعة الجزائر. ونال شهادة الليسانس عام ١٩٢٢، فعاد إلى المغرب واشتغل بالتعليم في مدرسة «مولاي يوسف» في الرباط، دون أن يتوقف عن الدراسة. وفي عام ١٩٢٤ نال شهادة الماجستير في الأدب العربي، فعيّن في إدارة مؤسسة المطالعات العليا في مراكش. ثم بعد فترة رحل إلى باريس لنيل شهادة الدكتوراه، والتحق بمدرسة الألسن الشرقية، فتعلم وعلّم فيها. وأنهى عام ١٩٣٦ دراسته عن المتنبي، ونال شهادة الدكتوراه. ثم بعد عامين اثنين ارتقى إلى رتبة أستاذ في جامعة السوربون، واستمر فيها إلى أن وافته المنية ١٩٧٣. إذاً، عاش بلاشير في مطلع شبابه في جو عربي، فانسجم مع اللغة العربية وأنس بها وألفها، واستمرت حاله كذلك إلى نهاية أيامه في الجامعة. وإلى هذا تعزا كثرة آثاره وسعة معرفته في تخصصه. وفي ما يلي بعض تلك الآثار:

- **مقدمة مدخل إلى القرآن** Introduction au Coran, (Paris: 1947)
- **المتنبي شاعر عربي في القرن الرابع الهجري** Un poéte arabe du IV siècle de l'Hégire (x de j.ch.) Abou' Tayyib al-Moutanabbi, (Maisonneuve: 1937).
- **معاني العربية الفصحى** Eléments de l'arabe classique, (Maisonneuve: 1949)
- **تاريخ الأدب العربي** (في ٣ مجلدات)[٢٤] Histoire de la littérature arabe (Maisonneuve: 1952, 1964, et 1966).
- **لغز محمد** Le probléme de Mahomet, essai de biographie critique du fondateur de l'islam, (Paris: 1952).

تمتاز ترجمة بلاشير ببعض التجديد. ففي التعديلات الأولى التي صدرت في مجلدين عام ١٩٤٩ و ١٩٥١، اعتنى بترتيب سور القرآن، متبعاً في ذلك تحقيقات «فلوگل» و «نولدكه» من المستشرقين الألمان، كما اهتم بتنظيم وترجمة القضايا اللغوية وفقه اللغة بشكل خاص، ولكنه قلما اهتم بهذه المسائل في التعديل الثاني الصادر في ١٩٥٧، واتبع التنظيم المتّبع في المصحف المطبوع في القاهرة سنة ١٣٤٢هـ (تعادل ١٩٢٣). ومع هذا، فإنه عمد إلى بعض الآيات المتأخرة نزولاً، وأبدل مكانها في السور المتقدمة في النزول، لكي - يسهل بظنه - على القارئ فهم المعنى المراد.

وثمة نقطة أخرى تؤخذ على بلاشير في ترجمته، هي اللجوء إلى التفسير اللفظي أحياناً، بحيث أصبحت مبهمة وغير واضحة - إضافة إلى عيوب أخرى - وهذا لأنه لا يمكن لأي نص لغوي - وخصوصاً كنص القرآن - مع كل خصوصياته البلاغية والبنيوية، أن تنقل بعينها إلى صيغ لغة أجنبية أخرى، المجاز للمجاز، والإيهام للإيهام. وفي هذه الحال يمكن أن يؤول الأمر

إلى الإبهام فحسب، بل ربما غدا النص مضحكاً. فلو قال أحدهم بالفارسية المصطلح الفارسي (زمين خوردم) أي: أكلت الأرض، J'ai mangé la terre، فلن يستطيع الفرنسي أن يفهم من هذه العبارة المراد منها، وإذا حاول شرح المفهوم في الحاشية، سيحتار القارئ: إذ كيف ستؤكل الأرض(٢٤). ومن البديهي أن بلاشير لم يصل إلى هذا الحد، ولكنه كان في بعض الأحيان يجعل المعنى مقيداً بظاهر اللفظ، مما أدى إلى إبهام المراد من العبارة، بحيث تحتاج الترجمة إلى ترجمة أخرى حتى يدرك القارئ غير العربي المراد بيانه. وإليك نماذج من التفسير المغلق:

أ-في سورة الفرقان الآية ٢٥/ ١٥ (١٤ في ترتيب المصحف) «**لا تدعوا اليوم ثبوراً واحداً وادعوا ثبوراً كثيراً**». ومعناها: لا تقولوا اليوم واويلاه مرة واحدة، ولكن قولوا كثيراً: يا ويلاه.

وترجمها بلاشير كما يلي:

Nappelez point une destruction unique! Appelez beaucoup de destruction!

ومؤداها: اليوم لا تطلبوا خراباً واحداً واطلبوا خراباً كثيراً.

وورد في القواميس العربية حول كلمة «ثبور» ما مفاده: دعا بالويل والثبور، أي قال: واويلاه. إذاً، فإن بلاشير أخطأ في فهم المعنى الحقيقي حينما ترجم الثبور بالدمار والهلاك.

ب-سورة القيامة: ٧٥، آيتان ١٤، ١٥ حسب ترتيب المصحف: «**بل الإنسان على نفسه بصيرة ولو ألقى معاذيره**».

فكانت ترجمة بلاشير

Bien plus, L'Homme, envers soi-même sera clairvayance, même s'il présente ses excuses.

ومؤداها: «وأسوأ من هذا الإنسان بخصوص نفسه سيكون بصيرة. مهما أظهر أعذاره».

فكيف يمكن للإنسان أن يكون بصيرة نفسه، ويقدم أعذاره، والإشكال نتج من كون المترجم ظن كلمة «بصيرة» مصدراً من باب بصر ويبصر. لذا فقد ترجمها بهذه الصورة، بينما الكلمة في الواقع من باب: بصر ويبصر، بمعنى حجة وشاهد ثاقب النظر ودليل ومطلع، وكان من الضروري أن تترجم الآيتين على النحو الآتي:

"Qui! ce jour-là, l'Homme sera contre lui-même un témoin perspicace, même s'il présente ses excuses.

ويصبح المعنى: نعم (في ذلك اليوم، الإنسان سيشهد عليه شاهد بصير، مهما قدم أعذاراً.

ج-وفي سورة البقرة٢/ الآية ١٤و ١٥ في المصحف): «**ويمدهم في طغيانهم يعمهون**».

ترجمها بلاشير كما يلي: "..et il les prolongera dans leur rébellion".

ومؤداها: وأولئك في طغيانهم سيمددون.

إن فعل "Prolonger" بالفرنسية يتعلق حيناً بالزمان، وفي بعض الحالات بالأشياء، ولكن لا يتعلق بالشخص. (راجع قاموس: Robert, Littré). لكن بلاشير، اتباعاً منه لظاهر اللفظ القرآني، نسب ذلك للإنسان. ومن الواضح أن الشخص لا يستطيع التمديد. ولكن يمكن للزمان أن يطيل أمر طغيان الإنسان.

د ـ سورة طه ٢٠/ ١٤ (٤٠ في المصحف): **«فرجعناك إلى أمك كي تقرّ عينها»**. ومعناها: لقد أعدناك إلى أمك كي «تفرح» بك وتقر عينها.

ولكن بلاشير ترجمها:
"Nous te renvoyâmes (ainsi) à ta mère afin que rafraîschi fût son oeil".

ومؤداها: (بهذا الشكل، أرجعناك إلى أمك لكي تبرد عينها). فعبارة: تبرد عينها: هي ترجمة حرفية ودقيقة. ولكن هذا التعبير لا معنى له في اللغة الفرنسية، وكان الأولى به أن يستخدم العبارة التالية: "afin qu'elle se réjouit de te voir" بدلاً منها.

ثمة نقطة أخرى تؤخذ على ترجمة بلاشير. إذ أنه الوحيد، الذي أضاف من بين الذين ترجموا القرآن للفرنسية، قصة الغرانيق إلى نص القرآن، وذلك بعد الآية ٢٠ من سورة النجم، وهذا معناه أنه لم يتخلص بعد من قبضة الأحكام المسبقة في القرون الوسطى. لذلك فإنه في كتابه الآخر: **مدخل إلى القرآن** اعتبر الرواية صحيحة موثوقة، ولا يعلم بالضبط لماذا قرر في كتابه **لغز محمد** أن جميع الروايات الإسلامية غير جديرة بالثقة، ولكنه بالنسبة لهذه الرواية التي رواها ثلاثة رواة[٢٥] يعظّم قدرها؟ ربما كانت هذه المآخذ سبباً في جعل بعض المحققين يشكون في مصداقيته. ومع هذا فقد طبعت طبعته الثانية ثلاث مرات إلى الآن: في الأعوام ١٩٥٧ و ١٩٦٦ و ١٩٧٦. وقد نهج نهجه في ترجمة القرآن كل من أمير غديرة، ثم السيدة دونيز ماسون[٢٦]، وخاصة في ما يتعلق بالوسواس في مطابقة المتن. إلا أن أسلوب السيدة ماسون أكثر سلاسة وأبلغ من بلاشير. لذا طبعت ترجمتها عام ١٩٥٦، ثم جددت في الأعوام ١٩٥٧ و ١٩٦٦ و ١٩٧٧، ثم حصلت في طبعتها لعام ١٩٨٠ على موافقة جامعة الأزهر.

أما سعي بلاشير لاقتفاء أثر تحقيقات فلوگل ونولدكه حول تاريخ نزول الآيات، مما جعله يغير نظام ترتيب السور والآيات الموجودة والمتعارف عليها، فقد أثار ضده موجة انتقادات عنيفة إلى حد أنه على الرغم من المشقات التي تكبدها في التعديل الأخير، وتغيير مكان السور والآيات، فإن هذه الطبعة لم تطبع مرة ثانية[٢٧]. وربما لهذا السبب بادر العلامة الهندي الأصل محمد حميد الله المقيم في باريس (انتقل إلى جامعة استانبول)، إلى ترجمة معاني القرآن على

أساس قواعد التفسير المعتبرة دون جهود المستشرقين. ولقيت ترجمته كل ترحيب من جانب العالم الإسلامي. إلا أن نقصاً كبيراً أخلّ بقيمتها يتمثل في عدم اتقانه اللغة الفرنسية، بحيث يعترض القارئ أحياناً بعض الإشكالات، فقامت حينئذ السعودية، وألفت لجنة للنظر في تلك الترجمة من بين مجموعة من أهل الاختصاص في اللغة الفرنسية والثقافة الإسلامية، فقاموا بدراستها وإصلاح ما كان بحاجة إلى إصلاح، ثم صدرت النسخة الجديدة المنقحة عام ١٩٩٠ بصورة لائقة[٢٨]. ثم دعي الأستاذ حميد الله إلى السعودية بهذه المناسبة تكريماً لجهوده. على أن هذه الترجمة مع كونها أقل التراجم عيوباً، لكنها من حيث اللغة الفرنسية لا تخلو من بعض الهنات.

قبل سنوات عدة من الطبعة الأولى لترجمة العلامة محمد حميد الله، قام أحد أدباء المغرب، ويدعى أحمد بوديب، بترجمة القرآن الكريم مع حواشي وإيضاحات كثيرة[٢٩]، إضافة إلى مقدمة تدل على خلوص نيته وعمق إيمانه، ومملوءة في الوقت نفسه بروايات عجيبة غريبة، وبلغة فرنسية رائجة بين أبناء البربر (الأمازيغ)[٣٠]. والمترجم هو عضو في المجمع اللغوي المغربي أيضاً، وقد ذكر المصادر التي اعتمد عليها على النحو الآتي: **تفسير ابن عباس**، **تفسير الخازن** لمحمد بن ابراهيم البغدادي، **تفسير روح البيان** لاسماعيل حقي، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل** للبيضاوي، وأيضاً **صحيح البخاري** و**صحيح مسلم** و**موطأ مالك بن أنس** و**مختصر القرطبي** وغيرها[٣١].

لكن مع كونه محباً لآل البيت حسبما يظهر من كلامه، يزعم أن الإمام الحسين (ع) هو الخليفة بعد أبيه الإمام علي (ع)، وأن الحسنين توأمان، وأن الحسن حارب جيش يزيد في أيام عاشوراء، ولكنه جرح في الحرب، ففرّ من الميدان[٣٢].

مثل هذه الروايات العجيبة كثيرة في مقدمة كتابه، وكذلك الإيضاحات التي أسرف في تفصيلها في الحواشي. وهذا إن دل على شيء، فعلى كثرة الأساطير المنتشرة بين (الأمازيغ) البعدين في إفريقيا. ثم إن متن الترجمة أيضاً مليء بالأخطاء الإملائية والإنشائية، وكذلك قصيدته الطنانة في حمد الله، التي جعلها في أول المقدمة والتي لا روح شاعرية فيها، لا من حيث الألفاظ والأوزان والنغم. ومثل هذا الضعف مشهود في أعمال معظم المترجمين من أصل غير فرنسي، وحتى في ترجمة إمام مسجد باريس الشيخ حمزة بو بكر إمام الجماعة[٣٣]. ومع هذا، فإن ترجمة حمزة بوبكر لا تخلو من بعض الامتيازات، وإيضاحاته مفيدة، وأسلوبه رائق وعذب، وإن تكن الطبعة الأولى كثيرة الأخطاء الإملائية.

ثم أصدر الشاعر الفرنسي المعاصر جان كروزان[٣٤] ترجمة للقرآن الكريم، وكذلك نور الدين ابن محمود[٣٥] باقتباس واضح من ترجمة كازيميرسكي في عام ١٩٧٦مؤخراً. كما أصدر الأستاذ صادق بن مازيغ عضو المجمع العلمي التونسي عام ١٩٧٨ ترجمة للقرآن

الكريم، وقد أعيد طبع بعض هذه الترجمات. ثم بعد عام ١٩٨٥ أخذت عمليات الترجمة للقرآن تزداد وتتسارع، وما زالت كذلك، ولربما كان للثورة الإسلامية في إيران، التي عمت أخبارها أنحاء العالم، دور في هذا الأمر، وليست بعيدة منه. فالغربيون يودون معرفة السر الذي انطوى عليه القرآن ودين الإسلام، بحيث استطاع إثارة وتجنيد قوى عظيمة استطاعت في مدة يسيرة أن تهزم قوة مادية عظمى، كالنظام الملكي في إيران. وقد صدرت مؤخراً ترجمات عدة كما يلي:

- صلاح الدين كشريد - ١٩٨٤.
- المترجمون القاديانيون (الفرقة الأحمدية) - ١٩٨٥.
- ترجمة حميد الله والتدقيقات السعودية فيها - ١٩٩٠.
- رينه خوّام (René Khawam) ١٩٩٠.
- جاك برك (Jacques Berque) ١٩٩٠.
- أندريه شوراقي (André Chouraqui) ١٩٩١.

وتعتبر الترجمة الأخيرة لشوراقي ذات خصوصيات استثنائية. فهو مولود في الجزائر عام ١٩١٧، وأجداده من يهود أسبانيا الذين لجأوا إلى الجزائر في أوائل القرن السادس عشر وأقاموا فيها. وأندريه المذكور درس حيث ولد المرحلتين الابتدائية والمتوسطة. وكانت الجزائر آنذاك مستعمرة فرنسية، ثم سافر إلى فرنسا، وتابع دراسته في الحقوق والإلهيات والألسنة الشرقية. ثم سافر عام ١٩٥٧ إلى القدس واختار الإقامة فيها. ثم صار مستشاراً لبن غوريون بين عامي ١٩٥٩-١٩٦٣. وفي تلك الفترة شرع في الكتابة، فأصدر مؤلفات عدة في التاريخ والحقوق وترجمة وتفسير التوراة بالفرنسية. ثم صار بعد فترة معاوناً لرئيس بلدية القدس، وسعى لإيجاد تفاهم بين اليهود والمسلمين. وشوراقي يعرف جيداً اللغة العربية بصفة كونه عربي المولد، وكذلك اللغة الفرنسية التي تعلم بها، واللغة العبرية التي هي لغة ديانته. ومن جملة أعماله العلمية، ما عدا ترجمة القرآن، ما يلي:

- **ترجمة التوراة للفرنسية من النص العبري** La Bible, traduite et presentée par André Chouraqui, 1985
- **عهد جديد** Un pacte neuf
- **عالم التوراة: ١٩٨٩ - ١٩٨٥** L'univers de la Bible، هو تفسير للعهد القديم في عشر مجلدات.
- **العشق الذي هو أقوى من الموت** L'amour fort comme la mort, 1989

كان من المنتظر من عالم وصل إلى هذه الدرجة أن تكون ترجمته للقرآن جديرة بالأهمية ولائقة، ولكنه مع الأسف لم يفعل. ونحن، إن لم نتهمه بسوء الطوية، فلا أقل من أن نقول إن شوراقي لم يستطع أن يتحرر من قبضة الأحكام المسبقة والتأثر العميق بإرثه اليهودي القديم. وتدفع مطالعة كتابه القارئ للشعور بأن كل شيء في القرآن مصدره يهودي، وأن اليهود هم منبع البركات الأرضية والسماوية في الماضي والحاضر. بالإضافة لذلك سعى جهده لإرجاع الألفاظ العربية إلى أصل عبري، والعبرية القديمة، ثم حاول تعميم هذا الرأي على كل القرآن. ومثل هذا الموقف يتجاهل في الواقع التطورات التي مرت بها كلا اللغتين خلال ألفي عام. والنكتة الأولى في ترجمته تتعلق بالبسملة التي تقع في بداية السور، ما عدا سورة التوبة، وضمن سورة النمل ـ الآية ٣٠. وقد ترجمها بعد تقطيعها هكذا: Au nom d'Allah, le matriciant, le matriciel

لقد اجتهد المترجمون الفرنسيون للقرآن الكريم، سواء منهم المسلمون وغيرهم خلال أربعة قرون أن يستخلصوا الكلمات المعادلة لكلمتي الرحمن والرحيم بمعانيهما الأصلية، مثل Clément, compatissant, misericorieux, la source de misericorde, le maître de misericorde.

ولكن شوراقي الغارق في معتقداته، أعاد كل كلمة منها إلى أصل عبري، واعتبر أنها مشتقة من: رحمام (رحم) بمعنى وعاء الجنين (matrice)، فترجم الرحمن (matriciant) والرحيم (matriciel)، ثم يبرر ترجمته بأن الله من هذه الجهة (matriciant) يطلق عليه لأنه مصدر كل الموجودات، وهو في الواقع كالرحم للكون المخلوق. والصفة الثانية لله (matriciel) أيضاً هي لأن الله ليس مصدراً للموجودات فحسب، بل هو أيضاً سر بقائها ودوامها، مثله كالأم التي تحمل جنينها في بطنها، وتمنحه أسباب الحياة والبقاء[٢٦]. وبهذا الشكل فسر شوراقي الآية الأولى من سورة الفاتحة: الحمد لله رب العالمين، وترجمها هكذا: La désirance d'Allah, rabb des univers وكلمة (désirance) في بداية الجملة لفظة جديدة صنعها شوراقي من المصدر désirer واستعملها كمعادلة لكلمة الحمد. ومعنى المصدر المذكور: الميل والشوق إلى شيء مطلوب والغرام والعشق الشهواني (نسبة للجنس). وكلمة الحمد لا صلة لها أصلاً بهذا المعنى. ولكن شوراقي وضّح في الحاشية بأن الحمد في العربية له جزء بمعنى العشق والولع بالشيء. ولا ندري من أين جاء بهذا التأويل، وفي أي كتاب رأى ذلك؟ وإذا كان الأمر كما يقول، فعبارة La désirance d'Allah إذا كانت تعني العشق والمحبة لله، فهي جملة اسمية بدأت في السورة، فما هو الرابط بينها وبين بقية الآيات؟ ولماذا لم يرد مثل هذا التعبير في جميع المراجع التي اعتمدها[٢٧] كتفسير الطبري والفخر الرازي والبيضاوي والنسفي؟

وكلمة «متقين» الواردة في الآية الثانية من سورة البقرة، ترجمها بمعنى: المرتجفين. وفي

جميع آيات القرآن توجد عجائب من آرائه المستحدثة. فنص الآية الكريمة «**ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين**» ترجمة شوراقي: ,Voilà l'Ecrit, dont tout doute est exclu guidance des frémisseurs. وهنا يقارن شوراقي بين الآية مع ما يوجد في التوراة، حيث وردت «المرتجفين» أمام يهوه، وهذا دليل كاف في رأيه، لأن يترجم التقوى والمتقين بمعنى الارتجاف والمرتجفين. كما أن لديه دليلاً آخر، وهو أن الفرس حينما تذوب نعله يقال له في لغة عربية قديمة: متق لأنه حينما يمشي في أرض وعرة، فهو يرتجف[٣٨].

أمثال هذه الإسرائيليات في ترجمة شوراقي كثيرة. ومن المؤسف أنه عندما كان كاتب هذه السطور في باريس عام ١٩٩٥ لاحظ أن كثيراً من وسائل الأعلام والمطبوعات طبلت كثيراً في الدعاية لهذه الترجمة، وأنها من جملة أفضل الترجمات الفرنسية؛ هذا هو الأسلوب الحديث في القرن العشرين بين أتباع الديانات الكبرى، فيترجم القرآن على أنه جزء من التوراة التي تعرضت، خلال السنين الطويلة، لأنواع التحريف. وهنا أضيف نكتة، وهي أن شوراقي، بعد بلاشير المذكور، هما فقط أشارا في المقدمة وفي حاشية تفسير الآية ٢٠ من سورة النجم لقصة الغرانيق[٣٩].

وهكذا، كما لاحظنا منذ الطبعة الأولى لترجمة دورير ١٦٤٧ ولغاية عام ١٩٩١، وهو تاريخ طبع ترجمة شوراقي، كان القرآن قد طبع ٢٢ مرة. والآن توجد ترجمات تحت الطبع، سواء في فرنسا أو خارجها، هذا ما عدا النسخ المخطوطة المحفوظة في المكتبات، وخاصة المكتبة الوطنية في تاريس. وثمة تراجم ناقصة أو جزئية لم نشر إليها في هذا البحث. وثمة طبعات متكررة لترجمات سابقة، مثل ترجمة كازيميرسكي، وترجمة الأستاذ حميد الله، والتي طبع منها أعداداً كثيرة: نحو مائة ألف نسخة مثلاً، فيلزم إضافتها للفهرس.

والصحيح أن هذه الترجمات ليست كلها مبتكرة؛ أكثرها تقليد لما سبق، بل إن بعضها عبارة عن حذف لبعض الفصول وإضافة لفصول أخرى من ترجمات مختلفة لا أكثر. ومع هذا ففي خلال أربعة قرون حصل تقدم هائل. كما أن بين ترجمتي دورير وكازيميرسكي من جهة، والترجمات الأخرى التي تمت على أيدي بعض المسلمين أو المستشرقين من جهة أخرى، اختلافاً كبيراً. ولعل المترجمين في المستقبل يستفيدون من خبرة السابقين، فتظهر ترجمات نقية لا عيب فيها، إن شاء الله.

المصادر:

(١) بيار دوكلوني: (Pierre de Cluny) عاش من عام ١٠٩٢ إلى ١١٥٦. واختير في ١١٢٢ لرئاسة صومعة كلوني، وبقي في هذا المنصب حتى آخر عمره.

(٢) كان يطلق على الإسبان النصارى المتكلمين بالعربية آنذاك اسم المستعربين. وكانت طليطلة من البلاد الخاضعة للمسلمين لقرون عدة إلى أن سقطت بيد الأوروبيين عام ١٠٨٥.

(٣) حول دوكتون (Robert de Ketton) هكذا قالوا أحد القساوسة كان من طبعه تحريف النصوص غير الدينية حتى ينفر منه الجميع.

(٤) لمزيد من الاطلاع حول الترجمات اللاتينية للقرآن انظر:

Deux traductions latines du Coran au Moyen - âge, Thérèse d'Alverny, Mario 69-131, in *Archives d'histoire doctrinale et littéraire du Moyen-Age*.

(٥) حول المترجمين: أندريا أريڤابني (Andrea Arrivabene)، المترجم الإيطالي شويتگر الألماني (Schweitger) والهولندي. انظر.. IV, El 2434, *Al-kuran*.

(٦) André Duryer: *L'alcoran de Mahomet*, traduit d'arabe en français par... Sieur de Malzair, (Paris: 1647).

(٧) مارسيني (Marsigny) مدينة تقع في شمال فرنسا.

(٨) يستخدم الفرنسيون صفة اسم الفاعل واسم المفعول لبيان الحال، ويعدون ذلك جزءاً من الأزمنة، وهذه الصفات تصرّف أيضاً بصورة زمان الحال والماضي.

(٩) من أجل الاطلاع على الطبعات المتعددة لتراجم القرآن الكريم، بالإضافة إلى آخر طبعة من فهارس المكتبة الوطنية في باريس التي تتغير باستمرار، فقد استفدت مما يلي:

- *World Bibliography of Translation of the meaning of the holy Kuran printed translation, 1515-1980*, prepared by Ismat Bimark and Halit Eren, with introduction by Ekmeledin Ihsan öglu, (Istanbul: 1986), pp. 177-212.

وقد ترجم هذا الكتاب إلى الفارسية بواسطة محمد آصف فكرت، وطبعته مؤسسة مطبوعات عتبة القدس الرضوية في مشهد بإيران.

- *Le saint coran, traduction intégrale et notes de Muhammad Hamidullah* avec la collaboration de M. Leturamy S. 1.1981, Introduction pp. Ixxx - LxxIII.

(١٠) لمزيد من الاطلاع حول «الدين الفطري» انظر كتاب جواد حديدي، **الإسلام من وجهة نظر فولتير**، الطبعة السابعة، مركز النشر الجامعي ١٣٤٧هـ.ش. الصفحات: ٤٦ـ٤٨ و ٢٠٤ـ٢٣١.

بعد قيام الثورة الفرنسية وتعطيل دور الكنيسة، آمن الثوريون بأصول الدين الفطري تحت قيادة روبسبير الذي كان متأثراً تأثراً عميقاً بأفكار فلاسفة القرن الثامن عشر، وعلى الخصوص منهم جان جاك روسو وفولتير، فوضعوا طقوس عبادة للدين الفطري التوحيدي وسمّوه: *Le culte de l'Etre suprême* ومعناه: عبادة الوجود المتعالي. ولهذا الهدف أقاموا بناء تذكارياً عبارة عن تلة لا أكثر في ميدان وسط باريس. وبتاريخ ٨/٦/١٧٩٤ حمل روبسبير مشعلاً وأحرق تمثالاً يمثل عدم معرفة الله (Athéisme) وأخذ يطوف مع جماعات كثيرة من الناس ونواب المجلس حول ذلك البناء التذكاري، وصاح الأتباع بالنشيد المعروف خالق الدنيا، العقل السامي. ولكن هذا الاعتقاد كان تجريدياً زائداً عن الحد المطلق، ولم يكن موافقاً للروح العامة، فاضمحل بسرعة ولم تطل مدته.

المصادر:

(١١) كليــات فــولتــيــر طبع Moland ١٨٧٧، ١٨٨٥ المجلد ٢٤ ص ٥٣٤ (Needham) من ١٧١٣ـ
١٧٨١م بدأ حياته بدراسة العلوم الطبيعية ثم تحول إلى قسيس وألّف كتاباً باسم:
Recherches physiques et métaphysiques sur la nature et la religion.

عام ١٧٦٩ وطبعه، وقد حمل عليه وانتقده فولتير.

(١٢) Claude-Etienne Savary: *Le coran traduit de l'arabe*, accompagné de notes, précédé d'un abrégé de la vie de Mahomet. (Paris: 1873).

لويس لانجلز (Lois Langles) له تحقيقات وأبحاث حول سعدي والفردوسي

(١٣) Ludovico Marracci: Alcoranus tertus universus ccui praemisus ud refutationem Alcorani, Padoue, 1698, 2 volumus.

(١٤) سافاراي، ص ٢٤٦ حاشية رقم ١، وجميع الشواهد المأخوذة هي من طبعة ١٨٨٣.

(١٥) المصدر نفسه، ص ٢٧٩ حاشية رقم ١، ولمزيد من الاطلاع حول ترجمة سافاراي راجع ما كتبه جواد الحديدي في مجلة **ترجمان الوحي**، رقم العدد: ١ السنة الرابعة ربيع وصيف عام ٧٩ ص ٢٢ ـ ٣٤ تحت عنوان الترجمة الثانية للقرآن الكريم إلى اللغة الفرنسية.

(١٦) سيلفستر دوساسي (١٨٣٨ـ١٧٥٠) (Silvestre de Sacy) كان متخصصاً باللغة العربية ويعد واحداً من أكثر المستشرقين الفرنسيين نشاطاً، كما كان مطلعاً على لغات أخرى عدة (شرقية).

(١٧) *Journal Asiatique.*

(١٨) لمزيد من الاطلاع حول الصالونين الأدبين Clark, Cuvier وأثرهما في انتشار الاستشراق انظر:

- Raymond Schwab: *La renaissance orientale*, (Paris: 1950),p. 231 et suite
- Reinaud, *Monuments arabes, persans et turcs...* (Paris: 1828) t.II.

(١٩) لقد ضبط اسم كازيميرسكي بصورة عدة. ولكن مصادر المكتبة الوطنية في باريس اختارت ما يلي: Kazimirski, Biberstein, Albinde...

(٢٠)راجع مقدمة الجزء الثاني من **الشاهنامة** ترجمة جول مول.

(٢١) Fatma - Zaida: *Djaria odalyk Doul den Benjamine Ali effendi Agha*, L'Alkoran, (Lisbonne: 1861).

(٢٢) Regis Blachère: *Le coran, traduction nouvelle*, (Maisonneuve: 1949 - 1951).

وغيره من المستشرقين الكبار أمثال: لويس ماسينيون (Louis Massignon) وهنري كوربان (Henri Corbin) الذين قاموا بجهود وأعمال كبيرة في ميدان التصوف الإسلامي.

(٢٣) ترجم المرحوم الدكتور محمود راميار هذا الكتاب إلى الفارسية. وترجم آذرتاش آذرنوش الجزء الأول من هذا الكتاب إلى الفارسية وأصدره.

(٢٤) إن اصطلاح «زمين خوردن» هو في الأصل: «به زمين خوردن» أي الوقوع على الأرض ثم تدريجاً حذف حرف الجر لكثرة الاستعمال، وصار المعنى يحتمل الإبهام.

(٢٥) هم عبارة عن ابن سعد في **الطبقات الكبرى**، والكلبي في كتابه **الأصنام** والطبري في تاريخه.

(٢٦) لأمير غديره سوى ترجمته لمعاني القرآن المطبوعة ١٩٥٦ كتاب آخر مودع في المكتبة الوطنية باريس. Ameer Ghedira, *Méthode d'arabe letteral,* (Paris: 1960).

ويبدو أن غديره في تاريخ تأليفه للكتاب هو نوع من كتب تعلم اللغة العربية. وهو كان مدرساً برتبة أستاذ مساعد في جامعة ليون.

المصادر:

(٢٧) Denise Masson, *Essai d'interprétation du Coran inimitable: (Paris 1967).*
ولها كتاب *Le Coran et la révélation judéo - chrétienne*, (Paris: 1958).

(٢٨) لمزيد من الاطلاع انظر مقال دكتور جواد حديدي: انتقاد على ترجمة بلاشير في مجلة **ترجمان الوحي**، العدد الثاني من السنة الأولى خريف وشتاء عام ١٣٧٦ش ص ١٥ـ٤٠.

(٢٩) *Le saint Coran*, (Al-Madinah Al-Munawwarah: 1990).

(٣٠) Ahmed Boudib: *Le Coran glorieux*. (Paris: S.d. 1967).

ويشكر أحمد بو ديب الله في مقدمة الكتاب على توفيقه له بإنجاز مثل هذا العمل الكبير، رمضان ١٣٨٦ق معادل لشهر كانون الأول/ديسمبر ١٩٦٦م. وبناء على هذا، فإن الكتاب ينبغي أن يكون قد طبع بعد عام ١٩٦٧. لكن ذلك غير معلوم بدقة.

(٣١) المقدمة المذكورة ص ٣٠ ويقول بو ديب: إن جدّه الأكبر هو عمر أبو يحيى وجده القريب: عبدالله من مشاهير أعيان (الأمازيغ) المشهورين بالقبيلي.

(٣٢) المقدمة ص ٣١.

(٣٣) المقدمة العجيبة ص ٢٩ـ٣٠.

(٣٤) Jean Grosjean: *Le Coran*, (Paris: 1972). Si Hamza Boubakeur: *Le Coran*, (Paris: 1972).

(٣٥) Noureddin ben Mahmoud: *le Coran*, (Rabat, et Monaco: 1976). Sadok Mazigh: *Le Coran*, (Tunis: 1978).

(٣٦) André Chouraqui: *Le Coran*, traduit et présente par... Sourate 1, notes au verse.

(٣٧) المقدمة نفسها ص ٨.

(٣٨) الحاشية نفسها على ٢/٢.

(٣٩) المقدمة نفسها ص ١١، وأيضاً حاشية السورة ٥٣، الآية ١٩، ٢٠، ويرجى لمزيد من الاطلاع مطالعة مقالة: الترجمة ذات اللون اليهودي للقرآن باللغة الفرنسية؛ مجلة **ترجمان الوحي** عدد ٢ السنة ٣ خريف وشتاء ١٣٧٨ش ص ١٢ـ٢٦.

قراءات - إصدارات

- مكاتيب السنائي أبو المجد مجدود ابن آدم السنائي الغزنوي
- تاريخ إيران المعاصر: نحن والأغراب



مكاتيب السّنائي
أبو المجد مجدود بن آدم السّنائي الغزنوي

باهتمام نذير أحمد ومحمد رسول درياگشت،
(تهران: منشورات مؤسسة الدكتور محمد أفشار يزدي الوقفية،
سنة ۱۳۸۰هـ.ش).

الشاعر المشهور الحكيم السنائي الغزنوي هو من شعراء القرنين الخامس والسادس للهجرة، وتاريخ ولادته أو وفاته ليس معروفاً بدقة. لكن يرجّح يوم ولادته إلى ما بين ٤٦٣هـ إلى ٤٧٣هـ، ووفاته بين ٥٢٥هـ إلى ٥٤٥هـ.

هذا الحكيم الشاعر هو واحد من كبار الشعراء، وكان شيعيَّ المذهب وعارفاً مشهوراً. ولد في غزنين أو غزنة، وأمضى شبابه في مدح عدد من السلاطين في غزنة، ثم سافر إلى مدن خراسان وأمضى سنوات عدة في المدن المعروفة، مثل هرات وبلخ وسَرَخْس ونيسابور. بعدئذ ذهب إلى الحج، وعاد مجدّداً إلى خراسان، وفيها التقى أكابرَ مشايخ الصوفية الذين تأثر بهم، وظهر ذلك الأثر في أشعاره. ويرى بعض المحققين أنه مريد للشيخ أبي يوسف يعقوب الهمداني، وهو من كبار شيوخ التصوّف في خراسان.

أخذ هذا الشاعر تدريجاً ينزوي ويزهد ويحاول أن يصل إلى حقائق التصوّف، فانقلب باطنه في هذا الزمان، وأخذ ينشد قصائد في الزهد والتصوّف، وله في ذلك آثار معتبرة سنشير إليها.

في هذه الفترة كانت همته منصرفة - بشكل عام - لأبحاث التصوف والحكمة. ويرى المحققون في أحوال السنائي وآثاره، أنه أحدث في الشعر الفارسي تنوّعاً وتطوّراً، إذ أن أشعاره، في فترة تطوّره نحو التصوّف، تحمل أفكاراً دينية ووعظية بأسلوب بليغ وجذّاب. وقد اقتبس في أشعاره كثيراً من التراكيب العربية والآيات القرآنية والاستدلالات العقلية، حتى وصل إلى النتائج التي كان يسعى إليها. وهو في الواقع من أوائل الشعراء الذين مزجوا أفكار التصوّف بالروح الشاعرية. إلا أنّ إدراك معاني السنائي تغدو صعبة أحياناً بسبب أسلوبه الغامض، وهذا هو الدليل على بداية التصور العميق للشعر الفارسي، إذ قلّده الشعراء، فابتعدوا عن السهولة والوضوح في أشعارهم. وقد أشار المحققون إلى أن والده آدم السنائي كان أيضاً

من أكابر العلماء، وله حظّ من الشعر. ثم إن الحكيم السنائي بعد أسفاره الطويلة نسبياً، رجع مع أفراد عائلته إلى غزنين، وتوفي فيها. أما آثاره التي وصلتنا، سواء النثرية أو الشعرية، فهي كما يلي:

- ديوان شعر يشتمل على قصائد وغزليات وتركيب بند وترجيع بند ومقطوعات ورباعيات، في حدود ثلاثة عشر ألف بيت (١٣٠٠٠). وقد طبع هذا الديوان عام ١٣٢٠هـ.ش،باعتناء وتصحيح المرحوم محمد تقي مدرّس رَضَوي. كما قام الدكتور مظاهر مصفّى عام١٣٣٦هـ.ش، بطبع نسخة أخرى من ديوانه؛

- **حديقة الحقيقة وشريعة الطريقة**، وهو مثنوي معروف يصل عدد أبياته إلى اثني عشر ألف بيت (١٢٠٠٠)، وقد عرف باسم «إلهي نامه» و «فخري نامه». وقد قام بطبع هذا الأثر مدرّس رضوي عام١٣٢٩هـ.ش؛

- **سير العباد**: مثنوي أنشده على وزن الحديقة، وقد أتّمه السنائي في مدينة سرخس، وتصل أبياته إلى حدود خمس مئة بيت (٥٠٠). لكن الدكتور سعيد نفيسي يرى أن أبياته تصل إلى سبع مئة وخمسة وسبعين بيتاً، وقد طبع عام ١٣١٦هـ.ش؛

- **طريقة التحقيق**: وهو مثنوي على وزن الحديقة، وقد طبع في شيراز عام ١٣١٨هـ.ش. من جانب البروفسور بواوتاس السويدي؛

- **كار نامه بلخ**: وهو مثنوي آخر على وزن الحديقة، ويتضمن خمس مئة بيت، وقد أنشد في بلخ، وطبعه المرحوم مدرّس رضوي في ١٣٣٤هـ.ش؛

- **عشق نامه**: وهي منظومة تشتمل على تسع مئة بيت، وعلى وزن الحديقة المذكورة؛

- **عقل نامه**: وهي -أيضاً- على وزن الحديقة، وعدد أبياتها مختلف فيه.

- **تحريمة القلم**: وهو مثنوي صغير محفوظ في حدود مئة وعشرين بيتاً، وتوجد منه نسخة مصوّرة في المكتبة الوطنية (ملك) وتاريخ كتابتها ٦٨٣هـ.ق؛

- **تجربة العلم**: وهو مثنوي منظوم يشتمل على ثمان مئة واثنين وثلاثين بيتاً، وقد طبع في طشقند طبعة حجرية عام ١٣٣٦هـ.ش؛

- **غريب نامه**: (يرى المرحوم مدرّس رضوي أن الأصح هو: قريب نامه): ويوجد منه نسخة بحسب الظاهر في المدرسة المعروفة باسم سِپَهْسَالار العالية (شهيد مطهري في الوقت الحاضر).

وتوجد بعض الآثار النثرية للحكيم السنائي، مثل:

- **رسالة الاعتراض**: ويقال إن هذه الرسالة كتبها السنائي اعتراضاً منه على الخيّام،

وتوجد نسخة منها في استنبول؛

ـ **رسالة مقدمة نثرية**: إذا أردت توضيحات حولها، فارجع إلى ما كتبه كلّ من مدرّس رضوی، والدكتور مصفّى في مقدمة ديوان السنائي؛

ـ هناك رسالات صغيرة متفرقة ومتناثرة، وقد جمع بعضها وطبعها تقي الدين الكاشي في **خلاصة الأشعار**؛

الرسائل أو مكاتيب السنائي (وهي موضوع الكتاب الحاضر) يشتمل على سبع عشرة رسالة، كتبها السنائي إلى أصدقائه من الوزراء وأكابر غزنين، مثل الوزير قوام الدين والحكيم عمر الخيام وبهرام شاه الغزنوي وخواجه أحمد مسعود، وآخرين. كما أشير إلى ذاك في مقدمة الكتاب.

توافرت خمس نسخ من هذا الأثر استفاد منها في مقابلة بعضها ببعض البروفسور نذير أحمد، وهو الذي أمضى أكثر من أربعين سنة في جامعات لكنهو وعليگره في الهند يدرّس اللغة الفارسية والأدب الفارسي، وهو من علماء الشرقيات المشهورين والغزيري الإنتاج.

طبع هذا الأثر لأول مرة عام ١٩٦٢ في الجامعة الإسلامية (عليگره) ثمّ جُدّد طبعه عام ١٩٧٧ في كابول (عاصمة أفغانستان). وقد صدرت حالياً طبعة جديدة منقّحة من هذه المكاتيب، وقد علّق عليها الدكتور نذير أحمد، بما يزيد عن مئة وسبعين صفحة في الحواشي والتعليقات.

انفصال هرات: زوايا من العلاقات الخارجية لإيران (١٢٠٠ ـ ١٢٨٠ هـ)

منصورة نظام مافي

(تهران: نشر كتاب سيامك، ١٣٨٠هـ.ش).

يبحث هذا الكتاب قضية انفصال هرات، أي سلخ منطقة هرات عن الدولة الإيرانية في عهد القاجار، ومساعي الحكومة من أجل الاحتفاظ بها، والدسائس الإنكليزية والروسية في القرن التاسع عشر.

هذا هو الموضوع الأصلي للكتاب، ولكنه يشتمل إلى ذلك على تشكيلة الإدارة السياسية الخارجية، والتشكيلات الإدارية الإيرانية منذ بداية عهد القاجار. إذاً فالبحث يشمل نطاقاً أوسع بكثير من قضية هرات.

يشتمل الكتاب على مقالات متعددة:

الأولى حول العوامل المؤثرة في رسم السياسة الخارجية الإيرانية في عهد آقا محمد خان وفتحعلي شاه قاجار، ثم مقالتين منفصلتين حول اختلاف إيران والانكليز بسبب هرات.

«علاقات إيران وفرنسا وقضية هرات» هو عنوان المقالة التالية، وتتضمن الآمال التي علقتها إيران على استغلال نفوذ دولة فرنسا خلال الحروب بين إيران وروسيا دون جدوى.

«عواقب مسألة هرات» هي المقالة الأخيرة في هذه المجموعة، وفيها يتحدث المؤلف عن الفشل النهائي للمراسلات السياسية بين إيران وبريطانيا حول هذا الموضوع، وكذلك تلاشي الآمال بتدخل فرنسا كقوة ثالثة، مما أدى إلى تجزئة هرات وانفصالها عن الوطن الأم إيران.

تاريخ إيران المعاصر: نحن والأغراب

نصرت الله جهانشاه لو أفشار

(تهران: ورجاوند، ١٣٨٠هـ.ش)

لا نملك حول فرقة «ديمقراط آذربايجان» مستندات أو مذكرات جديرة بالاهتمام، وذلك على خلاف حال شركائهم الأساسيين، أي «حزب توده» نظراً إلى قصر مدة نشاطهم ثم زوالهم قياساً إلى حزب توده، ثم انزواء معظم رؤساء تلك الحركة في مدينة باكو (عاصمة آذربايجان السوفياتية سابقاً) بينما كان كثيرون من رؤساء حزب توده يتجولون بحرية في موسكو وبلاد أوروبا الشرقية، وفي النهاية استطاعوا الخروج (من الستار الحديد السوفياتي) في حين لم يحظ زعماء فرقة «ديمقراط آذربايجان» بمثل هذه الحرية، ومات معظمهم مهملين ومنسيين. ومن هنا يجب النظر إلى مذكرات الدكتور جهانشاه لو أفشار في هذا المجال كغنيمة في الواقع. فالدكتور نصرت الله جهانشاه لو يتصل نسبه بإحدى العائلات النافذة في «زنجان»، وحُكم عليه بالسجن في زمن رضا شاه بتهمة الانتساب إلى جماعة «٥٣ نفر» المرتبطة بالدكتور «أراني»، ثم انضم في صيف ١٣٢٠هـ.ش (١٩٤٢م) إلى حزب توده. وعندما تم تشكيل فرقة «ديمقراط آذربايجان» جاءت الأوامر من موسكو بأن يلتحق كعضو بقيادة تشكيلات تلك الفرقة.

يتحدث المؤلف في المذكرات، وبعدما وصف أيامه في السجن ونشاطه الحزبي في السنوات التالية، عن تشكيل تلك الفرقة من أجل الضغط على حكومة إيران بعدما عجزت موسكو عن تحقيق أطماعها في نفط الشمال.

وفي هذا المجال ينبغي ذكر الدور المهم للمؤلف في التشكيلات المشار إليها، إذ احتل

منصب معاون سياسي لمير جعفر بيشه وري «صدر فرقة»، وكشف في المذكرات عن تطورات لم يعلم بها كثير من المؤرخين، منها المراقبة اليومية والمستمرة من جانب أصحاب الرتب العسكرية في الجيش الأحمر في أثناء تشكيل تلك الفرقة، ثم تهيئة الأسباب لانفراط عقد ذلك التشكيل بعدما توافق كل من قوام السلطنة مع أهل الحل والعقد في موسكو في شهر خرداد ١٣٢٥هـ.ش (ربيع ١٩٤٧م)

وثمة نكتة مهمة في هذه المذكرات في وصف جهانشاه لو لأيام الهجرة، أي مصير وحوادث كثيرة لعدد كبير من رجال الفرقة النافذين بعد لجؤهم إلى الاتحاد السوفياتي.

القلم والسياسة

محمد على سفري

(تهران: نشر نامك ١٣٨٠هـ.ش) ٨٦٠ صفحة.

بعد انجاز طبع المجلد الرابع من كتاب «قلم وسياست» ووفاة محمد على سفري بعد فترة قصيرة من طباعة المجلد المذكور، اكتملت مجموعة تتعلق بالتطورات التاريخية والسياسية لإيران المعاصرة.

اهتم محمد على سفري منذ أيام شبابه بالصحافة، مثل باختر إمروز، ووقف نفسه على «القلم»، واستمر كذلك حتى أخر أيامه.

في هذه المجموعة المؤلفة من أربعة مجلدات، أورد الكاتب، إضافة إلى تجاربه الشخصية وتحقيقاته الخاصة، التطورات السياسية في إيران منذ الأيام التي جرى فيها تنصيب رضا شاه في صيف ١٣٢٠ هـ.ش (١٩٤١م) إلى انتصار الثورة وسقوط الشاه محمد رضا بهلوي (١٩٧٩م).

ونظراً لميول المؤلف للنهضة الوطنية (الجبهة الوطنية أيام مصدق) التي قامت على ذلك الأساس، فإن التطورات المذكورة قد بحثت من هذا المنظار غالباً.

ويتعلق المجلد الرابع من «القلم والسياسة» في معظمه بمصير النظام الملكي في أيامه الأخيرة، خاصة التطورات والأحداث بعد سقوط وزارة شريف إمامي، إلى خروج الشاه من إيران. وفي الخاتمة بحث في فصول عدة في الحركات المعارضة للنظام البهلوي وخلفياتها.

الوثائق والمستندات

الوثائق السياسية لعلاقات إيران وحكومة الروس القيصرية

فاطمة قاضي

(تهران: مركز اسناد وتاريخ ديبلوماسي، ١٣٨٠هـ.ش).

في هذين المجلدين مجموعة متنوعة من الوثائق المتعلقة بالروابط السياسية بين إيران وروسيا القيصرية في أواسط القرن التاسع عشر إلى بداية الحكم البلشفي بعد الانقلاب الأحمر سنة ١٩١٧ وسقوط النظام القيصري.

كما يتضمن البحث القضايا والمباحث اليومية العادية ومسائل الحدود، والعلاقات التجارية بين البلدين، وموضوع تسوية الغرامات حسب «معاهدة تركمانجاي» وقضايا الرعايا من البلدين، والبحث في موضوع الصيد (شيلات)، وإلى جانبها مواضيع سياسية مهمة، كموضوع «هرات» ومساعي الإنكليز وسياسة العثمانيين... إلخ.

على أن ما ورد في هذه الوثائق من حيث الكم والكيف يعطي صورة معبرة وعامة مفيدة في التعرف على أهم القضايا والمسائل المطروحة في العلاقات الإيرانية ـ الروسية في تلك الفترة.

وثائق مختارة من الإنذار الروسي لإيران

سيد سعيد مير محمد صادق

(تهران: مركز اسناد وتاريخ ديبلوماسي، ١٣٨٠هـ.ش)، ٨٤٠ صفحة

ليست لدينا وثائق مهمة حول حادثة «الإنذار» الروسي لـ «موركان شوستر»، و التي أدت في النتيجة إلى إتمام الحجة المبنية على إخراجه، والاحتلال العسكري لأجزاء واسعة من شمال إيران.

ومع أن المستندات المتوافرة في مجموعها لا تغطي أصل الموضوع، ولا تشتمل على المكاتبات والمحادثات التي جرت بين الأطراف الثلاثة ـ إيران وروسيا وإنكلترا ـ فإنها من حيث إشارتها إلى انعكاس هذه القضية في الحوزات الأخرى، ذات أهمية لا بأس بها.

وثمة جزء مهم من هذه الوثائق يتعلق بالبرقيات الواردة من سفارة إيران في الولايات المتحدة، وتتضمن ردود فعل الدوائر الرسمية في أميركا، إضافة إلى الأفكار العامة بالنسبة لهذه الواقعة.

كما تتضمن الوثائق أخباراً منقولة عن الصحف الإنكليزية، وردود فعل جهات عدة، منها الحكومة الألمانية، وحركات بعض علماء النجف الكبار، وأخيراً التظاهرات الواسعة في خراسان وأصفهان.

وثائق الغابات

رسائل رشت ووثائق نهضة الغابات

ايرج افشار

(تهران: نشر فرزان،١٣٨٠ هـ)

هي مجموعة وثائق وأخبار متفرقة حول نهضة الغابات، ويُطبع بعضها لأول مرة بالفارسية... بعض هذه الوثائق والأخبار، مثل رسائل مندوبي الحاج حسين آقا أمين الضرب، هي حول التطورات المحلية لمنطقة كيلان في تلك الفترة، وكذلك أجزاء من مذكرات أبو القاسم كسمائي وبرقيات هيئة المبعوثين من طهران إلى كيلان ذات الوجه الداخلي، واستخرج بعضها الآخر من مصادر خارجية.

وفي هذا المجال يمكن الإشارة إلى ترجمة تقارير السفارة الألمانية في طهران، والخاصة بالتحركات الإنكليزية والروسية المتعلقة بتلك الجهات.

وأيضاً رحلة مختصرة بقلم ولهلم زور، وهو تاجر ألماني استطاع بمعاونة «ميرزا كوچك خان» أن يخرج من إيران.

وثمة مقالات عدة من مطبوعة إنكليزية «سويت راشيا» وترجمتها: روسيا الحلوة، عن تدخل الروس العسكري في ميناء (انزلي) على بحر قزوين، وفيها تبيان لنظرة الروس الرسمية في هذا المجال.

ثم تتضمن المجموعة بعض مذكرات نيكيتين القنصل الروسي القيصري السابق في أرومية وأخبار أستر آباد، وفيها إشارات لتطورات انتفاضة الغابات في هذه الفترة والمنشورة سابقاً.

إصدارات سياسية

تقدير الديمقراطية الشعبية ـ أثر الانتخابات في المسار الديموقراطي في إيران

محبوب شهبازي

(تهران: روزنه ١٣٨٠هـ)٣٦٠ صفحة.

هدف الكتاب هو تثمين الديموقراطية

الشعبية، وبيان كيفية تحول المجتمع الإيراني إلى نظام سياسي ديموقراطي بالاستفادة من أسلوب علم الاجتماع التطبيقي والتاريخي.

هذا البحث هو قبل أي شيء آخر البحث حول أثر الانتخابات في ترسيخ وتجذّر الديموقراطية في إيران. وهو يفترض أن نظام الجمهورية الإسلامية في إيران هيأ المجال والشرائط اللازمة لإقامة نظام الديمقراطية الشعبية في الانتخابات.

الكتاب مقسم إلى أربعة فصول: الفصل الأول تحت عنوان «الأساس النظري للبحث» ويتناول أولاً معنى ومبنى الديموقراطية. وبعد عرض التعريفات والتفسيرات المختلفة يتحدث عن المشاركة السياسية للمواطنين من سكان المدن في انتخاب ما يتعلق بمصائرهم السياسية، وأن ذلك هو جوهر الديموقراطية وأصلها.

ثم بعد ذلك يعرض كون المشاركة السياسية أساساً للديموقراطية، وأن المشاركة الواقعية والمنافسة هما العنصران الأساسيان للديموقراطية.

وفي الفصل الثاني من الكتاب يتناول المؤلف موضوع الانتخابات باعتبارها رمزاً أساسياً للمشاركة والمنافسة، الأول، مقارنة انتخابات رئاسة الجمهورية في بلدان عدة، ثم سلامة وكيفية مراقبة الانتخابات.

وبعد هذه المباحث يتطرق الكاتب إلى بناء النظام السياسي الإيراني والديموقراطية الشعبية. وفي هذا البحث يذكر العوامل التي تعزّز مسار الديموقراطية في إيران، ثم يبحث حول القانون الأساسي في إيران نقداً وتمحيصاً. كما أنه مر على دورات الانتخابات السابقة لرئاسة الجمهورية وناقشها بالتفصيل، وكان اهتمامه معطوفاً بشكل خاص على انتخابات ٢ خرداد ١٣٧٦هـ.ش.

ونشير في ما يلي إلى فهرست بعض النتائج التي خلص إليها محبوب شهبازي:

- إن الانتخابات بحد ذاتها، وإجراءها بصورة متناوبة ومنتظمة ودوراتها المتتالية هي إحدى علامات الديموقراطية الشعبية البارزة؛
- إن تكريس قاعدة انتقال السلطة السياسية من جماعة إلى أخرى هو أيضاً من أهم خصوصيات النظام الانتخابي (كارويزة)؛
- من نتائج النظام الانتخابي تهيئة المجال للنخبة كي تتحرك وتغير الطبقة الحاكمة بشكل مستمر؛
- تعد الانتخابات العامل المنظم في صنع الثقافة السياسية؛
- تقلل من التصرفات الخشنة في المجتمع؛
- إن تنظيم الانتخابات الواقعية، وازدياد المشاركة فيها، واتساع المنافسة السياسية بين الجماعات المختلفة تمهد السبيل لإيجاد التنافس بين الفئات المختلفة في المجتمع، كما يساعد على بروز الجماعات النشطة في المجال السياسي والاجتماعي؛
- إن الانتخابات الحرة والنزيهة هي من أهم الوسائل للمشاركة السياسية التي تؤدي إلى حفظ المجتمع وسلامته من أخطار النشاط السري للأفكار المتطرفة؛
- النظام الانتخابي يزيد من إحساس رجال الحكم بضخامة المسؤولية الملقاة على عاتقهم، ومراعاة شعور ومطالب المجتمع؛
- يوطد النظام الانتخابي الأوضاع السياسية للحكام ويزيد من قدرتهم على التجاوب مع أماني الشعب، كما يزيد المشاركة بين طبقات المجتمع؛

- من خصائص النظام الانتخابي تعديل العلاقات بين الحكومة وفئات المعارضة؛

- وأخيراً، فإن عقلنة الفكر الاجتماعي هي من جملة نتائج الانتخابات.

ويعتقد الكاتب أن الانتخابات هي وسيلة حفظ وتكامل للجمهورية الإسلامية في إيران، وتقود إلى الديموقراطية الشعبية، ومن جهة أخرى تعد الانتخابات بمثابة المرآة التي تظهر أحوال المجتمع الواقعية وتدل على الكثرة والتنوع الذاتي والداخلي.

فعاليات

- جلال الدين الرومي والشعر الصوفي: ندوة في السودان
- ندوة في قطر حول جلال الدين الرومي

السودان تستضيف ندوة بعنوان:
جلال الدين الرومي والشعر الصوفي:

عُقدت ندوة في السودان المشبع بروح التصوّف والعامر بالطرق الصوفيّة، حول جلال الدين الرّومي - المعروف في إيران وشبه القارة الهندية وتركيا وسواها بلقب «المولوي» أو «مولانا» - تحت عنوان: «مولانا جلال الدين الرومي «المولوي» والشعر الصّوفي»

في قاعة الزبير الكبرى للمؤتمرات رعى البروفسور عبد الرحيم علي محمد إبراهيم مدير معهد الخرطوم الدولي للغة العربيّة (جامعة الدول العربية) الندوة التي اشترك مع المستشارية الثقافية الإيرانية في الخرطوم في تنظيمها وإقامتها باهتمام متواصل بذله المستشار الأستاذ صادق رمضاني.

حضر الندوة وشارك بكلمة فيها الأستاذ صدّيق المجتبى وزير الثقافة السوداني وجمع من الوزراء والمسؤولين الرسميين والمثقفين والشعراء السودانيّين، إضافة إلى جمهور سودانيّ غفير من الأساتذة والطلاّب الجامعيين وأركان سفارة الجمهورية الإسلامية الإيرانية، يتقدمهم السفير حميد بيات.

الجلسة الصباحيّة الأولى تولّى تقديمها الدكتور عبدالله محمد أحمد رئيس قسم اللغة العربية بجامعة الخرطوم، وتوالى برنامجها على الشكل الآتي: كلمة الافتتاح للأستاذ صادق رمضاني گل افزاني تحدث فيها عن مكانة الرومي في عالم التصوّف وأهميته العالمية. ثم قرأ بيان حجة الإسلام والمسلمين محمد عراقي رئيس رابطة الثقافة والعلاقات الإسلامية (إيران) بعد ذلك تكلّم السفير بيات حول التعاون الإيراني - السوداني وأهميّة المؤتمر بالنسبة إلى الدولتين والإنسانية: ثم جاء دور راعي الندوة البروفسور عبد الرحيم علي الذي تناول أهمية انعقاد الندوة الصوفيّة وأثر ذلك في استرعاء النظر إلى القيم الروحية التي يمثلها جلال الدين الرومي والتي تحتاج إليها الإنسانية في عصرنا.

ثمّ خُصصت الجلسة الأولى بكاملها لمحاضرتي الدكتور فكتور الكِك والدكتور حسين

رزمجو. وقد بيّن الدكتور الكك الأثر الكبير الذي أحدثه الرّومي المولوي في شبه القارة الهندية وتركيا والبلقان والشرق الأوسط، وأبرز أثره الكبير في فيلسوف الإسلام العالميّ بالقرن العشرين وشاعره الأكبر محمد إقبال الذي اعتبر الرومي أستاذه ومرشده الروحي ومفجر عبقريته الشعرية، فكان بذلك كله حافزه ليكون الأب الروحيّ لولادة دولة باكستان..

من جهة أخرى، نبّه الدكتور الكك إلى أمر قلّما تنبه له العرب، حتى خاصتهم، هو الكمّ الهائل من الغزل الصوفي الذي أبدعه الرومي بالعربيّة البالغ ألف بيت من الشعر العربي! وقوّمه من حيث مضمونه وصياغته، وأعلن عن إخراجه، قريباً، منشوراً مع بحث فيه ليفيد منه العرب وقرّاء العربيّة.

تناول البروفسور رزمجو ـ الأستاذ بجامعة الفردوسي في مشهد والأمين العام للجنة اليونسكو الوطنية الإيرانية سابقاً، موضوعه حول الرومي في العناوين الآتية:

ـ التصوّف والصوفيّ؛

ـ التصوف والزهد والعبادة؛

ـ التصوّف المتسم بالعشق؛

ـ التصوّف الإيجابي والسلمي؛

ـ ما العرفان والعارف الحقيقي.

أما القسم الثاني، وهو لبّ الموضوع فقسمه هكذا:

ـ مولانا والإنسان الكامل؛

ـ رموز الإنسان الكامل وعناوينها في آثار المولوي.

استطاع الدكتور رزمجو، بفضل دراساته المستفيضة للأدب الحماسي والعرفاني التي نشرت في إيران، أن يبرز تفوّق مولانا في هذا المضمار المميّز، وأن يضعه في سياق تراث التصوّف الإيراني، من خلال سنائي الغزنوي والعطار النيسابوري وسواهما، وأبان ما يميزه في توجيهه التصوف توجّهاً اجتماعياً في مرافقة الناس وصحبة الصالحين ومجاراة الأصدقاء الروحانيين.

أما الإنسان الكامل فهو رمز لصفات الله وتجلّيه، يشكّل أسوة في الحياة الروحيّة، فهو الكيمياء السحرية والكبريت الأحمر. إنه: الوليّ والشيخ والعتيق والقطب والغوث والطبيب الروحاني والكامل والبالغ ورجل الحق وخضر الزمان. ويرى نموذجه في شمس التبريزي الذي أرشده فتعلقت روحه به، مثالاً أعلى.

وقد لاقت محاضرة الدكتور رزمجو قبولاً واستحساناً بما جاءت به من تعريفات ونقاط

دقيقة ألقت الضوء على جوانب من فكر مولانا وعرفانه ومسلكه الإيجابيّ وإيمانه العميق.

الجلسة الثانية

رأس الجلسة الثانية الدكتور عبدالله صالح أبو بكر الذي تفضّل بالثناء على دور اللبنانيين في النهضة العربيّة الحديثة واعتبار المثقفين السودانيين أن اللبنانيين هم روّادها ومتعهدوها والمبدعون فيها والمستمرّون في هذا الإبداع حتى اليوم في جميع مجالات الأدب والفكر والفن...

ثم قدّم المتكلمين واحداً واحداً بالترتيب الآتي

- الأستاذ صدّيق المجتبى، وزير الدولة بوزارة الثقافة في السودان.
- اللواء الخير المشرف.
- الأستاذ سيف الدين الدسوقي.
- الأستاذ التيجاني حاج موسى.
- الدكتور عبدالله صالح، الذين قرأ قصيدة «الناي» من «المثنوي» للرومي.

وقد شكّلت هذه الجلسة مهرجاناً شعريّاً مونقاً أضاف إلى بستان الروميّ الأخضر أبداً والمزهر باستمرار، خضرة وزهراً. ولا عجب فالسّودان خصب بشعرائه وبالطرق الصوفية، ومثقفوه واسعو الاطلاع على تواضع وخفض جناح، سواء كانوا في سدّة السلطة مثل صدّيق المجتبى وسواه، أو خارجها.

خلاصة القول أنّ ندوة الخرطوم حول التصوّف وجلال الدين الرومي تجاوزت النجاح في أبحاثها ومضمونها إلى التنبه لما لحضارتنا من رصيد إنساني روحاني مميز لم نستثمره بعد كما ينبغي لما فيه خيرنا وخير الإنسانية جمعاء. كما أننا لم نحسن استثمار هذا الرصيد في تربية ناشئتنا في المدارس والجامعات بإدخاله في صميم برامج الأدب والفلسفة والعلوم الاجتماعية، بحيث تتلافى حالات الضياع والحيرة التي تنتاب ناشئتنا، في هذه الأيام الصعبة، ونرسم لهم غاية نبيلة ترتفع بهم إلى مستويات السموّ الإنساني.

زد على ذلك أنها، أي هذه الندوة، استرعت الأفكار إلى ما في التراث الإيراني من كنوز مخبوءة، وإلى ما بين الأمتين العربية والإيرانية من اشتراك في الحضارة بوجوهها المتعددة. وهذا ينطبق في الوقت نفسه، على ندوة قطر التي انعقدت قبيل ندوة السودان. فإلى ندوات أخرى، في بلدان عربيّة أخرى، تشدّ الأواصر وتقوّي التواصل والتعاون.

ندوة في قطر
حول جلال الدين الرومي

دعت جامعة قطر، وكلية الإنسانيات والعلوم الإجتماعية فيها تحديداً، بالتعاون مع المكتب الإقليمي لمنظّمة اليونسكو والمستشارية الثقافية للجمهورية الإسلامية الإيرانية في قطر إلى ندوة دولية حول العارف الإيراني الإنساني جلال الدين البلخي الرومي. وهي من الندوات الرائدة حول هذا الشاعر الصوفيّ العرفانيّ العالميّ، إذ لم يسبقها سوى مؤتمر عُقد في جامعة كولومبيا بمدينة نيويورك الأميركية في حزيران/ يونيو ١٩٩٧.

وقد هدفت جامعة قطر من عقد هذه الندوة الدولية إلى تعريف الأجيال الجديدة العربية والمسلمة والعالميّة بعَلَم مميّز من أعلام الثقافة الإسلاميّة والإنسانية على المستوى العالميّ، ولا سيّما أنه عاش خلال ما يسمّيه العرب عصر الانحطاط، أي في القرن السابع للهجرة/ الثالث عشر للميلاد.

مكانة مولانا الرّومي

يعتبر الرّوميّ أبرز شاعر صوفيّ عرفاني على المستوى العالمي من حيث الكمّ الهائل من التراث الشعريّ والنثري الذي خلّفه. فقد بلغ ميراثه الشعريّ نحو سبعين ألف بيت من الشعر الصوفيّ (٧٠,٠٠٠)، إضافة إلى كتبه ومدوّناته النثرية. ولسنا نعرف في آداب العالم من يضاهيه غزارة إنتاج. أما من حيث الكيفيّة فهو، على تفاوت مستوى غزليّاته العرفانية بالفارسيّة والأبيات الألف التي صاغها بالعربيّة، إضافة إلى منظومته الشهيرة **المثنويّ المعنوي**، يعتبر طليعة شعراء التصوّف والعرفان، بما طرحه من أفكار، وأبدعه من صور، وما تحمله أشعاره من حرارة صوفية وهيجان عرفانيّ يستخفّ الحليم ويثير الإعجاب. وقد وُصفت منظومته الشعرية المطوّلة **المثنوي المعنويّ** بأنها «قرآن العجم» لموسوعيتها وكثرة اقتباسها من القرآن والحديث النبويّ والعلوم الإسلامية وعلوم الأوائل، ولإبداعه الشعريّ والقصصي والتربويّ العرفاني فيها.

كان من الطبيعي، والحال هذه، أن يحدث الرّومي تأثيراً عالمياً على صعيد الشعر ومستوى

الفكر، وفي مضمار التصوّف والعرفان. فقال فيه المفكر والشاعر الإنسانيّ الكبير في القرن العشرين محمد إقبال الذي تتلمذ عليه فكرياً وأدبياً ما ترجمته بالعربيّة:

صيرَ الرّوميّ طيني جوهرا   من غباري شاد كوناً آخرا

محاور الندوة وجلساتها

توزّعت الندوة على سبعة محاور تناولت تراث الروميّ وعلاقته بالثقافات الشرقية والغربية، وأفكاره الحاضرة في مسائل عصرنا. واشترك في تقديم الأبحاث إليها الدكاترة والأساتذة التالية أسماؤهم: فكتور الكك (لبنان) - عيسى العاكوب (سوريا - قطر) - محمود أبو الهدى الحسيني (سوريا) - نظيف أوزترك (تركيا) - خليل ابراهيم ساري أوغلو (تركيا، لم يستطع الحضور) - سعيد واعظ (إيران) - روح الله هادي (ايران - قطر) - السّباعي محمد السباعي (مصر) - حسن النعمة (قطر) - جيزيلا كرافت (ألمانيا) - توماس اوغر (ألمانيا). وقد أسفت اللجنة المنظّمة للمؤتمر والباحثون لوفاة المستشرقة الألمانية اللامعة آنّه ماريا شيمّل التي أُدرج اسمها على جدول المشتركين في الندوة فعاجلتها المنيّة وحالت دونها ودون الكلام على الروميّ الذي صرفت أربعين سنة من عمرها في دراسته.

استغرقت الندوة يومي ٢٢ و ٢٣ شباط / فبراير ٢٠٠٣ ووزّعت موضوعاتها على ثلاث جلسات طويلة مشفوعة بمناقشات تلتها كان أكثرها حيوياً مفيداً. وفي هذا الصدد تميزت الجلسة الثالثة بنقاش مستفيض وحماسيّ أحياناً ومداخلات منوّعة، ولا سيّما أنّ أكثر المتابعين للجلسات غربيون عن الأدب الفارسي والثقافة الإيرانية. وقد طرحت أسئلة حول اللغة الفارسية وخصائصها واللغات الإيرانية الأخرى والأدب الفارسي وعلاقته بالأدب العربي وصعود موجة التصوف في العالم، فتولّى الدكتور الكِك الإجابة عن أكثرها، كما تولى إيضاح بعضها الدكتور الحسيني.

اتّسم الحوار بالهدوء والعمق والشمول بحيث بدا وكأنه نزهة فكرية روحية في حدائق الحضارة الإسلامية وروضات الثقافة الفارسيّة، وتفرّد الأدب الفارسي بشؤون وميزات خاصة في إطار حضارة الإسلام. وهنا أوضح الدكتور الكك سبب تعديل الإيرانيين أوزان الشعر العربي التي اقتبسوها من العرب وتحويلها من المسدّسات إلى المثمنات، أو تلك التي انحدرت إليهم من تراثهم القديم مثل الربّاعي الذي انمازوا به، وسواه. كما علّل أسباب شهرتهم في الغرب أكثر من شعراء العربية لأخذهم بهذا النوع من الشعر المرصوص في «الرباعيات» و «الغزليات» التي لا تتجاوز (أي الأخيرة) الخمسة عشر بيتاً، حدّاً أقصى، ومعظمها يستغرق ما بين ٧ و ١٠ أبيات، في حين غلب مع شعر ابن الفارض وابن عربي المطوّلات، وكذلك سواهم. وقبل أن يختم البروفسور الكك الجلسة دعا جامعة قطر من جديد

واليونسكو والمستشارية الثقافية إلى توحيد الجهود لإكمال هذه المسيرة الخيّرة، فتخرج الندوة عن كونها مناسبة عابرة، و «بيضة الدّيك». وقد حضرها أساتذة جامعيّون ومثقفون وإعلاميون ودبلوماسيون. إلاّ أنّ الذي استرعى الانتباه كان حضور عدد زهيد جداً من الطلاب في مستوى الماجستير، في حين كان الهدف من عقد هذه الندوة ـ كما جاء في كلمة عميد كلية الإنسانيات والعلوم الاجتماعية د. علي أحمد الكبيسي خلال جلسة الافتتاح وفي تصدير الكرّاس الذي أصدرته الجامعة عن المؤتمر وبرنامجه متضمناً نظرة وجيزة من حياة «مولانا» الروميّ وقيمة انتاجه الإنسانيّ ـ إدراك جامعة قطر والمتعاونين معها «ضرورة تعريف الأجيال المسلمة من طلاّب وباحثين ومشتغلين في الحقل الثقافي والإعلامي العربي والإسلامي بواحد من أكبر شعراء التصوّف الإسلامي». وكان من الميسور أن يصحب الأساتذة طلابهم من قاعات الدرس إلى قاعة الندوة، خدمة للهدف الذي أُقيمت من أجله.

مهما يكن من أمر، فإنّ تنظيم الندوة بجلساتها ومناقشاتها ودعواتها كان دقيقاً. كما ساد الجلسات والمناقشات جوّ هادئ. وقد أصدرت جامعة قطر كرّاساً أنيقاً في هذه المناسبة امتاز بتصميم فنّي جميل وبمضمون مفيد اشتمل على كلمات عميد كلية الإنسانيات والعلوم الاجتماعية والمستشار الثقافي الإيراني الدكتور عبّاس خامه يار ومدير مكتب اليونسكو بالدوحة والممثل الإقليمي لها الدكتور عبدالله بوبطانة. كما اشتمل على برنامج جلسات الندوة، وترجمات لحياة المشتركين فيها وآثارهم مع صورهم، إضافة إلى نبذة في سيرة الرومي وآثاره وترجمات لنماذج من شعره ونثره، في ٦٤ صفحة من الطباعة الأنيقة بالألوان. وتجدر الإشارة في هذا السياق، إضافة إلى مجهود جامعة قطر، إلى ما بذله الدكتور خامه يار من متابعة لمشروع الندوة وجهد متواصل لإنجاحها نابع من إيمانه بعظمة «مولانا» ورسالته الإنسانية الكونيّة التي نحن في حاجة إليها، اليوم.

أما مستوى الأبحاث التي قدّمت إلى الندوة فكان جيّداً، بحيث أضاء الجوانب الأساسيّة لعبقريّة جلال الدين الرّومي، وبيّن بعدها الإنساني الكونيّ الذي يتناول ما نقول به اليوم في حوار الحضارات والأديان.

تغطية إعلاميّة دون المطلوب

على مستوى التغطية الإعلامية، تابعت جرائد قطر العربيّة جلسات الندوة محاولةً تلخيص الأبحاث. إلاّ أنّ نجاحها كان دون الحدّ الأدنى المطلوب، ولا سيّما من حيث تماسك التلخيص، ووضع العناوين الفرعيّة ذات الدلالة، وإبراز الجديد الذي تضمّنته بعض الأوراق المقدّمة. كما أنها مرّت بعرض المناقشات مرور الكرام، في حين تتفوّق المناقشات في بعض الندوات على الأوراق المقدّمة.


وقائع

وقائع إيرانية/ عربية

ك٢/يناير. آذار/مارس ٢٠٠٣

● الحرب على العراق

ـ أعلن وزير الخارجية الإيراني كمال خرازي أن «الحرب الأميركية المحتملة على العراق تأتي في سياق بسط الهيمنة الأميركية في المنطقة، وهذه القضية لن تنحصر بالعراق، بل إن أميركا تسعى بعد ذلك إلى تغيير كثير من الأنظمة في المنطقة، وأن توفر الظروف كي تتمكن إسرائيل من توسيع هيمنتها فيها». واعتبر خرازي أن تعاون العراق لتنفيذ القرار ١٤٤١ وممارسة البلدان الأخرى «الضغط على أميركا»، هما من سبل الحؤول دون اندلاع الحرب. وأضاف «الجمهورية الإسلامية لم ولن تتدخل في شؤون المعارضة العراقية، لكنها في الوقت نفسه لن تكون مانعاً لها».

(الحياة، ٢٠٠٣/١/٦)

ـ أكد الرئيس الإيراني محمد خاتمي لدى استقباله نائب رئيس مجلس الوزراء الكويتي وزير الخارجية الشيخ صباح الأحمد (١٢/ ١/ ٢٠٠٣) أنه «على رغم الخسائر التي تكبدتها إيران والكويت جراء مهاجمتها من جانب العراق، فإن طهران لا توافق على شن أي هجوم عسكري أجنبي على العراق». وركّز الشيخ صباح الأحمد على خطورة الوضع في المنطقة، وضرورة امتثال العراق للقرارات الدولية من أجل إنقاذ شعبه من الكارثة. ووصف العلاقات بين إيران ودول مجلس التعاون الخليجي بأنها «طيبة، مشيراً إلى إمكان تسوية بعض المشاكل القائمة من خلال التعاون وتبادل الآراء.

(الحياة، ٢٠٠٣/١/١٣)

ـ أعلن الرئيس الإيراني محمد خاتمي لدى استقباله وزير الخارجية السوري فاروق الشرع «يجب أن لا نسمح بأن يفقد العراق استقلاليته ويستخدم أداة للسياسات (الأميركية) التي هي ضد مصالح العراقيين والشعوب الأخرى ودول المنطقة».

(الحياة، ٢٠٠٣/١/٢٠)

ـ اعتبر الرئيس الإيراني السابق علي أكبر هاشمي رفسنجاني لدى استقباله رئيس لجنة الشؤون الخارجية في مجلس الأمة الكويتي محمد الجاسم الصقر أن أسوأ الحلول للأزمة العراقية سيكون إقامة «ديكتاتورية موالية للأميركيين».

(الحياة، ٢٠٠٣/١/٢٠)

ـ أكّد وزير الخارجية الإيراني كمال خرازي استعداد إيران للمشاركة في اجتماعات الدول المجاورة للعراق، والتي اقترحتها دمشق وأنقرة في شأن المسألة العراقية. وقال خرازي في تصريحات نقلتها وكالة الأنباء الإيرانية إن «المسائل المتعلقة بأمن دول المنطقة يجب تسويتها من جانب هذه الدول بالذات». ورأى أنه إذا جرى «فرض حلول من الخارج، فسينجم

عن ذلك وجود قوى أجنبية، وهذا ما سيهدد أمن دول المنطقة».

(الحياة، ٢٠٠٣/١/٢١)

- دعا الرئيس الإيراني محمد خاتمي إلى تعاون بين الدول المجاورة للعراق والدول الخمس الدائمة العضوية في مجلس الأمن لتسوية الأزمة العراقية. وشدد على رفض العمل العسكري ضد العراق، وعلى «وحدة التراب العراقي» وضرورة التزام بغداد تطبيق القرارات الدولية. وجاءت مواقف خاتمي خلال استقباله مفوض الاتحاد الأوروبي للعلاقات الخارجية كريس باتن. وقال الرئيس الإيراني إن بلاده «وعلى الرغم من الأضرار التي ألحقها بها النظام العراقي خلال السنوات الماضية، لا ترى فائدة في التدخل بتقرير مصير الشعوب، وتعتقد أنه أسلوب يلحق الضرر بكل دول المنطقة، ويعزّز منهجاً خطراً على الصعيد العالمي».

(الحياة، ٢٠٠٣/٢/٦)

- شدّد وزير الخارجية الإيراني كمال خرازي لدى استقبال في طهران (٢٠٠٣/٢/٩) نظيره العراقي ناجي صبري، على أن المنطقة لن تتحمل وقوع حرب ثالثة خلال عقدين، وعلى أن التعاون العراقي الكامل مع المفتشين الدوليين يسقط الذرائع من يد الولايات المتحدة ويحول دون استخدام القوة.

(السفير، ٢٠٠٣/٢/١٠)

- ذكرت وكالة الأنباء الإيرانية أن وزير الخارجية كمال خرازي أجرى اتصالات هاتفية (٢٠٠٣/٢/١١) بنظيريه البريطاني والفرنسي جاك سترو ودومنيك دوفيلبان، وبالممثل الأعلى للاتحاد الأوروبي للسياسة الخارجية خافيير سولانا أطلعهم فيها على نتائج الزيارة التي قام بها وزير الخارجية العراقي ناجي صبري إلى طهران. ونقل خرازي للمسؤولين الأوروبيين عن صبري قوله إن بغداد على استعداد للتعاون بشكل كامل مع مفتشي الأمم المتحدة.

(السفير، ٢٠٠٣/٢/١٣)

- شددت إيران (٢٠٠٣/٢/١٦) على وجوب عدم تفسير معارضتها للحرب الأميركية المحتملة على العراق على أنها دعم للنظام القائم في بغداد، في وقت تقدم مئة نائب إصلاحي بعريضة إلى رئيس البرلمان تطالب بعزل وزير الخارجية كمال خرازي من منصبه بسبب ما اعتبروه «السياسات غير الملائمة وغير المبررة» تجاه العراق، بعد الزيارة المفاجئة التي قام بها وزير الخارجية العراقي ناجي صبري إلى طهران الأسبوع الماضي.

(السفير، ٢٠٠٣/٢/١٧)

- دعا وزير الخارجية الإيراني كمال خرازي ونظيره العُماني يوسف بن علوي في مؤتمر صحافي بعد محادثتهما في مسقط (٢٠٠٣/٢/١٧)، حيث نقل خرازي رسالة من الرئيس الإيراني محمد خاتمي إلى سلطان عُمان قابوس بن سعيد، إلى ضرورة مواصلة الجهود الرامية إلى إيجاد مخرج سلمي للأزمة العراقية لتجنيب المنطقة خطر حرب محتملة.

(السفير، ٢٠٠٣/٢/١٨)

- أكّد نائب وزير الخارجية الإيراني للشؤون الاقتصادية سيد محمد حسين عادلي أن بلاده لديها عدد من المشاريع الكبيرة في مجال الطاقة، وهي جميعاً تهدف إلى تطوير مكانة إيران لتصبح، بحكم وقوعها بين حوضين جغرافيين للطاقة، مركزاً دولياً لتوزيع النفط والغاز». وقال

إن لدى إيران فرصاً كبيرة في منطقة الخليج، حيث الجميع، باستثناء قطر، يعاني من نقص الغاز. وعدد بين تلك الدولة السعودية والكويت والبحرين والإمارات، وقال إن «بعضها ينقصه الغاز الآن، في حين أن بعضها الآخر سيعاني من النقص في مدى سنتين أو حتى في خمس أو عشر سنوات». وكشف أن هناك مفاوضات تجرى مع دول خليجية عدة لتصدير الغاز إليها، وأن «الأسعار التي يجري التفاوض عليها هي أسعار تنافسية».

(الحياة، ١٨/٢/٢٠٠٣)

ـ حذّر وزير الخارجية الإيراني كمال خرازي الولايات المتحدة من «مغامرة الحرب»، وذكر أن «العراق ليس كأفغانستان، ولا يستطيعون ببساطة أن يسيطروا عليه». وأشار، في مؤتمر صحافي عقده مع وزير الدولة العُماني للشؤون الخارجية يوسف بن علوي في مسقط، إلى أن تلميح بعض المسؤولين الأميركيين إلى إزالة اسم إيران من «محور الشر» لا يعني وجود صفقة لتغير واشنطن موقفها من إيران. وقال إن «الازدهار الاقتصادي واستتباب الأمن في هذه المنطقة يتحققان من خلال التعاون بين دولها وإيران».

(الحياة، ١٨/٢/٢٠٠٣)

ـ كشف الرئيس الإيراني محمد خاتمي (١٩/٢/٢٠٠٣) أن وزير الخارجية العراقي ناجي صبري الذي قام الأسبوع الماضي بزيارة مفاجئة إلى طهران، سلمه رسالة من الرئيس العراقي صدام حسين «تتضمن كلمات جديدة» وقال خاتمي إن «ما من أحد يدعم نظام صدام (حسين) لكن دوافع أميركا أثارت رد فعل من البلاد العربية والإسلامية والأوروبية».

(السفير، ٢٠/٢/٢٠٠٣)

ـ أعلن آية الله أحمد جنتي رئيس مجلس صيانة الدستور أن بلاده تعارض بشدة أي تدخل عسكري في العراق «حتى لو تم ذلك بموافقة مجلس الأمن»... وقال آية الله جنتي «هدف أميركا من مهاجمة العراق هو السيطرة على مصادر النفط في المنطقة والتدخل في الشؤون الداخلية لدول المنطقة». وزاد «لسنا ضد نزع أسلحة العراق... لكن ذلك يختلف عن احتلاله عسكرياً».

(الحياة، ٢٢/٣/٢٠٠٣)

ـ وصف المرشد الأعلى للجمهورية الإيرانية آية الله علي خامنئي (٢٣/٢/٢٠٠٣) المسؤولين الأميركيين بالـ «فاشيين وأشباه هتلر». وقال خامنئي «يحق لشعوب العالم أن يصفوا المسؤولين الأميركيين بالفاشيين وبهتلر الجديد ما دام هؤلاء المسؤولون يقولون علناً أنهم سيهاجمون العراق فقط للدفاع عن مصالحهم الخاصة». من جانبه شدد وزير الخارجية كمال خرازي على أن طهران «لا توافق أساساً على نوايا الولايات المتحدة في إعادة ترتيب الشرق الأوسط. هذه مهمة يضطلع بها الحكماء في الشرق الأوسط، لا القوى الخارجية». قال خرازي الموجود في كوالالمبور لحضور وقمة حركة عدم الإنحياز، إن الولايات المتحدة ارتكبت خطأ استراتيجياً بوصف بلاده بأنها جزء من «محور الشر»، وأضاف «لا نخشى أن نصبح يوماً ما هدفاً لأميركا».

(السفير، ٢٤/٢/٢٠٠٣)

ـ دعا موفد الرئيس الإيراني علي أكبر محتشمي «كل الدول المخالفة للتوجهات الأميركية إلى أن تهب هبة واحدة من خلال حركة سياسية وديبلوماسية منسجمة

ومتناغمة مع إرادة شعوبها التي عبرت صراحة عن وقوفها ضد التوجهات العسكرية والسياسية الأميركية. وكان محتشمي يتحدث بعد لقائه وزير الخارجية اللبناني محمود حمود في اليوم الثاني لمحادثاته في بيروت حيث سلم الرئيس إميل لحود رسالة من نظيره الإيراني محمد خاتمي. وقال محتشمي «إن البحث تركز على المخاطر الكبرى التي يحملها التوجه العسكري الأميركي تجاه المنطقة في هذه المرحلة والإجرام الصهيوني الشاروني الجنوني المتمادي في حق أبناء الشعب الفلسطيني المظلوم».

(الحياة، ٢٠٠٣/٢/٢٧)

- رفض وزير التجارة العراقي محمد مهدي صالح اقتراح وزير الخارجية الإيراني كمال خرازي تنظيم استفتاء في العراق في إشراف الأمم المتحدة، وأنكر على إيران حق التدخل في الشؤون الداخلية لبلاده. وقال إن «إيران تتكلم عن مسائل ليست من اختصاصها...».

(النهار، ٢٠٠٣/٣/٦)

- قام الرئيس السوري بشار الأسد (٢٠٠٣/٣/١٦) بزيارة قصيرة لطهران لم تعلن سابقاً، والتقى نظيره الإيراني محمد خاتمي ومرشد الجمهورية الإسلامية آية الله علي خامنئي. وانتهت الزيارة إلى تأكيد تطابق وجهات النظر في الأزمة العراقية، إذ دعا الرئيسان السوري والإيراني إلى تغليب العقل على القوة، ورفضا التفريط في وحدة الأراضي العراقية. وحذّر الأسد وخامنئي من أن الولايات المتحدة ستهزم أمام مقاومة الشعب العراقي. وصرح آية الله خامنئي لدى استقباله الرئيس الأسد أن «احتلال العراق فترة طويلة مستحيلة». وأضاف بأن الولايات المتحدة قد تتمكن من إلحاق الضرر بالمنطقة على المدى القصير، غير أن «مقاومة الشعوب ستوجه ضربة قاضية إلى قوى الاستكبار الأميركي التي ستنتهي إلى الاندحار على المدى الطويل».

ورافق الأسد في زيارته لطهران نائبه عبد الحليم خدام ووزير الخارجية فاروق الشرع. وهذه الزيارة هي الثانية له لطهران.

(النهار، ٢٠٠٣/٣/١٧)

- وصل وزير الخارجية الإيراني (٢٠٠٣/٣/٨) إلى جدة حيث كان في استقباله نظيره السعودي الأمير سعود الفيصل. ومن المقرر أن يجري محادثات مع ولي العهد السعودي الأمير عبد الله بن عبد العزيز وسعود الفيصل في شأن عدد من القضايا ذات الاهتمام المشترك والتعاون الثنائي وآخر التطورات على الساحة الإقليمية والدولية، وخصوصاً الهجوم الأميركي المحتمل على العراق. وكان خرازي زار صنعاء، وعرض مع رئيس الوزراء اليمني عبد القادر باجمال مستجدات الأوضاع في المنطقة. وأكّد الطرفان رفضهما لخيار الحرب وضرورة الإفساح في المجال للخيارات السلمية.

(النهار، ٢٠٠٣/٣/١٩)

- أعلنت طهران (٢٠٠٣/٣/١٩) أنها أنهت المرحلة الأولى من عملية كبيرة لتبادل السجناء مع العراق تشمل ١٢٠٠ معتقل، بينهم مئات أسروا خلال الحرب العراقية - الإيرانية بين عامي ١٩٨٠ و ١٩٨٨.

(النهار، ٢٠٠٣/٣/٢٠)

- بث التلفزيون الإيراني أن إيران أغلقت مجالها الجوي أمام «القوات المتحاربة» بعدما بدأت القوات الأميركية المحتشدة في المنطقة

هجوماً على العراق. ونقل التلفزيون الإيراني عن حميد رضا آصفي الناطق باسم الخارجية الإيرانية أنه دعا «الجانبين إلى احترام المجال الجوي الإيراني».

(الحياة، ٢٠٠٣/٣/٢١)

- اقترحت طهران إجراء استفتاء في العراق ومصالحة وطنية بين النظام الحالي والمعارضة برعاية الأمم المتحدة، لتجنب حرب ضد هذا البلد. وصرح وزير الخارجية الإيراني كمال خرازي أن «الشعب العراقي يجب أن يختار ممثليه الحقيقيين في استفتاء بإشراف الأمم المتحدة». وأضاف أن «على القادة العراقيين اتخاذ مبادرة المصالحة الوطنية والسماح بمشاركة العراقيين والمعارضين في الحكم». ودعا خرازي أيضاً المعارضة العراقية للمصالحة مع الرئيس صدام حسين لتجنب إراقة الدماء.

(الحياة، ٢٠٠٣/٣/٢٢)

- ندّد المرشد الأعلى للجمهورية الإسلامية الإيرانية السيد علي خامنئي بشدة بظهور «الهتلرية الجديدة» في إشارة إلى الهجوم الأميركي على العراق. وقال في خطاب ألقاه بعد ظهر الجمعة أمام الألوف عند ضريح الإمام الرضا في مدينة مشهد إن «الهجوم الأميركي على العراق يرمز إلى ظهور هتلرية جديدة في التاريخ»، واصفاً المسؤولين الأميركيين بالفظاظة. وأضاف أن الولايات المتحدة شنّت هجوماً على العراق «من دون أن تأخذ في الحسبان أبسط المبادئ الإنسانية، مما يجعلها إحدى أقذر الحروب». ودعا السيد خامنئي إلى يقظة إسلامية لتشكيل «أكبر عائق أمام تحقيق المشاريع الأميركية في العالم الإسلامي».

(الحياة، ٢٠٠٣/٣/٢٣)

- رفضت إيران طلباً أميركياً بطرد الديبلوماسيين العراقيين وإغلاق السفارة العراقية في طهران. وأكد الناطق باسم الخارجية الإيرانية حميد رضا آصفي في حديث أوردته وسائل الإعلام الإيرانية أن طهران لن تطرد الديبلوماسيين العراقيين لديها لأنها تنتهج سياسة مستقلة.

(الحياة، ٢٠٠٣/٣/٢٤)

- أكّد الناطق باسم الحكومة الإيرانية عبد الله رمضان زاده أن إيران لن تسمح، حتى انتهاء الحرب، للمقاتلين من المعارضة الشيعية الموجودين على أراضيها بعبور الحدود للقتال في العراق. وقال رداً على سؤال وجه إليه أثناء مؤتمر صحافي عن الوقت الذي قد تسمح فيه إيران للمقاتلين من «فيلق بدر» بالعبور إلى العراق: «لن نسمح حتى انتهاء الحرب بأي نشاط عسكري لمصلحة أي من الطرفين، وحدودنا مقفلة تماماً».

(الحياة، ٢٠٠٣/٣/٢٧)

- رفضت إيران اتهامات وزير الدفاع الأميركي دونالد رمسفيلد بالتدخل لعرقلة الحملة الأميركية - البريطانية على العراق. وقال الناطق باسم الحكومة الإيرانية عبد الله رمضان زاده إن بلاده تتبع سياسة الحياد الفاعل، وأكدت مرات أنها لن تسمح لأي طرف بشن عمليات عسكرية تضر مصالحها أو حتى تقيدها.

(الحياة، ٢٠٠٣/٣/٣٠)

- رفض وزير الخارجية الإيراني كمال خرازي الاتهامات التي وجهها وزير الدفاع الأميركي دونالد رمسفيلد لطهران بالتدخل في العراق، وقال إن «هذه الاتهامات لا أساس لها»،

مشدداً على أن الموقف الإيراني من الحرب هو الحياد. وأوضح أن فيلق بدر التابع للمجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق مستقل تماماً وليس له أي علاقة بالجمهورية الإسلامية». وأكّد خرازي أن طهران لن تدعم حكومة عراقية يعينها الأميركيون.

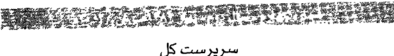
(النهار، ٢٠٠٣/٣/٣١)

- نظمت الحوزة الدينية في قم تجمعاً احتجاجاً ضد «الحرب على الشعب العراقي»، فيما أقفلت إيران الباب سياسياً أمام القبول بأي حكومة تفرضها الإدارة الأميركية على العراق. وقال وزير الخارجية كمال خرازي «ندعو إلى حكومة في العراق تنبع من إرادة شعبه تحت إشراف الأمم المتحدة وفي استفتاء عام، على أن تحترم هذه الحكومة الاتفاقات الموقعة مع إيران وحسن الجوار، وهذا يختلف عن الحكومة التي تريد الولايات المتحدة تعيينها في العراق، لأنها ستكون مرفوضة، ولا يمكن أن ندعم أي حكومة إلا إذا كانت منتخبة من الشعب».

(الحياة، ٢٠٠٣/٣/٣١)

فصلنامه

ایران وعرب



- فصلنامه ایران وعرب پذیراي مقالات کلیه پژوهشگران در عرصه هاي مسائل مربوط به این حوزه مي باشد.

فصلية
ايران والعرب

- محمد علي آذرشب (إيران)
- فيروز حريرچي (إيران)
- غلامعلي حداد عادل (إيران)
- كمال خرّازي (إيران)
- رضا داوري اردكاني (إيران)
- زهرا رهنورد (إيران)
- علي شمس اردكاني (إيران)
- سيد جعفر شهيدي (إيران)
- سعيده لطفيان (إيران)
- أحمد مسجد جامعي (إيران)
- عطا الله مهاجراني (إيران)
- سيد أبو القاسم موسوي (ايران)
- شهريار نيازي (إيران)
- علي أكبر ولايتي (إيران)
- صلاح جرار (الأردن)
- عباس الجراري (المغرب)
- مروان حمادة (لبنان)
- علي فهمي خشيم (ليبيا)
- محمد الرميحي (الكويت)
- صلاح زواوي (فلسطين)
- سمير سليمان (لبنان)
- محمد سليم العّوا (مصر)
- عبد الرؤوف فضل الله (لبنان)
- عبد الملك مرتاض (الجزائر)
- هاني مرتضى (سوريا)
- انطوان مسرّة (لبنان)
- الناهة بنت حمدي ولد مكناس (موريتانيا)
- محمد نور الدين (لبنان)
- عبد الباقي الهرماسي (تونس)

مركز دراسات الوحدة العربية (لبنان)

جمعية الصداقة الإيرانية ـ العربية (ايران)

مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية (الإمارات)

مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام (مصر)

مركز الدراسات السياسية والدولية (ايران)

مركز دراسات الشرق الأوسط (الأردن)

مركز الدراسات الاستراتيجية (لبنان)



دیدگاه

میزگرد

مطالعات

معرفی ونقد کتاب

گزیده فعالیتها

رویدادها

شماره چهارم - بهار ١٣٨٢

جنگ علیه عراق وشکل تازه نظم جهانی

جنگ علیه عراق وآثار آن بر منطقه خاورمیانه بیانگر بروز واقع بینی سیاسی در روابط بین المللی میباشد. در این نوع از واقع بینی، جائی برای مفهوم عدالت در جهان عینی وجود ندارد. بنا براین اهتمام متوجه بسط نظریات قدرت در راستای تامین منافع ملت میگردد. حال با توجه به این واقعیت که قدرت تأمین کننده منافع ملت متکی بر ثبات سیاسی وآینده نگری سیاسی واقتصادی میباشد، بنا بر این مشروعیت قدرت، سر چشمه گرفته شده از رضایت وخشنودی ملتها از حکومتهای خود است. از سوی دیگر أمریکا بخاطر توانمندیهای اقتصادی ونظامی عظیم وبی رقیب خویش، نقش قدرت مطلق وسلطه گر را در روابط بین الملل در قرن بیست ویکم ایفا خواهد کرد. این نقش هیچ تناسبی باعدالت ایده آلیستی ندارد ولذا ست که دیگر کشورها می بایست در شرایط جدید منطقه ای وجهانی تلاش خویش را متوجه تقویت ساختارهای داخلی و تثبیت ثبات وتوسعه رفاه وآسایش برای ملت خویش بنمایند. ایران وکشورهای عربی باید بدانند که همکاری با یکدیگر بر میزان توان وقدرت آنها خواهد افزود بویژه که جغرافیای منطقه وتاریخ آن عوامل مساعدی را برای ارتباط پیوند آنها فراهم می آورند.

سیاست خارجی ایران در آسیای میانه قفقاز

درپی فروپاشی اتحاد جماهیر شوروی، چندین کشور مستقل در مناطق عقب افتاده داخل آسیای میانه پایه عرصه وجود گذاشتند که از أهمیت خاصی در عرصه های سیاسی واقتصادی وفرهنگی بر خوردار بودند. این واقعیت، کشورهای بزرگ وکشورهای پیرامون این منطقه را در برابر چالشهای تازه ای قرار داد. طبیعتاً ایران از این تأثیرات به بویژه از بعد تأثیر گذاری آنها در پیمانها وتوافقهای مرزی دریائی وزمینی امضا شده با اتحاد جماهیر شوروی سابق، بدور نبود. بهمین علت این تحولات باز تابی را بر سیاست خارجی ایران گذاردند که ناشی از جایگاه منطقه ای وجغرافیای سیاسی کشور های آسیای میانه وقفقاز ومنافع کشورهای بزرگ وهمچنین بر خاسته از واقعیت تاریخی وهمگرائی فرهنگی میان ایران واین کشورهای تازه استقلال یافته بود. فصلنامه ایران وعرب در این چارچوب، میزگردی را پیرامون سیاست خارجی ایران در قبال آسیای میانه وقفقاز منعقد ساخت که در این میزگرد، دکتر سجاد پور مدیر کل مرکز مطالعات سیاسی وبین المللی وزارت امور خارجه ایران، مهندس رضا شیخ عطار مسئول گروه تحقیقاتی آسیای میانه وقفقاز در مرکز پژوهشهای استراتژیك وابسته به مجمع تشخیص مصلحت نظام، دکتر الهه کولائی نماینده مردم در مجلس شورای اسلامی، ودکتر سعیده لطفیان عضو هیئت علمی دانشکده حقوق وعلوم سیاسی دانشگاه تهران شرکت کردند ودکتر اسد اله أطهری پژوهشگر ارشد وعضو هیئت تحریریه فصلنامه «پژوهشهای خاورمیانه» نیز اداره آن را بعهده داشت.

دکتر حمید احمدی

روابط ایران و مصر و نظام بین المللی معاصر

نویسنده این نوشتار در مقاله خویش دگرگونی ها و تحولات روابط مصر و ایران، پیشینه و بازتاب های مربوط به آن را از طریق بررسی مراحل تحول این روابط در طول قرن بیستم به رشته تحریر درآورده است. وی بررسی خود را بر این مبنا استوار ساخته که تحولات و دگرگونی های بین المللی، بیشترین عامل تأثیرگذار بر روابط دوجانبه میان ایران و مصر می باشد بطوریکه نگرش دو کشور بر ماهیت نظام بین المللی، باعث همگرائی آنها در پاره ای از برهه ها و احیاناً واگرائی در روابط در برهه هایی دیگر شده است. احمدی در نوشتار خود، نوسان موجود در روابط میان ایران و مصر و دوره های بهبودی و تنش در آن را در طول قرن بیستم در فاصله قبل از جنگ سرد و پس از آن، مورد بحث و بررسی قرار داده است. این روابط تا پیش از دوران جنگ سرد از صفت طبیعی بودن و دوستانه برخوردار بود ولی آغاز جنگ سرد و معیارهای مربوط به موازنه قوا در نظام بین المللی، زمینه را برای بروز تنش در روابط فراهم ساخت. علت بروز چنین تنشی به تفاوت و اختلاف در برداشت و درك نخبگان سیاسی دو کشور از ماهیت نظام بین المللی و جایگاه منطقه خاورمیانه در این نظام باز می گشت. گفتنی است که روابط میان تهران و قاهره در دوران جنگ سرد دچار یك سلسله فراز و نشیب ها گردید که اساساً معلول تحولات سیاسی جاری در داخل دو کشور مزبور بود. نویسنده در خصوص روابط کنونی میان مصر و ایران بعد از سپری شدن دو دهه از خصومت و نبردهای تبلیغاتی عنوان می سازد که علائمی از بهبودی در این روابط به چشم می خورد بطوریکه روشنفکران و اندیشمندان دو کشور، برقراری رابطه میان ایران و مصر را عامل بسیار مهمی در تأمین منافع حیاتی هر یك از آنها و همچنین ضرورتی گریزناپذیر برای رویاروئی با چالش های مشترك در آینده در نظر می گیرند.

* استاد علوم سیاسی دانشگاه تهران.

روابط ایران و عرب در عرصه میراث فصاحت و بلاغت

در این پژوهش کوشش شده است تا رهیافتی به روابط متقابل و میان کنش منابع فصاحت و بلاغت مکتوب به زبان عربی و همتای آن به زبان فارسی ارائه داده شود تا از این طریق، حق این مبحث که از سوی پژوهشگران معاصر مغفول افتاده است، تا حدودی ادا شود. دیدگاه اکثر پژوهندگان در عرصه این مقایسه، دیدگاهی عجولانه بوده است بطوریکه آنها صرفاً به تکیه منابع فصاحت و بلاغت زبان فارسی بر منابع عربی اکتفا کرده و برهان و دلیل کافی در این رابطه ارائه نداده و هیچ اشاره ای به بهره برداری و استفاده منابع فصاحت و بلاغت عربی از زبان فارسی ننموده اند. در این نوشتار به دو محور اساسی اشاره شده است که عبارتند از تأثیر دانش فصاحت و بلاغت عربی بر ادبیات فارسی و همچنین تأثیر فصاحت و بلاغت فارسی بر ادب عربی. دکتر صادق اللواتی اذعان دارد علی رغم تأثیرگذاری آشکار فصاحت و بلاغت عربی بر ادبیات فارسی، این امر باعث نشده است که زبان فارسی ویژگی های زبانی خویش را به فراموشی سپرده و نادیده بگیرد. نمی بایست بر این باور بود که نقش ایرانیان در عرصه ادب و سخنوری صرفاً در تأثیر پذیری خلاصه میگردد چرا که آنها تحولات شگرف و ماندگاری را در این زمینه به ویژه در علم معانی بیان برجای گذارده اند. در این چارچوب نویسنده به تألیفات و آثار برجای مانده در زمینه دانش فصاحت و بلاغت به ویژه کتاب فخر رازی موسوم به «نهایة الایجاز فی روایة الاعجاز» و اثر زین الدین رازی به نام «روضة الفصاحة» اشاره کرده است.

(*) پژوهشگر دانشگاهی - سلطان نشین عمان.

علي بهرام پور*

مطبوعات ایران پس از پیروزی انقلاب اسلامی:
بررسی مقایسه ای و آماری

محور اصلی این پژوهش، بررسی وضعیت مطبوعات در ایران پس از پیروزی انقلاب اسلامی می باشد. این پژوهش در سه محور تنظیم شده است:

۱ـ آمار موجود و در دسترس در مورد مطبوعات در ایران پس از پیروزی انقلاب اسلامی.

۲ـ اوضاع حاکم بر انتشار مطبوعات در ایران در مقایسه با کشورهای منطقه و جهان.

۳ـ مطبوعات چاپ شده در خارج از ایران به زبان فارسی در سال های اخیر.

به نظر نویسنده، مطبوعات در دو دهه اخیر شاهد تحول شگرفی در سطح داخلی و خارجی بوده است که تأثیر کارسازی را در عرصه فرهنگی در داخل ایران بر جای گذارده است؛ ولی این تحولات که باعث افزایش تقاضا برای کالاهای فرهنگی شد، تحولات و تغییراتی را در عرصه مطبوعاتی به دنبال نداشت که با اوضاع جدید و شرایط تازه، همخوانی و تناسب داشته باشد. نویسنده به عنوان نمونه و شاهدی بر این مطلب عنوان ساخته است که چاپ و انتشار جراید به شکل بی سابقه ای بیش از مجوزهای داده شده از سوی هیئت نظارت بر مطبوعات می باشد. با توجه به این موضوع است که به نظر نویسنده اگر برنامه دولت در این رابطه با تحولات کنونی همسنگ نبوده و تناسب نداشته باشد؛ آنگاه دستگاه های تبلیغاتی بیگانه در امر جذب توده مردم، جایگزین دستگاه های تبلیغاتی داخلی خواهند شد که در این صورت ایران با بحران فرهنگی خطرناکی مواجه خواهد گردید.

(*) پژوهشگر ایرانی.

دکتر زهرا رَهنَوَرْد*

هنر اسلامی و عرصه آن

خانم دکتر زهرا رهنورد در این نوشتار تلاش کرده است تا با ارائه تعریفی از هنر اسلامی و مشخص کردن عرصه و جولانگاه آن، هنر اسلامی را با دیگر هنرها مقایسه کند. هنر اسلامی از دید رهنورد، کشف و پرده برداری از صور گوناگون هستی به هدف متجلی ساختن حقیقت این صورت ها و ارائه چهره زندگی فردی و اجتماعی انسان از طریق این مکاشفه به بهترین شکل ممکن به منظور پایان بخشیدن به غربت و بیگانگی انسان و هموار ساختن راه برای نزدیك شدن به آستان قرب ذات احدیت می باشد. به دیگر بیان، هدف از هنر اسلامی، برقراری ارتباط انسان با آن حقیقت ماورائی و جوهر اعلای خداوندی است.

نویسنده دیدگاه اساسی حاکم بر هنر اسلامی را در امور زیر خلاصه می کند:

- دیدگاه آیاتی
- دیدگاه تسبیحی
- عدل در منظومه آفرینش
- تصویر مثالی و ایده ال از بهشت برین و عالم ابدیت
- آرمان شهر (جامعه و نظام قسط و عدالت اسلامی)
- انسان.

نویسنده این جمع بندی را ارائه می دهد که هنر اسلامی، نیازمند تجربه نوینی در هنرهای تجسمی می باشد زیرا بسیاری از امور ممنوعه سیاسی و مذهبی در جریان پروسه فعالیت های واقعی، از میان رفته و برطرف شده اند و استفاده از هنرهای تجسمی تا حدود زیادی واضح تر و روشن تر شده است.

(*) رئیس دانشگاه الزهراء، مشاور رئیس جمهوری اسلامی ایران.

یوسف بکار*

رباعیات خیام از نگـاه مصطفی وهبی التل؛ نخستین ترجمه از زبان فارسی به عربی

در این نوشتار، ترجمه رباعیات خیام نیشابوری اثر مصطفی وهبی التل مورد بررسی قرار گرفته است که اولین ترجمه رباعیات خیام از زبان فارسی به زبان عربی می باشد زیرا در برگردان های پیشین رباعیات خیام به زبان عربی، تماماً از نسخه ترجمه شده به زبان انگلیسی به ویژه بارزترین و مشهورترین ترجمه انگلیسی این رباعیات یعنی ترجمه فیتز جرالد استفاده شده بود. نویسنده در مقاله خویش، گزیده ای از شرح حال مصطفی وهبی التل را آورده و تأکید کرده است که مصطفی وهبی التل پس از مطالعه رباعیات خیام کشش و علاقه بسیار شدیدی را به اندیشه خیامی در خود احساس نمود بطوریکه این علاقه باعث گردید تا به ترجمه منتخب الاشعاری از رباعیات خیام در سال ۱۹۲۲ همت بگمارد. وی در این برگردان ۱۵۵ رباعی را به زبان عربی ترجمه کرده بود. ارزیابی نویسنده از ترجمه مصطفی وهبی التل این است که این ترجمه به صورت ترجمه کلمه به کلمه (مطابق توصیف خود مترجم) انجام شده است و غالباً از مرداف های لفظی با مفردات زبان فارسی تجاوز نمی کند و نتوانسته است که زیبائی و شیوائی هنری این رباعیات را منتقل سازد. نویسنده سپس به نقل قول از مصطفی وهبی التل در خصوص میزان احاطه و تسلط وی به زبان فارسی آورده است: من آن اندازه به زبان فارسی تسلط ندارم که بتوانم در ترجمه از اشتباه و خطا مصون باشم زیرا دانش من در زبان رباعیات خیام در ابعاد صرف و نحو خلاصه و محدود میگردد؛ لذاست که من در زمینه نگارش و محاوره به زبان فارسی مهارت ندارم و قادر به درك هیچ کتابی به زبان فارسی جز رباعیات خیام آنهم با دشواری بسیار، نیستم.

(*) استاد ادبیات عرب در دانشگاه یرموك، اربد در اردن.

دکتر جواد حدیدی*

گزیده ای تاریخی در مورد ترجمه قرآن کریم به زبان فرانسه

نویسنده در این نوشتار، ترجمه های گوناگون قرآن کریم به زبان فرانسه از قرن هفدهم تا زمان حاضر را مورد بررسی قرار داده و تأکید کرده است ترجمه قرآن کریم در فرانسه همانند سایر کشورهای اروپائی با تحولات اجتماعی و پیشرفت شرق شناسی در این کشورها پیوند خورده است. دکتر جواد حدیدی این جنبش را به سه مرحله جدا از هم تقسیم کرده است. مرحله اول دورانی است که فرانسوی ها اسیر روح تعصب مذهبی قرون وسطائی هستند. مرحله دوم دوران خیزش شرق شناسی و مرحله سوم دوران معاصر می باشد. دکتر حدیدی در این پژوهش، ۲۲ ترجمه کامل قرآن کریم به زبان فرانسه را برشمرده و دو ترجمه را به رشته نقد و تحریر کشیده است که این ترجمه ها متعلق به بلاشیر و شوراقی می باشند. ترجمه های قرآن کریم در مرحله اول تحت تأثیر تبلیغات خصمانه کلیسا نسبت به مسلمانان قرار داشت و لذا اکثر افسانه پردازی های ضد اسلامی موجود در میان مسیحیان اروپا، سرچشمه گرفته شده از ترجمه های لاتینی قرآن کریم بود که تطابقی با متن قرآن کریم نداشت. نهضت شرق شناسی از اواخر قرن هیجدهم میلادی و اوائل قرن نوزدهم منجر به پدیدار شدن سازمان های متعددی گردید که به پژوهش و تحقیق در فرهنگ اسلامی و زبان های مسلمانان اشتغال داشتند. در این جو بود که ترجمه هایی از قرآن کریم ارائه شد که تطابق بیشتری با متن قرآن در مقایسه با ترجمه های پیشین داشت، با اینحال از اشتباهات و تأثیرات عقیدتی شافعی مذهبان آن دوران در اروپا، مصون نبود. در آغاز قرن بیستم مسلمانانی که به زبان فرانسه تسلط داشتند، توجه خود را به ترجمه قرآن کریم به این زبان معطوف نمودند. از آن زمان به بعد ترجمه هایی از قرآن کریم صورت گرفت که مورد توجه بسیار پژوهشگران واقع شد. یکی از این ترجمه ها ترجمه بلاشیر و دیگری ترجمه شوراقی (یهودی تبار) می باشد که در ترجمه اش به شدت متأثر از فرهنگ باستانی یهودی بود و تلاش کرده بود تا به خواننده بقبولاند که مصدر و منبع تمامی حقایق موجود در قرآن کریم به یهودیت باز می گردد و یهودیان منبع همه برکات مادی و معنوی چه در گذشته و چه در حال می باشند.

(*) استاد ادبیات فرانسه در دانشگاه فردوسی مشهد ونویسنده مقالات در مجله های علمی.

سمینار دانشگاه قطر پیرامون مولوی

دانشگاه قطر و دانشکده علوم اجتماعی و انسانی با همکاری دفتر منطقه ای سازمان یونسکو و رایزنی فرهنگی جمهوری اسلامی ایران در قطر سمیناری بین المللی را پیرامون مولانا جلال الدین رومی معروف به مولوی شاعر عارف ایرانی بر پا ساختند. هدف دانشگاه قطر از برپائی این سمینار بین المللی، معرفی چهره های برجسته و درخشان اسلامی و انسانی به نسل جدید و جوان عرب و مسلمان و نسل های جوان در سطوح کلیه کشورهای جهان می باشد به ویژه که شش دفتر مثنوی معنوی به قرآن العجم شهرت یافته است چرا که از صفت دایرة المعارفی و اقتباس زیاد از قرآن و احادیث نبوی و علوم اسلامی برخوردار است. این سمینار طی ۲۲ و ۲۳ فوریه ۲۰۰۲ برگزار گردید و در سه جلسه طولانی، ویژگی های گوناگون اشعار و سروده های مولوی مورد بحث و بررسی شرکت کنندگان قرار گرفت که از کشورهای ایران، سوریه، ترکیه، مصر، قطر و آلمان در این سمینار شرکت کرده بودند. در آخرین شب سمینار نیز مراسم شعرخوانی و موسیقی به افتخار مولانا جلال الدین مولوی در سالن تئاتر کاخ شهرداری در دوحه با حضور نزدیک به ۶۰۰ نفر برگزار گردید و گروه موسیقی همایون، قطعاتی از موسیقی عرفانی ایرانی را با الهام از مضامین شعری مولانا اجرا کرد.

Iranian-Arab Affairs Quarterly

Issue no. 4 - Year 2 - Spring 2003

Contents



فصلية
إيران والعرب



قسيمة اشتراك

أرجو تسجيل اشتراكي بنسخة عدد..................

ابتداء من العدد .... ولمدة عام (..................)

■ مرفق شيك بقيمة (..)

صادر لأمر مجلة فصلية إيران والعرب

■ حول مبلغ (..)

إلى حساب المجلة لدى بنك بيروت رقم: ٣٧٠٥٨٦-٢-٤٠٢

الاســم: ....

العنوان: ....

ص.ب.: .... هاتف / فاكس: ....

مركز الأبحاث العلمية والدراسات الاستراتيجية للشرق الأوسط

الاشتراك السنوي

بما فيه أجور البريد

لبنان	أفراد	٣٠ دولاراً	مؤسسات	٤٠ دولاراً
إيران	أفراد	٣٠ دولاراً	مؤسسات	٤٠ دولاراً
دول عربية	أفراد	٤٠ دولاراً	مؤسسات	٦٠ دولاراً
دول أخرى	أفراد	٦٠ دولاراً	مؤسسات	٨٠ دولاراً

ترسل الطلبات إلى

مركز الأبحاث العلمية والدراسات الاستراتيجية للشرق الأوسط / مجلة فصلية إيران والعرب

بئر حسن - شارع السفارات

ص.ب.: ٥٦٦٩/١١٣ - هاتف وفاكس: ٠١/٨٣٣٦٩٨



Iranian-Arab Affairs Quarterly

مرکز پژوهشهای علمی و مطالعات
استراتژیک خاور میانه

مركز الأبحاث العلمية والدراسات
الاستراتيجية للشرق الأوسط

Center For Scientific Research and Middle East Strategic Studies

Center For Scientific Research and Middle East Strategic Studies

Specialized in strategic and policy issues of the Middle East region.

Objectives:

- Studies these issues through the interaction of the region's countries including Iran.
- Follows up political and economic international trends and their impact on the Middle East region.
- Focuses on Iranian developments and Arab-Iranian relations.
- Emphasizes analysis of regional international developments of the Middle East
- Organizes roundtables, seminars and conferences between Iranian and Arab affairs for the purposes of mutual understanding.
- Is concerned with studying the relations between the countries of the region with a special focus on the Arab - Iranian relations.
- For this purpose, the center holds scientific meetings and seminars, and organizes specialized discussions. It also prepares relevant researchs. In addition it publishes several books, periodicals and publications that are related to its field.

Address

Beirut office
Bir Hassan - Embassies Street
Shati' - al Aaj Bldg.
Tel:01/833698 - Fax: 01/833698
P.O.Box: 113/5669 Beirut - Lebanon
e mail: fasleyat@middleeast-iran.com

Tehran office
20 Sahid Naderi St.- Keshavarz Blvd.
Tahran- Iran
P.O. Box: 14155 - 4576 - Fax:8969565
Tel: (009821) 8961770/8966722/8964282
e mail: merc@irost.com

Iranian-Arab Affairs QUARTERLY

4

Volume 2, Number 4, Spring 2003

The Aftermath of the War on Iraq

Iranian - Egyptian Relations and the World Order

The Common Arab - Iranian Rhetorical Heritage

Iranian Foreign Policy Towards Central Asia

The Press in the Islamic Republic

Islamic Art and its Domains





Design: M.Momayez